حسام توفيق

قصص



حكايات من مملكة دِلموَن

معبأة وجاهزة

مصر

الصلاحية 3 أيام

دار ليلى
كيان كورب
للنشر والتوزيع

حكايات من مملكة دلمون

حسام توفيق

كيان كورب للنشر والتوزيع
دار ليلى

الكتاب:
حكايات من مملكة دلمون
المؤلف:
حسام توفيق
★★★
الغلاف:
محمد محمود
★★★
الإشراف العام:
محمد سامي
★★★

المهندسين-23 شارع السودان—تقاطع مصدق-الدور الرابع—مكتب 11
هاتف: 33370042 (02) (002) - 23885295 (012) (002)
البريد الإليكتروني: mail@darlila.com الموقع الرسمي: www.darliia.com

حسام توفيق

حكايات من مملكة دِلون



غير معلوم على وجه الدقة إذا ما كانت الأحداث التالية قد عاشها المؤلف (حسام توفيق) أم هي من بنات أفكاره على لسان بطل الأحداث (هشام تحسين)... لذا نترك للقارئ تلك المهمة فيبحر مع الراوي في مهمة استكشاف ذلك البلد الصغير الذي قد لا تسمع عنه الكثير... لكن من المؤكد أن القارئ سيخرج من تلك الرحلة بالكثير والكثير...

مقدمة

هو.. (هشام تحسين)

شاب ثلاثيني من سكان (القاهرة).. طويـل القامـة.. متوسـط البنيـة.. يرتدي نظارة طبية سميكة.. كان يعمل محاميا في الشئون القانونية بإحدى شركات البرمجيـات.. وأخـيرا واتتـه فرصـة للعمـل في دولـة البحـرين في منتصف شهر سبتمبر **2014**...

كانت كتابته ليومياته في بداية الأمر تسلية له في غربته.. ومع تـراكم اليوميات قال لنفسه: ولماذا لا أوثق رحلتي تلك؟..فلعلها تكون كتابا ينقل ما عاينته في هذا البلد الصغير عن قرب..يكون بمثابة وجبة خفيفة ولذيذة لمحبي السفر والتعرف على ثقافات البلـدان الأخـرى..أو ربمـا أربـط مـا لامسته هنا بما لدي من خلفية مصرية بكل زخمها وتعقيداتها..فأتـساءل وأفكر كأي مواطن مصري حتى أحاول الوصول إلى جواب شافٍ لكـثير مـن

أسئلة فاجأتني بمجرد نزولي من الطائرة في مطار (البحرين الدولي)...

هي ببساطة رحلة لطيفة في ذلك البلد الصغير الغامض..لا يستطيع إدراك خط سيرها إلا..مواطنا مصريا صميما..!

ومن هنا يبدأ (هشام) في السرد...

"باب البحرين (خان الخليلي سابقا)"

الاثنين 15 سبتمبر 2014

قبل وصولي إلى البحرين بمدة كنت قد رتبت حجزا لمكان إقامتي الدائم هناك – بعد أن تنتهي فترة استضافتي في أحد الفنادق لأول 9 ليال بمعرفة مقر عملي الجديد؛ كنت أتصور وقتها أن الأنسب أن أقطن في فندق أيضا على سبيل الدوام، حيث اضطرتني الظروف أن أسافر وحيدا دون اصطحاب أسرتي، فقمت بحجز إقامتي في فندق 3 نجوم يضمن لي وجبة إفطار بينما أتولى أنا أمر الغذاء، وحصلت منهم على سعر مناسب جدا نظرا لدوام الإقامة المستهدفة.

للحقيقة لم يوضح الموقع الإلكتروني للفندق مكانه على وجه الدقة.. كما لم يكن مشفوعا بصور عديدة تبرز شكله من الداخل..إلخ. لذا بمجرد وصولي إلى البحرين سألت خالي – وهو رجل في العقد السابع من العمر رغم محاولاته الدائمة أن يبدو أصغر من ذلك وهو المقيم في البحرين منذ زمن – عن موقع ذلك الفندق فلم يستطع التعرف عليه رغم صغر مساحة المنامة.. ولكن مع ذكر اسم العلامات المميزة القريبة منه بحسب الموقع الإلكتروني للفندق استطاع خالي تحديد المنطقة والتي تسمى "باب البحرين".. في الحقيقة كان وصف المنطقة قبل الذهاب صادما لي بعض الشيء بوصفها "البحرين العتيقة" التي هجرها الأجانب الأوروبيون

للـهنود والجنـسيات الأدنـى بعـد أن أنـشئت مجمعـات سـكنية حديثـة بالبحرين.. فهي أشبه الآن بمنطقة خان الخليلـي أو الأزهـر الـذي يمثـل قلب القاهرة العتيق.. على الفور سـألت خـالي: "هـي شـعبية؟".. صـمت برهة كأنه يريد وصفا دقيقا لما سيقوله ثم أردف: "لأ.. مش بالظبط.. هـي قديمة بس.. بس هي كويسة"..

وبالفعل وصلنا إلى الفندق بصعوبة... حيـث كـان الطريـق المـؤدي إليـه حارة عطفا على زقاقٍ ينتهي بساحة واسعة يربض فيهـا الفنـدق... للحـق كنت مشدوها.. في حيرة من أمري..! لم أسـتطع قيـاس المكـان علـى خـان الخليلي بمصر.. فعلا المكان عتيق..لكن لا يمكن وصفه بالشعبي.. الشوارع نظيفة.. المحلات راقية.. بل الأدهي أني وجدت سوقا تجاريا على أحدث الطرز في وسط تلك المنطقة إضافة إلى المركز التجاري القديم المسمى بـ(اليتيم سنتر)... ترجلت قليلا فوجدت بجانب ذلك شارعا صـغيرا يحتـوي علـى عدد لا حصر له من محلات المأكولات والبنـوك والخـدمات أغلبهـا يحمـل علامات تجارية عالمية مشهورة... تعجبـت حقـا وغـادرت المكـان وأنـا لا أدري هل أقوم بإلغاء حجزي في الفندق كمـا كنـت عازمـا وأنـا آتٍ إليـه أم أقطن في هذا المكان المحير..!

كنت أتمنى لـو أن تلـك الحـيرة تـراود زوار منطقـة خـان الخليلـي أو غيرها الكثير أيضا في مصر..!

"يا عم إنت فاكرني هندي؟!"
الثلاثاء 16 سبتمبر 2014

اعتاد بعض الناس في مصر – حين يشعر بأن أحدا يريد أن يغبنه – أن يقول: "يا عم إنت فاكرني هندي؟!".. ولم يدر بخلد مؤلف تلك الجملة البالية ما وصل إليه الهنود الآن.

لقد ذهلت أولا من كم الهنود بالبحرين.. فمما لا شك فيه أنهم الجالية الأولى من حيث العدد للقدر الذي يجعلهم وحدهم أكثر من المواطنين البحرينيين.. ثم ذهلت ثانية حين رأيتهم وهم يعملون سواءً في مقر عملي أو في مختلف أنحاء البحرين.. يعملون مثل الآلات.. يحبون الاتقان رغم قلة رواتب معظمهم.. لا ينتظرون منك بقشيشا أبدا..لكن إذا بادرتهم بذلك يكونون في أشد الامتنان.. إضافة إلى إلمام كثير منهم بالعربية... هم أقرب للصينيين المنتشرين بمصر لكن الهنود أنظف وأكثر إتقانا..

والغريب في الأمر هو الشبه الرهيب بينهم وبين المصريين في الشكل والمظهر.. في الحقيقة لم ألحظ ذلك التشابه من قبل من خلال مشاهدة التلفاز – مثل إم بي سي بوليوود – ولكن في البحرين كان التشابه في الشكل عجيبا.. حتى أنني أخطأت التقدير أكثر من مرة حين رأيت عاملا مصريا خالصا في الفندق يحمل الحقائب فناديته على الفور بكل الثقة:

"إنت مصري مش كده؟" لأفاجأ بـرده: "I am Indian!".. بعـد ذلـك أصبحت أكثر حرصا في التـسرع للحكـم علـى جنـسية الأشـخاص – رغـم توهمي السابق بأن المصري يمكن معرفتـه مـن وسط ألـف! – حتـى كنـت أتبضع من إحدى محـال البقالـة قـرب مـسكني بمنطقـة (الجفـير) لأجـد موظف الخزينة مصري..نعم هو كذلك.. النظرات متبرمة متفحـصة أشبـه بـ (رياض الخولي) في مسلسل (سلـسال الـدم).. السِحنة المكفهـرة بعـض الشيء ذي ملامح مـواطني الزقـازيق.. الـشعر المموج غـير المهنـدم بعـض الشيء.. لكنة إنجليزية "فلاحي" بعض الشيء.. وعلاوة علـى ذلـك اسمـه "أمين" كما هو مـدون علـى بطاقـة يحملـها قميـصه.. علـى الفـور قلـت في نفسي: "هذه المرة أكسب التحدي"..وقد كان! فبمنتهى الثقة قلت: "إنـت مصري..مش كده؟"..فأجابني مسرعا: "INDIAN"..!!!

"خطبة الميكروباص"

الأربعاء 17 سبتمبر 2014

من النصائح التقليدية التي سمعتها قبل وصولي إلى البحرين من أحد أصدقائي المصريين المتمرسين في السفر إلى الدول العربية هي: "ابتعد قدر المستطاع عن.. المصريين! اسكن بعيدا عنهم.. لا تختلط كثيرا معهم.. فكثير منهم يهوى اختلاق المشكلات"..!

لم تعد تلك النصيحة (ذهبية) إلا عندما صحوت من نومي باكر يوم الأربعاء استعدادا لأول يوم عمل فِعلي بالبحرين... قمت بتحضير ملابسي.. نزلت مبكرا لتناول الإفطار.. انتظرت في بهو الفندق من الساعة السابعة والنصف امتثالا لطلب موظف الاستقبال حيث يفترض أن تقلني حافلة (ميكروباص) الفندق في تمام الساعة الثامنة إلا ربع لأصل إلى مقر عملي في تمام الساعة الثامنة..

الوقت فات حتى الساعة الثامنة ولم يتحرك الميكروباص ولم يحضر أحد في الموعد المحدد إلا شاب هندي يبدو حسن المظهر والتعليم...ولما استعلمت من السائق وجدت أن سبب التأخير بعض الركاب النزلاء في ذات الفندق والذين لم يحضروا بعد في الموعد المحدد... انتظرت بضعة دقائق لأفاجأ أن سبب التأخير هو (الفوج المصري) المرتبط بذات مقر العمل وذات

الموعد... فبدأ الفوج المكـون مـن 8 أشـخاص تقريبـا – بيـنهم امـرأة – في الصعود... وجوههم عليها آثار النوم... نظرات متبرمة ومتفحـصة في ذات الآن... قلت في بالي لا بأس... ولكن بمجرد تحرك ميكروبـاص "الفنـدق" تحـول فجـأة إلى ميكروبـاص "فيـصل" أو "مدينـة الـسلام"... فإضـافة إلى "الإفيهات" المصرية البالية المنطلقة كالقذائف من أفـواه يبـدو عليهـا آثـار النوم فقد كان من ضمن الركاب شاب ملتحي وجهـه لا يبعث علـى الراحـة أبدًا بدأ في إلقاء خطبة دينية رغمـا عـن كـل الركـاب – والـذين يتـضمنون واحدا هنديا – فلتوّي قلت: لا بأس لعله يقول بعض الرقائق الـتي تعـين على تبديد الغربة عن الركاب المصريين وتؤنس وحشتهم المفترضـة.. فـإذا به يجعل موضوع خطبته "اللمز على أهل البحـرين بوصـفهم مـن علامـات قيـام الـساعة"..! فقـال كلامـا بـدا مرتبـا تخللتـه كلمـات مـن قبيـل "حفاة..عراة..يتطاولون في البنيان"..هكذا عيانا بيانا على مسمع من السائق الذي غالبا ما يفهم العربية...وفجأة فتكت بذهني عدة أسئلة مثـل: "هـل عندما اختار هذا الشاب موضوعا لخطبتـه لم يجـد أي موضـوع أنـسب مـن اللمز على أهل البحرين (مضيفيه)؟!" و"لماذا لم يكن موضوع خطبتـه مـثلا عن احترام المواثيق والمواعيد؟" أو "مثلا عن اتقان العمل؟!" أو "حتى بعض تحصينات الذكر ضد بعض مغريات الغربة من فتيات ليل وغيرهـا؟!"... حقا لم أجد إجابة واحدة تهدئ من فتك تلكم الأسئلة إلا... أنني كنت أنـا

المخطئ بركوبي تلك الحافلة...وفعلا في اليوم التالي لما تكرر نفس التأخير من الفوج..قمت بحجز حافلة أخري من اليوم الثالث أسبق من ميكروباص "فيصل" هذا بنحو ساعة الأمر الذي جعلني أصل إلى مقر عملي قبل المواعيد الرسمية بنحو **45** دقيقة..لكنني كنت في أشد الراحة النفسية لبعدي عن...."مُهلكات الصباح"!

"قد قامت الصلاة..قد قامت الصلاة"

الجمعة 19 سبتمبر 2014

في صباح يوم الجمعة قمت بالاستجمام قليلا في حمام السباحة الموجـود بالفنـدق حتـى أخـرج منـه قبـل صـلاة الجمعـة بوقـت كـاف كـي ألحـق بها..وأثناء استرخائي على (الشيزلونج) اقترب مـني أحـد الأشـخاص ذو الملامح المصرية.. قلت لنفسي: "قد تعلمت الدرس يـا هـشام..لا تظـن أنـه مصريا"..وفجأة قطع حواري الداخلي صوت مصري صادر من ذلـك الرجـل بقوله: "إنت مصري؟".. فاغتظـت لـصحة اسـتنتاجه مـن أول وهلـة علـى عكس حالي!..ثم رددت بتحفظ: "أيوا".. فقال: "طـب هاتـصلي الجمعـة فين؟"..قلت له: "هنـاك مـسجد كـبير قريـب مـن الفنـدق يـدعى "جـامع الفـاتح"..فقـال متـسائلاً بحـذر: "سـني ولا شـيعي؟"..فقلـت لـه بثقـة: "سني"...واتفقنا على الذهاب سويا إلى حيث هناك..

وقد كان.. تقابلت مع الفتى عند بهو الفندق حسب الموعد.. ثـم سـلكنا طريق المـسجد حتـى ولجنـا... سـاحة خارجيـة رحبـة..نظافـة فائقـة في المكان..رائحـة عطرة..سكينة.. لفت نظري أنـه لا يـسمح أبـدا باصـطحاب الأحذية إلى الداخل..بل اتركها في المكان المخصص خارج المسجد ولا تجعل خلفيتك المصرية تعكـر عليـك صـفو الواقـع البحـريني..اطمـئن لـن يُـسرق

حذائك..

فلما نظرت أبحث عن مكان مناسب لجلوسي لاحظت أن التلفزيون البحريني ينقل شعائر صلاة الجمعة من هذا المسجد..فتأكدت في نفسي أهميته... المهم قمت بعمل حركة "مصري" وجلست أمام الكاميرا لعل وعسى أن تراني زوجتي في التلفاز..فيكون عوضا عن قلة الاتصال المرئي في الفترة الأولى..وقمت بإرسال رسالة لها عبر الهاتف بهذا المضمون قبل بدء الخطبة..

اعتلى إمامٌ – بدا عليه الوقار – المنبر.. ثم وجدته يقرأ الخطبة من ورقة..ورغم فرط وقاره وعلمه الظاهر بدا لي أن نص هذه الخطبة قد أُمليَ عليه.. وتأكد هذا الإحساس من مضمونها الذي انصب على "الوحدة..عدم التفرق" وهو مضمون يتفق مع حالة التوتر الطائفي الموجودة بالبحرين بين الشيعة والسنة خاصة مع قرب الانتخابات البرلمانية في شهر نوفمبر القادم...وفي نهاية الخطبة أمَنّا وراء الإمام..وقد تضمن دعاءه الدعاء بالتوفيق للعاهل البحريني صاحب الجلالة ملك البلاد..وصاحب السمو ولي العهد..وكذلك صاحب السمو رئيس الوزراء...تفهمت ذلك – رغم غرابته على مسامعي – بالنسبة لجلالة الملك وصاحب السمو ولي العهد نظرا لاستقرار وجودهما تبعا للنظام الملكي الحاكم..لكنني لم أتفهم ذلك بالنسبة لرئيس الوزراء – وهو بالمناسبة عم جلالة الملك – نظرا لعدم

استقرار منصبه دستوريا..

وبتدبر الأمر قليلا بعد ذلك وجدت أن غالبية السنة بالبحرين – وهم على ما يبدو أقلية من حيث عدد السكان الأصليين – يتبركون بتعليق صورتيْ رئيس الوزراء وولي العهد إلى جانب صورة جلالة الملك – والذي يبدو مقبولا من الشعب أكثر منهما – في محالهم وحوانيتهم..تارةً إثباتا للولاء..وتارة أخرى نكاية في الشيعة – الأكثرية...

"إم بي سي بحرين"
السبت 20 سبتمبر 2014

عدت من جولة مع خالي إلى حيث الفندق.. ارتديت (بيجامتي) وجلست متلذذا أتشاهد التلفاز.. وفي الواقع فإنني فوجئت عند قدومي إلى البحرين أن أساطير (هيمنة الإعلام المصري) و(القوة الناعمة) و(القوة الفاتنة)..إلخ كان بها كثير من المبالغات... فمن بين 30 قناة فضائية تقريبا بالفندق الدولي لم أجد قناة فضائية مصرية واحدة! ابتلعت "دمار الأسطورة" في الأيام الأُوَل..ثم ثُرت في نفسي وعزمت أن أطلب..قناة واحدة..مصرية لتكون ضمن الباقة المدرجة..وبالفعل استجاب لي موظفو الفندق وقاموا بإدراج قناة "إم بي سي مصر".

فلما عدت من الجولة المذكورة قمت بتشغيلها وجلست أشاهد المذيع المنضبط "شريف عامر" مستضيفا ضيفين هما: الأستاذ الدكتور/ أحمد كريمة والأستاذ الدكتور/ عبد الله النجار..وهما من أساتذة الأزهر الكبار..وكان موضوع الحلقة عن "الهجوم على الدكتور/ كريمة لسفره إلى إيران في رحلة علمية"..وكان القسط الأوفر من الهجوم صادرا من مؤسسة الأزهر الرسمية بوصف ذلك تطبيعا مع إيران والشيعة..والحقيقة كانت الحلقة محترمة بين ضيفين محترمين من ذات المؤسسة لم يكن فيها

تطاولا أو خلافه..إلا أن الدكتور/ عبد الله النجار أخذ يهاجم في الشيعة ومحاولاتهم المستميتة لنشر التشيع ببلدان السنة وإحداث فتنة...وفجأة..وجدت من يغير القناة مركزيا ليأتي بقناة "الجزيرة الوثائقية"..!

على الفور أخذني الحماس الذي جاء بدلا عن حماس مشاهدتي للحلقة المتعة وقمت بالاتصال بموظفي الاستقبال في الفندق منبها أن أحد العمال يلهو بالقنوات وقام باستبدال قناة أخرى بقناة "إم بي سي مصر"... فوعدتني الموظفة ببحث الأمر فورا..

لم تمر دقيقتان حتى عاودتني باتصال..ولكن جاء صوتها باردا حازما هذه المرة: "نأسف لما حدث ولكن هناك عطل فني سيستغرق صيانته من 2–3 ساعات"! أغلقت الهاتف وأنا لا أشعر بصدق الكلام..وأخذت الريموت أتجول بين القنوات لأجد أن العطل – إن صدق قول الموظفة – لم يصب إلا قناتي المفضلة..!!

وبتدبر الأمر بهدوء أدركت متأخرا أن جرعة "الهجوم على الشيعة" كانت أزيد مما تحتمله اعتبارات الصفو العام والسلم المجتمعي بالبحرين..فالدولة تريد بكل الوسائل عدم توسيع الفجوة بين الشيعة والسنة...والظاهر أن برمجة القناة كانت "مركزية" بحيث يستطيع أن يشاهدها أي نزيل بالفندق مادام تم إدراجها في الباقة..

"يبقى إنت أكيد..أكيد في مصر"
الجمعة 26 سبتمبر 2014

عندما كان خالي يصطحبني في الأيام الأوَل لي بـالبحرين بـشكل شبه يومي في جولات بالبلد للتعـرف عليهـا – كـان كـثيرا مـا يـشير إلى أحـد المطاعم – أو (المقاصف) كما يسمونها هنا – يدعى "ليالي زمان".. وقد كان خالي يؤكد في كل إشارة إلى لطف هـذا المطعـم مـن حيـث موقعـه وجلـسته وسعره وخفة دمه..ثم كان يختم إشاراته تلك بأن مالكه: مصري...

كانت تمر الأيام دون أن أدخل ذلك المطعم...وفي خلال تلك الأثناء أشار إليّ أحد زملائي المصريين في العمل – والذي أثق كثيرا في أرائه – بحكمـة عامة أن: "إذا دخلت مطعما في البحرين ووجـدت دورة الميـاه الخاصـة بـه غير نظيفة فاعلم أن مالكه مصري"..!!

قلت في نفسي: إلى هذا الحد؟! لا لا يا أخي.. لا تكـن متجنيـا... مـن المؤكد أن ذلك من قبيل الـصدفة لا أكثـر... وفعـلا رفـضت هـذا التعمـيم في داخلي حتى فاجأني خالي بدعوته لي بعد صلاة الجمعة لتنـاول الغـذاء في مطعم (ليالي زمان)..

المكان فعلا لطيف.. يطل على بحر تمارس فيه بعـض الرياضـات مثـل (الجِت سكي).. يتوافر فيه الشيشا لمحبيهـا.. علاوة على بعـض الألعـاب

مثل الطاولة... وأتى نادل بقائمة الطعام..وللحق لم أكن جائعا جدا فطلبت أحد المقبلات الموجودة قليلة السعر لأفاجأ برد النادل: "هذا الصنف لا يقدم في الغذاء.. يمكنك طلبه ابتداءً من الساعة السادسة"... فقمت باختيار صنف آخر لأفاجأ بذات الرد... حينها أدركت أنه يجبرك على اختيار نوعية معينة من المأكولات التي تزيد في الكم أو السعر إلا إذا كنت ستأتي في المساء لشرب الشيشا والمشروبات الأخرى لتطلب تلك المقبلات الإضافية على سبيل (المَزة)....

هل يخيل لي أنني رأيت هذا المشهد من قبل؟؟ نعم رأيته كثيرا في مصر... عندما كنت أذهب إلى الكافيتيريا القريبة من المنزل لمشاهدة مباراة كرة قدم مشفرة على التلفاز العادي كما كان يفعل كثير من المصريون حيث يذهبون إلى إحدى الكافيتيريات التي تمتلك (وصلة) القناة المشفرة فترص الكراسي العديدة مثل دور السينما..ويتوجب على مرتادي سينما المباراة أن يطلبوا مشروبا في كل شوط..وحين تختار مشروبا رخيصا مثل (القصب) – من باب (تقضية الغرض) – تفاجأ أن النادل قد كشف مكيدتك بأن استبعد (القصب) من قائمة المشروبات طوال فترة المباراة فقط ويجبرك على اختيار إحدى المشروبات الأخرى مثل المانجو أو الجوافة أو الفراولة..والغريب أنه يقوم بتوحيد سعرها حتى لا تتذاكى وتختار الأرخص..! فإذا ما انتهت المباراة و(انفض المولد) تعود قائمة المشروبات

لطبيعتها تارة أخرى..!

نعم هو نفس الفكر... فِكر (خليك أذكى من الزبون..وماتخليهوش "يعلّم" عليك)..!

المهم.. بعد أن انتهيت من طبقي (الإجباري) رحت لأغسل يدي في دورة المياة..وقد كان!! فمجرد ولوجي من بابه باغتتني رائحة (صِنّة) ممزوجة بعبير (الفنيك) الشهير في مدارسنا قديما وكذلك أي دورة مياة عمومية... لا أعرف لماذا تم نقل التجربة المصرية فحذافيرها في دورة المياه... نقلها في أسلوب اختيار الطعام قد يكون مقبولا...لكن في نظافة دورات المياه؟! لا..وألف لا...!! وأمام اعتراضاتي النفسية الداخلية لم يكن بوسعي إلى أن أهرب مسرعا وأنا أشعر..بالغثيان!

لما شكوت الأمر لخالي أشار إلى أن نصيحة صديقي القديمة كانت في منتهى..الدقة! وحكى لي قصة قصيرة أحداثها حقيقية دارت عن أن رجلا مصريا كان يأخذ امرأته الإنجليزية كل فترة لإحدى المطاعم الراقية لتناول العشاء..وكان يطلب لها أجود وأشهى الأطعمة..فتستأذن امرأته في الذهاب إلى الحمام ثم تعود..وبعد الفراغ من أكله يفاجأ ان امرأته لم تأكل..! تكرر الأمر عدة مرات في أمكنة مختلفة حتى صاح فيها مرة قائلا: "هذا الأمر لم يعد محتملا..إنني أتكبد مبالغ طائلة في كل مرة أطلب لكي فيها الطعام..وفي النهاية لا تأكلين..!"..وأمام إصراره على معرفة السبب قالت

ببساطة: "إهدأ يا عزيزي.. كل ما في الأمر إننا عندما نأتي لأي مطعم أقوم بالـذهاب إلى دورة مياهـه لأسـتطلعهـا..فـإذا وجـدتها نظيفـة أكلـت علـى الفور..وإلا فمن لا يهـتم بنظافـة دورة الميـاه يكـون بالـضرورة غـير مهـتم بنظافة الطعام"..!

حقا..إنها وجهة نظر تستحق الاحترام...

"وارفعي الخفّاقَ الأخضرْ...
يحمل النورَ المُسَطّرْ [1]"

الأربعاء 7 أكتوبر 2014

من أعجب ما قد تراه في البحرين هو التركيبة السكانية.. حيث يزيد عدد الأجانب عن عدد السكان المحليين حسب الإحصاءات الرسمية بواقع 1٪.

والحقيقة أن هذه الظاهرة حديثة نسبيا، حيث كان السكان المحليون يزيدون عن الأجانب حتى نهايات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين.. ولكن يبدو أن هبات الربيع العربي قد إعادة رسم بعض السياسات الحكومية بدول الخليج لزيادة عدد الأجانب وتجنيس الكثير منهم وذلك لمجابهة أي تكتل شعبي ضد الأنظمة الحاكمة.

ولكن ما يثير الدهشة أكبر هو التواجد السعودي بالبحرين.. لا يعد من المبالغة في شيء إن وصفت البحرين بأنها "المنطقة الـ**14**" من مناطق (محافظات) المملكة العربية السعودية.

فعلاوة على السعوديين المقيمين بالبحرين والذين يشكلون تقريبا **5**٪ من عدد الأجانب المقيمين فيها – فإنه بحلول عطلة نهاية الأسبوع تفاجأ

---

[1] من النشيد الوطني للمملكة العربية السعودية.

بأن السعوديين في كل مكان! يمكنك بسهولة التعرف عليهم من سياراتهم الحاملة للوحاتها المعدنية ومن هيئاتهم أنفسهم.

من النصائح المنتشرة على المواقع الإلكترونية للسفر والرحلات: تجنب الخروج في البحرين مساء الجمعة والسبت..وكن شديد الحذر أثناء القيادة... فمعظم سائقي السيارات السعودية لا يلتزمون بقواعد المرور... بل إني رأيت أحدهم متبرما ذات صباح من طابور السيارات المنتظر حتى تفتح الإشارة..فما كان من ذلك الشاب السعودي إلا أن قرر أن يغادر الطريق عبر الرصيف الجانبي مستقلاً إياه بسيارته!

وبإمعان النظر قليلا تجد أن البحرين هي المتنفس الوحيد القريب من السعودية التي تقبع عاصمتها قرب حدود البحرين الغربية.. بحيث لا تستغرق رحلتك البرية أكثر من **4** ساعات بين العاصمتين.. السعوديون يخرجون من مجتمعهم شديد الانغلاق مساء الخميس ليأتوا حيث السينما وفتيات الليل والخمور!

وبعيدا عن ذلك التناقض الظاهري المفجع – فإن الوجود السعودي شديد الأهمية بالنسبة للبحرين... فالمملكة العربية السعودية هي الداعم الاقتصادي الأول للبحرين الفقيرة نسبيا في مواردها مقارنة بجيرانها.. فمن المدهش أن الريال السعودي يكاد يكون هو العملة الأجنبية الوحيدة المسموح بتداولها جنبا إلى جنب الدينار البحريني دون حاجة إلى تغييرها

بمكاتب الصرافة أو البنوك.. فلا تندهش إذا دفعت ثمن بعض المشتريات بالدينار البحريني لتجد البائع يعطيك الباقي ريالات سعودية..!

وعلاوة على الدعم الاقتصادي – تعد المملكة العربية السعودية أيضا الداعم الأمني الأول للبحرين..حيث كانت هي المخلص الرئيسي للبحرين عبر قوات "الجزيرة" من الأحداث السياسية الطائفية التي اندلعت في فبراير **2011** وحاولت الإطاحة بالنظام الحاكم آنذاك.

لذا لم يكن غريبا على حكومة البحرين أن أعلنت عن يومين كعطلة رسمية عارضة لجميع العاملين بقطاعها الحكومي والخاص فور وفاة الملك/ فهد بن عبد العزيز (رحمه الله) حدادا عليه..في الوقت الذي لم تعط فيه السعودية مثل تلك العطلة لمواطنيها في بلدهم..!

ويبدو أن السعودية تخشي التنامي الطائفي المتزايد من شيعة البحرين – المشكلين لنسبة **65**٪ تقريبا من عدد السكان المحليين – فتصحو ذات يوم لتجد منطقتهم الـ**14** قد تحولت إلى إحدى المحافظة الـ**32** لإيران الحالمة باسترداد إرثها القديم في البحرين!

وهذه قصة أخرى ربما نتناولها لاحقا..

"سرزد از افق...مهر خاوران...فروغ دي ده حق باوران...بهمن، فر ايمان ماست[2]"

الاثنين 14 أكتوبر 2014

قديما كان يطلق وصف "بلاد البحرين" على الساحل الشرقي من الخليج العربي كاملا شاملا أرخبيل البحرين وقطر والإمارات العربية المتحدة وعمان ومنطقة الهفوف بالسعودية.. ومرت الأيام حتى أطلق هذا اللفظ على ذلك الأرخبيل القابع شمال قطر وجنوب الكويت وشرق السعودية..

وقديما تنازعت عدة إمبراطوريات وممالك السيطرة على جزر البحرين، ومنها بلاد فارس – إيران حاليا – حيث ثبت في التاريخ القديم استيلاء الإمبراطورية البارثية **Persian Empire** على "بلاد البحرين" كما ذكر بأعلاه عن طريق الملك أردشير الأول.. وظل ذلك الأرخبيل ضمن الإمبراطورية الفارسية التي كانت في أواخر عهدها تولي عليها حكاما عربا تابعين لها حتى دخلت جزر البحرين في الإسلام في العام السابع الهجري (**629**م) وعين النبي (صلى) العلاء الحضرمي واليا عليها.

ومرت الأيام حتى عاود الفرس احتلالهم لجزر البحرين ما بين عامي

---

[2] من النشيد الوطني للجمهورية الإيرانية الإسلامية

1235م و1253م على يد أتابك فارس التركي – الفرس الأتـراك – إلى أن خضعت لحكام هرمز الفرس حتى أوائـل القـرن الخـامس عـشر عنـدما استولت عليها قبيلة (جبـور البدويـة).. وتجـدر الإشـارة إلى ظهـور اسـم مدينة "المنامة" لأول مرة في تلـك الفـترة.. ..وهـو الاسـم الـذي قـد يعـني (مكان النوم) أو (البيجاما) نفـسها الـتي يرتـديها الرجـل قبـل أن يخلـد للنوم..!

وفي عام 1602 استطاعت الدولة الصفوية "الـشيعية" – وهـي الدولـة التي أدخلت المذهب الشيعي رسميا إلى إيـران بعـد أن ظلـت نحـو 1000 عام تعتنق المذهب السني – احتلال أرخبيل البحرين حتى عـام 1783، حينما قام بنو عتبة – وهم مجموعة من الأسـر اسـتوطنت شـرق الجزيـرة العربية قادمين من نجد تشمل آل الصباح (الـتي تحكـم الكويـت الآن) وآل خليفة (التـي تحكـم البحـرين الآن) وآل جلاهمـة وغيرهـم مـن الأسـر – بهجوم بحري على البحرين ودحروا الدولة الصفويـة..

وظلت عائلة آل خليفة – بعد أن رفضت هي وعائلة آل ثاني الانـضمام إلى الإمارات العربية السبعة من خلال إمارتي قطر والبحرين – منـذ ذلـك الوقت في صدارة المشهد السياسي حتى نالت جزر البحرين اسـتقلالها عـام 1971..وقبيل ذلك جددت إيران مطلبها المطرد منذ أواخر القرن التاسـع عـشر بأحقيتهـا في ضـم البحـرين إليهـا بحـسبانها جـزءً أصـيلا مـن

الامبراطورية الفارسية القديمة..فما كان من الإنجليز قبل جلائهم عن البحرين إلا أن قاموا بعمل استفتاء شعبي بالبحرين عام **1970** حول الانضمام إلى إيران أو البقاء كدولة مستقلة باسم "البحرين"...واختار الشعب البحريني بأغلبيته الشيعية الاستقلال التام! وذلك ربما لأن إيران في ذلك الوقت لم تكن مغرية – بحكم الشاه المدني الاستبدادي – لسكان البحرين بالانضمام..في حين كان من الممكن أن يتغير الوضع إذا كان حكم (الخوميني) قد وصل إلى الحكم بشكله (الديني) الكفيل وحده بدغدغة مشاعر آلاف الشيعة البحرينيين..!

ومنذ ذلك التاريخ وإيران تضمر نوايا غير خافية لضم – أو بالأحرى استرجاع – البحرين...وهو ما وضح جليا إبان أحداث الربيع العربي – أو الخريف العربي – في فبراير **2011** حين حاولت إيران بشتى السبل تأجيج الموقف بالبحرين بشكل غير مسبوق لاستنساخ الانقلاب الدموي المسمى بالثورة الإسلامية في إيران... ولعل ما ساعد على ذلك الأمر التركيبة المعقدة لمواطني البحرين وتشابكها بشكل ملفت مع إيران...ومفاد ذلك أن مواطني البحرين ينقسمون إلى أربعة أقسام: السكان الأصليين للبحرين من السنة (ويسموا "عرب") – السكان الأصليين للبحرين من الشيعة (ويسموا "بحارنة") – السكان السنة من أصول إيرانية (ويسمون

"هُولِه[3]") — السكان الشيعة من أصول إيرانية (ويسموْن "عَجَم")..!

أما السكان الأصليين من السنة والشيعة فهم العرب أبًا عن جد..هم من ورثوا هذه الجزر عن أجدادهم الأُوَل جيلا بعد جيل..وهؤلاء السكان الأصليين يمكنك تمييزهم من خلال بشرتهم خمرية اللون..كما يمكنك أن تلحق بهم أصحاب البشرات السوداء وإن كانوا ليسوا من العرب الأصليين في البحرين حيث يرجح أنهم كانوا من العبيد الذين كانوا يباعون ويشترون منذ العصر الجاهلي – كما تشير لذلك المعلقات الشعرية الجاهلية وخاصة شعر عنترة بن شداد العبسي — حتى بدايات القرن العشرين...

في حين يرجع تاريخ نشأة (الهوله) و(العجم) بحسب بعض التقديرات إلى القرن العاشر...حيث بدأ العرب القاطنين للساحل الشرقي من الجزيرة العربية — حيث الفقر — في الهجرة نحو البر الفارسي الغربي المقابل في بلاد فارس الغنية وتحديدا في منطقة تعرف بـ(شيبكوه) حيث قطنوا هناك لسنوات طويلة أيام كانت بلاد فارس سُنية بالكامل...فلما جاءت الدولة الصفوية في القرن السابع عشر وفرضت المذهب الشيعي على البلاد انقسم عرب الجزيرة المهاجرين إلى (سنة)

---

[3] وكلمة "هولي" في ذاتها هي النطق الفارسي لكلمة (حولي) المشتقة من (التحول).. أيْ أن هؤلاء المذكورين قد (تحولوا) من ديارهم إلى ديار أجنبية... ثم بعد مرور زمن طويل (تحولوا) مرة أخرى إلى بلدهم الأم..!

وعلى الناحية الأخرى يبرر النظام الحاكم ظاهرة التجنيس بما قيل عن لجوء الشيعة في عهود سابقة – عندما بدأت الحكومة البحرينية تسجيل المنتسبين لها من خلال إصدار بطاقات هوية للمقيمين وكذا (الهُولة) و(العَجَم) العائدين من إيران – إلى زيادة عددهم اصطناعيا عن طريق استقدام عائلات شيعية غير بحرينية الأصل من دول أخرى كالعراق وإيران واللجوء إلى الاستشهاد ببعض المقيمين المسنين – مثل (شيخ الحارة) بمصر – على انتساب العائد لعائلة فلان البحرينية وأن أجداده كانوا يعيشون في البحرين..إلخ حتى يحصل على الجنسية...الأمر الذي حدا بالنظام الحاكم الآن إلى إعادة التوازن إلى أصله..!

لذا كانت مشكلة الشيعة في قاعها أعقد بكثير مما يلوح منها للرائي في الأفق..!

وقد ساعد على تلك المعضلة أيديولوجية المذهب الشيعي – خاصة الشيعة الإمامة الجعفرية – حيث تقدس الإمامة بدرجة كبيرة وتعتبرها أصلا من أصول الدين... الأمر الذي حدا بالرئيس السابق حسني مبارك وصف أغلبهم بإحدى حواراته التلفزيونية مع قناة العربية عام **2006** بقوله أن: "ولاء الشيعة العرب لإيران..وليس لدولهم"!..وذلك بالنظر إلى إيران كقيادة مركزية لشيعة العالم...

وبالرغم من انطباق مقولة (مبارك) تلك فعلا على قطاع واسع من شيعة

البحرين إلا إنه – للحق – لا يشملهم جميعا...كما أن ذلك القطاع المنقاد لإيران لا يميل حتى إلى التصريح بهذا الأمر.. وذلك ببساطة لأنه منذ سيطرة الشيعة على مقاليد الحكم في العراق وأقرانهم البحرينيون يتبعون العراق – وليس إيران – مذهبيا تحت قيادة السيد (علي السيستاني) رسميا بوصفه نائب الإمام الغائب في ذلك القُطر.. فيتبعون فتاواه في شؤون الدين مثل تحديد بداية ونهاية العام الهجري وما يستتبعه من تحديد يوم الصيام ويوم الفطر[4]...وربما ساعد على ذلك أن العراق عربية مثلما البحرين مما يسهل التواصل بين القيادة والأتباع...وتتكامل سلسلة تبعية شيعة البحرين لإيران بالنظر إلى تبعية السيد (علي السيستاني) ذاته – وغيره من قيادات الشيعة العراقيين – للزعامة الدينية المركزية في إيران والمتمثلة في السيد (علي خامنئي)...الأمر الذي يجعل كل تجمعات الشيعة في أنحاء العالم تابعة دينيا بطريق غير مباشر للزعامة الدينية الأم بإيران...

---

[4] جرت العادة أن يسبق التقويم الهجري الخاص بالسُّنة مثيله الخاص بالشيعة – رغم وحدته – بواقع يوم واحد، ولا يتحدان مجددا – قسرا – إلا في عيد الأضحى حيث تنفرد المملكة العربية السعودية بتحديده بوصفها المنوطة بالحج.
ويتشابه ذلك الأمر كثيرا مع ما كان يحدث منذ 15 عاما تقريبا وما سبقها من اعتماد كل دولة على استطلاع الهلال بالعين المجردة – الأمر الذي أدى إلى شذوذ في التقويم بين الدول المسلمة، حتى إنه حدث في إحدى سنين الثمانينيات تقريبا أن كان عيد الفطر موزعا على 3 أيام بين الدول المسلمة نظرا لتضارب الرؤية الشرعية بينهم! وذلك حدا بمفتيي الأقطار مؤخرا إلى الاعتماد أكثر على التقويم الفلكي (الحسابي) والذي يعد أدق بلا شك.

وعلى الرغم مما سبق – أعتقد أحيانا بمبالغة معظم البحرينيين السنة في خوفهم من الشيعة... لاشك أن البحرينيين السنة قد شهدوا أحداثا جساما نسبيا من الشيعة في فبراير **2011**.. وفي ذات الوقت لا يغفر الشيعة للسنة ما عدوه (تخاذلا) منهم في مواجهة النظام الحاكم في تلك الأحداث حيث يرون أنهم جبنوا سريعا رغم استيائهم هم أيضا من الظروف السياسية والاقتصادية بالبلاد... وقد أدى ذلك الاستعداء الخفي إلى أن أصبح معظم البحرينيين السنة يتجنبون مجرد السير في أحياء الشيعة رجالا أو ركبانا... وانقطعت صداقات بعضهم البعض... وقد أثر ذلك على سلوك الشيعة فأصبحوا أكثر انعزالا وعدائية تجاه مواطنيهم السنة... لكن الشيعة هنا يحبون المصريين لأنهم يعدون ثورة **25** يناير هي الملهم الرئيسي لأحداث الربيع العربي باعتبارها امتدادا للثورة المسماه بالثورة الإسلامية بإيران عام **1978** على حد زعمهم.. كما سمعت عن محبتهم للإخوان المسلمين تحديدا ربما لتشابه هيكل الإخوان التنظيمي مع فكرة الإمامة وولاية الفقيه..

والشيعة هنا لا يحبون كثيرا إظهار أنفسهم كمعارضة طائفية..ولكنهم يحبون تعريف أنفسهم بـ"المعارضة السياسية"..وهم يميلون أيضا إلى تقديم أنفسهم على أنهم التيار الإصلاحي والمتمسك بالأخلاق والقيم العربية..فلا يميلون ظاهرا إلى التمدين أو الانحلال...هم يتشابهون كثيرا مع الإخوان

المسلمين بمصر...خصوصا في مبدأ "التقية" المعروف..

وفي كل الأحوال – يبدو أن إيران تلعب لعبة السياسة القديمة باستخدامها حقوق الشيعة كذريعة للتدخل في شئون الدول المجاورة أملا في بسط نفوذها واسترداد مملكتها القديمة.. وذلك كما فعل الاتحاد السوفييتي في منتصف القرن العشرين حين كان يتدخل في شئون الدول تحت زعم حماية الأحزاب الشيوعية.. وكذلك تفعل الولايات المتحدة الأمريكية الآن تحت زعم حماية حقوق الإنسان... وهو الأمر الذي ضخم كثيرا من خطر الشيعة في الوقت الذي لا يشكل معتقدهم ذلك الخطر والتنافر كما هو ظاهر الآن..

أما عن ذلك المعتقد وحدوده المشكّلة لما يعرف بمذهب "الشيعة الإمامية الجعفرية" فهو ما قد أتناوله في خواطر تالية..

"Bahrain Taxi vs. Cairo Cab"

الثلاثاء 21 أكتوبر 2014

نظرا لضرورة إجرائي بعض الفحوصات الطبية – قمت بطلب سيارة أجرة عن طريق الهاتف..وهي شركة تدعى (بحرين تاكسي)..حصلت على معلومات وافية عنها قبل أن آتي إلى البحرين عن طريق الإنترنت.. وبالفعل كانت مثلما وصفت.. سيارات أنيقة.. تأتي في الموعد المحدد.. عدادات الأجرة يعول عليها.. والأهم من كل ذلك (التفاني).

وذلك الشعور بالتفاني كان مبعثه أن المسافة بين منزلي (نقطة الانطلاق) والمستشفى (نقطة الوصول) لا تتعدى كيلومتر واحد في المسافة أو دقيقة في الوقت..حتى أن عداد الأجرة ظل على مبلغ البداية! ومع ذلك لم يخذلني في أي مرة من المرتين التي استخدمته فيها لذات الرحلة..

وسر اندهاشي من ذلك التفاني هو مقارنتي (بحرين تاكسي) بـ (كايرو كاب) أو ما يطلق عليه (تاكسي العاصمة) بمصر... فقد عادت بي الذاكرة إلى الوراء حتى عام 2006 عندما كنت بالكاد قد تخرجت في كلية الحقوق.. وبعدها مباشرة وجدت عملا في أحد مكاتب المحاماة القاطن بمنطقة أرض الجولف بمدينة نصر في حين كان منزلي في مساكن الشيراتون بمنطقة النزهة (المسافة 3 كيلومتر تقريبا)...في ذلك التوقيت

وأنا مازلت شابا غضا لم أكن قد امتلكت سيارة خاصة بي بعد.. لذا ففي إحدى الأيام فكرت في استقلال ذلك التاكسي الظاهر حديثا باسم (تاكسي العاصمة) — وهو الوقت الذي لم يكن (التاكسي الأبيض) قد ظهر بعد ومن ثم كان التاكسي ذو اللونين الأسود والأبيض منفردا بصدارة المشهد دون وجود عداد للأجرة مستغلا احتكاره للسوق فيبدع في صنوف ابتزاز الركاب مع عدم الاهتمام بنظافة سيارته...المهم طلبت رقم الشركة متحمسا فكان الحوار كالتالي:

الموظف: ألو..كايرو كاب في خدمتك يا فندم

أنا: ألو مساء الخير

الموظف: مساء النور يا فندم

أنا: من فضلك أنا عايز تاكسي ييجي ياخدني من بيتي لأرض الجولف كمان ساعتين

الموظف: تحت أمرك يا فندم...ممكن نعرف حضرتك فين بالضبط؟

أنا: مساكن الشيراتون

فسكت الموظف لحظة كأنه يفكر في حسبةٍ ما ثم قال: متأسف يا فندم.. مافيش أي تاكسيات متوفرة

وبطبيعة الأحوال تخيلت أن ذلك صدفة — رغم غرابتها وأنا المتصل قبل الموعد بساعتين ولا أتصور أن الطلب على التاكسي بهذا الكم — فما كان

مني إلا أن حاولت مجددا في اليوم التالي وكررت نفس الطلب.. ولكنني فوجئت هذه المرة أيضا بأن الجواب مماثل بالرفض... ولا أتذكر كيف انتهت المكالمة على وجه التحديد.. ولكني أدركت وقتها أن السبب الوحيد للرفض هو قرب المسافة النسبي بين منزلي ومقر عملي...الأمر الذي اعتبرته الشركة "مش جايب همه"..!!

والذي حدث بعد تلك السنون أنا هذا التاكسي المسمى (بتاكسي العاصمة) قد فشل ولم يعد له وجود الآن.. وأصبح البديل الآن هو (التاكسي الأبيض) والذي لا يخلو من مشاكل عديدة هو الآخر... ولا غرو في ذلك الفشل مادام فكر الإدارة على هذا النحو!

"جنة دلمون المفقودة"

الأحد 26 أكتوبر 2014

بما أن اليوم عطلة رسمية في البحرين بمناسبة رأس السنة الهجرية — فقد قمت بالذهاب مع بعض أصدقائي المصريين إلى مدينة الألعاب المائية الأكبر في البحرين والتي تعرف بـ "جنة دلمون المفقودة"...و"دلمون" هو اللفظ المحلي الأشهر في البحرين والذي يشير إلى تلك الحضارة القديمة التي قامت قبل خمسة آلاف سنة في مملكة البحرين القديمة على طول الساحل الشرقي من الخليج العربي بدءً من الكويت شمالا حتى سلطنة عمان جنوبا.. وتزامنت تلك الحضارة مع حضارة بلاد ما بين النهرين بالعراق شمالا وحضارة ميلوخا في وادي السند (الهند) شرقا والحضارة الفرعونية بمصر غربا...

ذهبنا إلى مدينة الألعاب المائية تلك والواقعة في منطقة تسمى "العرين" بوسط غرب البحرين فوجدناها ممتعة أيما متعة...هي ليست بالكبيرة في الحجم مقارنة بحجم البحرين...لكنها كانت منظمة بعناية بدءً بدقة المعلومات المتوفرة عنها عبر الإنترنت ومرورا بنظام ونظافة المدينة من الداخل...وقد ازدادت متعتنا بعدم ازدحام تلك المدينة اليوم حيث يعزف معظم الشيعة البحرينيين عن التنزه والترفيه في شهر محرم بشكل عام

حدادا على مقتل الإمام الحسين في العاشر من ذات الشهر...

ولكن تكمن مشكلة تلك الملاهي المائية في أنها مكشوفة..وهو الأمر الذي يجعل من الصعب ارتيادها صيفا - نظرا لشدة الحرارة – أو شتاءً نظرا للبرودة النسبية.. ومن ثم لا يمكن زيارتها عمليا إلا في الخريف أو الربيع..

المهم..هو مكان يستحق الزيارة...

"من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه"

الثلاثاء 28 أكتوبر 2014

العنوان المسطور أعلاه هو جزء من حديث صحيح رواه مسلم وأحمد يعرف بحديث (غدير خم) ولكن اختلف السنة والشيعة في تفسيره... فالشيعة عدّوه دليلا على استخلاف النبي (صلى) لعلي بن أبي طالب (رضي) من بعده..أما السنة ففسروه على أنه يخلو من أية إشارة للإمامة المزعومة...وتزخر السنة النبوية بالأحاديث الصحاح الأخرى التي جاءت على تعظيم آل بيت رسول الله مثل حديث: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة".. ففسرها الشيعة من باب (الإمامة) بينما عدها السنة من باب (التوقير والتشريف)..

والحق أن جُل الناس يبالغ كثيرا في استظهار الاختلاف بين عقائد السنة والشيعة حتى يخيل أن الأخارى من دين آخر أو كائنات فضائية..وفي ذلك ظلم بيّن للشيعة – وخاصة الزيدية... فالمتأمل لأحكام الطائفتين الشيعية بروافدها والسنية بمذاهبها يجد تماسا كبيرا بينهما لا يعدوا كونه اختلافا مذهبيا تحت دين واحد.. بل إن هناك من المذاهب السنية ما يبلغ من الشذوذ عن المعتاد ما لم يبلغه الشيعة!

ولنضرب أمثلة بالشيعة الإمامية (الجعفرية) — وهي الطائفة الشيعية الأوسع انتشارا في العالم وهي المذهب الرسمي لدولة إيران:

- فبالنسبة لـ(أصول الدين) عند السنة والشيعة فهي واحدة ومصادرها واحدة..هم يزيدون فقط في مسألة (الإمامة) معتمدين على تفسيرهم — الذي يمكن وصفه بالوجيه حتى لو اختلفنا معه — لأحاديث ثابتة عند السنة قبل الشيعة...فالشيعة الإمامية يؤمنون بأن النبي (صلى) استخلف **12** إماما معصوما مذكورين بالاسم بدءً من علي بن أبي طالب — كرم الله وجهه — حتى محمد بن الحسن المهدي الذي ظهر ثم غاب ليظهر في آخر الزمان فيملأ الأرض خيرا وعدلا — وهو الملقب بالإمام الغائب..وذلك استنادا إلى ما أورده رجل يطلقون عليه (مؤمن الطاق) حيث كان أول من ادعى أن النبي (صلى) قد أوصى باثني عشر إماما بالاسم يتوارثون الإمامة الدينية من بعده وأنهم جميعا معصومون[5]..وكان ذلك

---

[5] ومؤمن الطاق هو محمد بن علي بن النعمان بن أبي طريفة البجلي، راوٍ من كبار رواة الشيعة الإمامية، وله خلاف مشهور مع الإمام زيد بن علي زين العابدين، حيث أنكر زيد بن علي عليه فكرة العصمة وتوارث الإمامة رغم ادعاء مؤمن الطاق أن أبا زيد — الإمام علي زين العابدين — هو من أخبره بهذ السر وأنه — أيْ أباه — كان ذاته معصوما ولم يرد إخبار ابنه زيد لئلا يفتتن في دينه..فتعجب زيد من تلك الرواية وأنه كيف يخفي عنه والده ذلك السر الخطير ويقوله لمؤمن الطاق!
وكان ذلك التاريخ تحديدا هو بداية انقسام الشيعة إلى شيعة إمامية وأخرى زيدية نسبة إلى زيد بن علي زين العابدين الذي رفض ادعاءات مؤمن الطاق بالعصمة وتوارث الإمامة، لذا تعد الشيعة الزيدية أقرب المذاهب الشيعية إلى مذاهب أهل السنة في العقيدة والفقه.

بدوره استنادا في الأساس إلى حديث نبوي مثير للجدل رغم صحة سنده الوارد في صحيحيْ البخاري ومسلم عن جابر بن سمرة عن أبيه قال: سمعت رسول الله (صلى) يقول: "*لا يزال الإسلام عزيزا إلى اثني عشرة خليفة*، ثم قال – والكلام مازال على لسان سمرة بن جندب – كلمة لم أفهمها" فقال (جابر) لأبيه: ما قال؟ فقال سمرة: كلهم من قريش[6]!

ومنذ شيوع هذا الحديث والمسلمون منقسمون على تفسيره إلى سبع مسالك رئيسية من بينها مسلك الشيعة الإمامية الذين أنزلوه على أئمتهم الإثنى عشر رغم أنهم لم يكونوا خلفاء من زاوية الحاكمية إلا بالنسبة للإمام علي (رضي) فقط..!

ورغم ذلك الاختلاف الشاسع الذي حدث وتبعه ما تبعه من آثار إلا أن ذلك لم يمنع الالتقاء العقائدي بين الشيعة والسنة باتفاقهم على مجيء ما يُعرف بـ(المهدي المنتظر) – ولاحظ التطابق بين لفظيْ (المهدي) عند الشيعة والسنة – الذي يظهر في آخر الزمان فيملأ الدنيا خيرا وعدلا..إذًا فالأصل واحد وإن اختلفت المسالك العقائدية..

---

[6] في الحقيقة لا أدري كيف لم يفهم سمرة بن جندب ما قاله رسول الله (صلى)، ثم بسؤال ابنه له أجاب على الفور بأن تلك الجملة غير المفهومة هي "كلهم من قريش"؟!...فالحديث الوارد يعزي التمتمة غير المفهومة للرسول (صلى)...كما عزى الجواب "كلهم من قريش" أيضا إلى الرسول (صلى) رغم عدم ورود دليل في متن الحديث على أن سمرة بن جندب قد سأل رسول الله عن ما أشكل عليه فهمه أول الأمر..!

- هم يؤمنون بـ(التقيّة) باعتبارها امتثالا لمنهج الله الوارد في عدة مواضع من القرآن والسنة مثل {وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ} ويفردون لها بابا مستقلا..في حين يؤمن بها السنة أيضا لكن لا يميلون إلى التوسع كثيرا فيها..

- صلاتهم مثل صلاتنا في مجملها – دون إخلال بالاختلافات الفقهية المعتادة في هذا الشأن والواردة في كتب السنة...وقد أشاع بعض جهال السنة أن الشيعة لا يصلون الجمعة..وهو محض افتراء حيث يجمع الشيعة على وجوب صلاة الجمعة للرجال بشرط وجود (الإمام المعصوم) أو "من يمثله" في ذات البلدة بحيث لا يبعد عن 11 كيلو متر تقريبا..حينئذ يجب شد الرحال إليه لصلاة الجمعة خلفه...كما لا يجوز أن تكون المسافة بين صلاة الجمعة وبين صلاة جمعة أخرى أقل من خمسة ونصف كليومتر تقريباً...هم إجمالا يقدسون (الإمامة) ويهتمون بفكرة (الجماعة) كثيرا...وفي كل الأحوال تعد الجمعة – في غيبة اشتراطات وجوبها – من الأمور المستحبة عندهم فيكون إتيانها أولى...وبذلك فهم غير مختلفين كثيرا عن آراء السنة التي تندب صلاة الجمعة في المسجد الجامع وتحبب في ذلك.. كما يصلى الشيعة الإمامية على (التربة الحسينية) إذا كان مصلاهم ليس رملا أو حصى أو تراب أو ما تنبت الأرض من غير المأكول أو الملبوس...والتربة الحسينية هي طين مجفف بالشمس مأخوذ من أرض

كربلاء.. ورغم شذوذ المسألة بالنسبة للسنة إلا أن الشيعة يستندون في ذلك إلى أحاديث السنة ولكن بتأويل مختلف...كما يتوسع بعض الشيعة الإمامية في جواز الجمع بين الصلاتين على عكس السنة الذين يجيز بعضهم جمع الصلاتين عند الحاجة..والطريف أن كلا الفريقين يستندان لذات الحديث النبوي المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما...

- صيام الشيعة الإمامية إجمالا مثل صيام السنة ولكنهم في عمومهم لا يُقرون الصيام في السفر..على عكس السنة الذين يجيزون في العموم الصيام في السفر..كما أنهم لا يقرون صلاة الجماعة في قيام ليل رمضان —أو ما يسميه أهل السنة (صلاة التراويح) — حيث يعدونها من البدع التي أدخلها عمر بن الخطاب بعد وفاة النبي (صلى)...أما الزكاة والحج فهما ركنان من أركان الإسلام عند الشيعة مثلما السنة تماما...ولكن زكاتهم الواجبة هي (زكاة الخُمس) وليست (زكاة نصف الخُمس) مثل السنة...كما أنهم يزيدون على حج مكة حجا آخر مستحبا يعرف بـ(حج عرفة العراق) عن طريق زيارة أضرحة أئمتهم المدعَى عصمتهم بالعراق..وخصوصا مدينة النجف الأشرف...

- يشرع عند الشيعة (نكاح المتعة) أو (عقد النكاح المؤقت) ولا يسمونه "زواجا"...هم يعدونه قربة من القربات إلى الله حين يخشى المرء على نفسه من الفتنة..وذلك استنادا إلى حِله إبان النبوة دون اعتراف بنسخ

مشروعيته في حجة الوداع..وقد ساعد على ذلك أن (نكاح المتعة) لم يتفق السنة أنفسهم على نسخه...فقد ورد عند السنة أن عبد الله بن عباس (رضى) لم يقل مثل باقي الصحابة بنسخ (نكاح المتعة) وظل على ذلك زمنا بعد وفاة النبي (صلى)...ومؤخرا صدرت عدة فتاوى من فقهاء السنة يبيحون ما يسمى بـ(زواج المسيار) نظرا لعدم قدرة الشباب على مؤونة الزواج العادي وأعبائه فأباحوا تنازل الزوجة عن المسكن والمهر والعدل في المبيت والنفقة — وهي أمور تعدو اشتراطات الشيعة في (نكاح المتعة) بغير قليل..!

■ قال بعض غلاة السنة بأن الشيعة عندهم مصحف غير كتاب الله يسمى (مصحف فاطمة)...وهو حق يراد به باطل..فالمسمى موجود فعلا عند الشيعة عن كتاب كان يتداول من إمام تلو إمام حتى أخفاه الإمام الثاني عشر حسب رواياتهم..ولكن فقهائهم منذ قديم الأزل يفتؤون ينكرون أنه قرآنا غير كتاب الله أو أنه متعبد بتلاوته أو غير ذلك..ولكنهم يعزون ذلك الأمر إلى بعض الأحاديث الثابتة عندهم أن وحيا نزل بكتاب "فيه علم" فقط..اختص به الله السيدة فاطمة (رضي) زوجة علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه).. هو فيه علم وشروح لدين الله وإنباء بأحداث سوف تحدث في المستقبل وحدثت حسب تفسيرهم..كما جيء فيه بأسماء الأئمة الإثنى عشر وغيرها من الأمور.. وهي إيديولوجية تقترب كثيرا من أيديولوجية

الطائفة المسيحية الأرثوذكسية التي وصفت تلاميذ عيسى (عليه السلام) بأن وحيا جاءهم يملي عليهم شروح الإنجيل الذي نزل على (يسوع)..فهم كانوا يكتبون ما يوحى إليهم حسب معتقدهم فظهرت الأناجيل الأربعة المعتمدة...ويشترك معهم اليهود في هذا الأمر حيث يؤمن يهود العالم الآن أنه لا يوجد ما يسمى بتوراة موسى..هم يعلمون أنها فقدت..ولكن أسفارهم الحالية ما هي إلا كتب علم وشروح للتوراة المفقودة... إذًا هي فكرة قديمة حديثة وربما تكون قد تسربت للإسلام عبر الشيعة من خلال أهل الكتاب القاطنين بمنطقة الهلال الخصيب[7] قبل ظهور الإسلام بزمن...نعم..قد يؤدي فرط القداسة إلى هذا...وفي النهاية لكل مجتهد نصيب..وكلٌ سيحاسب أمام الله عما اجتهد ليعتقد به.. {ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون}...

- أما عن بعض مظاهر إحياء الشيعة لذكرى عاشوراء مثل (التطبير) — وهو ضرب الرأس بآلات حادة حتى تسيل الدماء اقتداءً بالسيدة زينب بنت عليّ حزنا على مقتل أخيها الحسين وتماهيًا بأبيها الإمام عليّ (رضي) الذي قُتل بضربة سيف في رأسه — فهي فعلا ممارسة وإن كانت منتشرة باضطراد من زمن في بعض الأقاليم بإيران والعراق والهند وباكستان إلا إنها ليست ممارسة عامة متفق عليها بين الشيعة..

[7] يطلق لفظ (الهلال الخصيب) على الجزء الساحلي من بلاد الشام وكذلك حوض نهري دجلة والفرات بالعراق، وتشتهر بأنها مهد الحضارات ومنطلق الأنبياء.

ففي حين اعتبرها بعض أئمتهم فرض كفاية واعتبرها الآخر مستحبة — ذهبت مراجع شيعية هامة أخرى نحو النهي عنها بل وتحريمها صراحةً...ومع ذلك فقد بدأت تلك الظاهرة في الظهور مجددا في البحرين منذ عام 2001 بعد أن كانت قد انحسرت في فترة التسعينات من القرن العشرين.. والغريب أن عادة (التطبير) لم تُعرَف عالميا إلا في نهاية القرن التاسع عشر حيث ظهرت لأول مرة بمدينة (الكاظمية) العراق على يد شيعة قدموا من آسيا الوسطى بعد أن جلبوا معهم ما يسمى (قامة روسية) — وهو السيف المصنوع في روسيا — وعدُّوا تلك الممارسة نوعا من البطولة في التعبير عن الألم والحزن في ذكرى عاشوراء..

كما ظهرت مؤخرا بدعة عنيفة أخرى للأسف من قبل بعض متشددي الشيعة بالبحرين تسمى (المشي على الجمر) — والتي لا يحتاج اسمها إلى شرح بالطبع — قوبلت باستنكار شعبي ورسمي واسعيْن فأصدرت (إدارة الأوقاف الجعفرية) — وهي السلطة الدينية الرسمية لشيعة البحرين — بيانا ذكرت فيه "رفضها المطلق لإقامة مثل هذه البدعة الدخيلة والمسيئة لقيم ومبادء شعائر عاشوراء الإمام الحسين (ع)"...

- وأما ما أشاعه بعض غلاة السنة من أن الشيعة يسبون الصحابة فهو فيه كثير من مجافاة الواقع...فالشيعة يعتمدون في هذا الأمر — حسب المنطق وكذا أقوال كبار أئمتهم — إلى أن ليس كل الصحابة خيرون مرضي

عنهم.. فليس شرطا أن يكون تقيا كل من شاهد النبي (صلى) في حياته خاصة مع زيادة عدد الصحابة وقت وفاة النبي (صلى)، وذلك في ضوء ما رواه البخاري عنه (صلى) بأكثر من طريق أنه قال: *"يردن عليّ ناس من أصحابي الحوض، حتى عرفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي: فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك!"*...لذا فالشيعة يعدون الصحابة – إجمالا – بشرا يصيبون ويخطئون لهم الاحترام والتوقير خاصة من ثبت عليه ذلك بقول النبي (صلى)...وهؤلاء الذين ورد في ذكرهم ثناءً من النبي (صلى) أو كانوا من صحبة أو شيعة على (رضي) هم الأشد تبجيلا.. وفي كل الأحوال ينكر أئمة الشيعة على من يسب الصحابة بشكل عام حتى من اختلفوا معهم اللهم إلا معاوية بن أبي سفيان وأبنائه من بعده.. ومثال ذلك السيدة عائشة (رضي) فهم لا يميلون إلى التصريح بانتقادها..هم فقط يشيرون إلى أخطاء ارتكبتها..فهم لا ينكرون أنها أم من أمهات المؤمنين التي تستحق الاحترام والتبجيل..وذلك استنادا إلى أن عليّ (رضي) قد اصطحبها – بعد موقعة الجمل الشهيرة – من الشام إلى بيتها في المدينة المنورة بنفسه تنفيذا لوصية النبي (صلى) رغم إيمان الشيعة بأن السيدة عائشة كانت هي محرك الفتنة..وأنها كانت تضمر حقدا لعليّ (رضي) منذ حياة النبي... ويحاول الشيعة تبرير وجهة نظرهم بأن السيدة عائشة كانت محط اتهام من النبي (صلى) ذاته وقت حادثة الإفك حين مال النبي (صلى) نحو

تـصديق الواقعـة وقـال قولتـه الـشهيرة: *"يـا عَائِـشَةُ ، إِنْ كُنْـتِ أَلْمَمْـتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ"* حتى نزل قول الله مبرئا إياها...كما لا ينسى الشيعة لأبي بكر رفضه أن يقسم للسيدة فاطمـة (رضـي) والعبـاس (رضي) ميراثهما من النبي (صلى) بعد وفاته..ولم يهتم الشيعة كـثيرا في رواياتهم بموقف أبي بكر تجاه العباس عـم الـنبي (صـلى) مثلمـا اهتمـوا بموقفه من السيدة فاطمة (رضي) حيث قـال لهـا: "إن رسـول الله (صـلى) قال: *لا نـورث مـا تركنـاه صـدقة"*..وقيـل أنهـا قاطعـت أبـو بكـر حتـى ماتت..واستند الشيعة في كرههم لموقف أبي بكر إلى ما رواه البخـاري عـن رسول الله (صلى) أنه قال: *"فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني"*.. ولم يقبل الشيعة بالطبع إنزال هذا الحـديث علـى الإمـام علـيّ (رضـي) حـين خطب ابنة أبي جهل تمهيدا للزواج بها على زوجته السيدة فاطمة حيـث ضعّف الشيعة الحديث الوارد في هذا الشأن – رغم صحة سنده وروده من أكثر من طريق – والذي رصد غضب النبي مـن فعلـة الإمـام علـيّ (رضـي) حتى رجع الأخير عن خطبته لابنة أبي جهل...كما لا يستـسيغ الـشيعة كثيرا عمر بن الخطاب وذلك لسببين رئيسيين..الأول منهما هو اعتقادهما أن عمر بن الخطاب منع الرسول (صلى) من كتابة وصيته بتولية الخلافـة للإمام عليّ (رضي) من بعده..وذلك استنتاجا منهم لمضمون ما كان سيقوله رسول الله (صلى) عند معالجته لـسكرات المـوت حيـث ثبـت عنـد الـسنة

والشيعة أنه (صلى) قد أمر الصحابة أن يـأتوا بـصحيفة لكـي يكتـب لهـم فيها وصية لا يضلون من بعدها فمنعهم عُمَر فيما يبـدو منعـا لإرهاقـه لا أكثر..أما السبب الثاني لعدم استلطاف الشيعة لعمر بن الخطاب هـو ورود العديد من الأحاديث التي تبرز مكانة عمر الرفيعة في الإسلام مثل موافقـة القرآن له في ثلاث نوازل هـي: آيـة الحجـاب وآيـة الأسـرى وعـدم إقامـة الصلاة على المنافقين..حيث رجَح اجتهاده في تلك الحوادث اجتهاد الـنبي ذاته قبل أن تنزل آي القرآن موافقة لرأي عمر بن الخطاب...وبـالطبع رأي الشيعة أن تلك الأحاديث تضع عمر في مكانـة تـسبق الإمـام علـي (رضـي) بشكل يتعارض مع قداسة الأخير في أعينهم..فضعّفوا أيضا تلك الأحاديـث الناقلة لفضل عمر بـن الخطـاب في الإسـلام لاسـتحالتها عقـلا مـن وجهـة نظرهم رغم صحة سندها..وربما فات الشيعة أن القرآن قد أنـصف الـسيدة المسكينة المجادلة للنبي (صلى) في حكم إيلاء زوجها لها رغم قطع الـنبي – اجتهادا – بوقوع الطلاق وتحريم زوجهـا عليهـا..فنـزل القـرآن ناصـفا السيدة على اجتهاد رسول الله بقوله تعالى {قد سمع الله قول التي تجادلـك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يـسمع تحاوركمـا..}[8]..فـلا غـرو إن نـزل القرآن موافقا رأي الصحابي الجليل عمر بن الخطاب من باب أولى! وأيًا مـا كان الأمر فلا يصل عموم الشيعة إلى العداء الصريح لأبي بكـر وعمـر...أمـا

[8] المجادلة: الآية 1

عثمان فالشيعة يكاد يسقطونه تماما من اعتبارهم ولا يستندون لما روي عنه لخلافات كثيرة معه يطول شرحها في هذا المقام...وباختصار تستطيع معرفة الصحابة الذين يجلهم الشيعة بالنظر لكَمّ تعاطفهم مع آل البيت..فإن كانوا قد تعاطفوا معهم – ولا سيما لو كانوا ممن اشتركوا مع الإمام علي (رضي) في قتال معاوية مثل عمار بن ياسر – فهم لا شك مرضيٌ عنهم من رب العالمين..وإلا فلا...

وأمام ذلك الكم الذي لا بأس به من التلاقي العقائدي والفقهي بين أهل السنة والشيعة لم يكن غريبا أن يعتمد الأزهر الشريف – والذي أسسه الشيعة الإسماعيلية (الفاطميون) – المذاهب الشيعية ضمن المقرر الأساسي لطلبة الفقه المقارن..كما أن كليات الحقوق بمختلف فروعها بمصر دأبت على إبراز الأراء الفقية الشيعية في كل مسألة من مسائل مادة الشريعة الإسلامية طوال السنوات الأربع للدراسة..وقد دأبنا على سماع الثناء من أساتذتنا على عمق وقيمة الآراء الفقهية لبعض كبار علماء الشيعة..فسمعتهم يثنون على بعض مؤلفاتهم مثل (شرح النيل وشفاء العليل) للعلامة/ محمد بن يوسف أطفيش...وجاءت وثيقة الأزهر الشهيرة التي أصدرها فضيلة الشيخ/ محمود شلتوت شيخ وإمام الجامع الأزهر في إبريل عام **1960** بجواز التعبد بمذهب الشيعة الإمامية لتكون مصداقا لهذا الطرح...

لكن يثور السؤال: لماذا زاد الاحتقان بين السنة والشيعة في زماننا هذا؟ ألم يشهد التاريخ تقاربا ملحوظا تكلل في بعض الأحيان بزواج ملوك سنة وشيعة من بعضهم البعض كما حدث عام **1939** بين الأميرة فوزية أخت ملك مصر والسودان ومحمد رضا بهلوي ولي عهد شاه إيران؟

تبدو إجابة هذا السؤال عسيرة بعض الشيء...لكن من المؤكد أن أهم أسباب ذلك التوتر – والذي باعد بين التقارب المذهبي لفترات طويلة على مر العصور – تنحصر في: العصبية والسياسة...

فالعصبية (دينية) المَظهر (قبلية) المَخبر هي من جعلت كل طرف حريصا أشد الحرص على استقطاب الطرف الثاني مذهبيا..بحيث يقوم أهل السنة بمحاولة تسنين المجتمع الشيعي..وكذا يحاول أهل الشيعة تشييع المجتمع السني...وهذا أس المشكلة! فالقرآن حين دعانا للتحاور مع من نختلف معهم عقائديا لم يأمرنا بجرهم جرًّا نحونا بعيدا عما يؤمنون به..كما نهانا عن سب معتقداتهم وتسفيهها لئلا يردوا علينا بالمثل حيث قال الله تعالى: {وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِيْنَ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ[9]}...كما أرشدنا للطريقة المثلى بقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ

---

[9] سورة الأنعام: 108

شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[10]}..والآية ترشدنا إلى ما لخصه الشيخ/ رشيد رضا (رحمه الله) بأن "نتعاون فيما اتفقنا عليه...ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه"... وذلك لا يتأتى إلا إذا تخلى أبناء المجتمع عن عصبيتهم وإعجابهم برأيهم في شتى مناحي الحياة حتى يمكنهم حينئذ استيعاب الآخر والتعايش معه بحب وتفاهم...وهو أمر في الحقيقة يحتاج مجهودا ووقتا حتى يعتاد أبناء المجتمعات الشرقية ثقافة الاختلاف مثلما كان أجدادهم الأوائل في الماضي..فهاهو الإمام أبو حنيفة يرد على من قال له: "يا إمام..هذا الذي تفتي به هو الحق الذي لا شك فيه"..فأنكره الإمام أبو حنيفة قائلا: "والله لا أدري..لعله الباطل الذي لا شك فيه..!"...وكذلك أثنى الإمام مالك بن أنس على سابقه الإمام أبي حنيفة رغم البون الشاسع بين مداركهما الفقهية واصفا إياه: "إنه لفقيه"... والإمام مالك هو ذاته من افتتن به خليفة المسلمين حينئذ (أبو جعفر المنصور) فقال له الأخير: "دعني أحمل الناس على كتابك فلا يفارقوه"..فرد عليه الإمام مالك راجيا: "لا تفعل يا أبا عبد الله..فإن أصحاب رسول الله (صلى) قد تفرقوا في الأمصار..وعند كل قوم علم..فإن جمعتهم على رأيٍ واحد تكن فتنة..!" وكذلك ورد قول الإمام الشافعي: "رأيي صواب يحتمل الخطأ..ورأي غيري

---

[10] سورة آل عمران: 64

خطأ يحتمل الصواب..!"...وكذلك قوله: "إذا صح الحديث [11]..فاضربوا بقولي عرض الحائط..!"..... هكذا كان السابقون الأولون..فملأوا مجتمعهم خيرا حتى ظهرت أجيالا أشاعت في الدنيا حضارة وعلما...

وقد هالني الأمر عندما علمت أن الأطفال الشيعة بالبحرين يُجبَرون في مدارسهم حتى الآن على دراسة المذهب السني دون الشيعي في مقرر الدين الإسلامي...بمعنى أن المقرر الدراسي ذاته يجبر الطالب على مذهبٍ غير مذهبه قهرا وغصبا رغم أغلبية مذهبه العددية..الأمر الذي يخرج أجيالا ناقمة على الوطن...في الوقت الذي لا يثنيها ذلك (الجبر) عن معتقدها الأصلي الذي تحصّله بطرق أخرى عبر المساجد الجعفرية وحلقات العلم الخاصة..وهي الطرق التي ربما تؤدي في كثير من الأحيان إلى معرفة مشوبة بمظاهر طائفية تطفو على محتواها دون وعي...

ومن (الجبر) إلى (الاستقطاب الطائفي) حيث سارت أنظمة وجماعات في سبيل إفشال محاولات التقارب المذهبي بين الشيعة والسنة..والتي كان أبرزها ما عرف بـ (دار التقريب بين المذاهب الإسلامية) والذي أسسه نخبة من علماء الدين الإسلامي بمذاهبه المختلفة عام **1947** بحي الزمالك في مصر...حيث تصور كل طرف أنها الفرصة الذهبية لاستقطاب الطرف الثاني..وكأنها حرب..أو كأن كل طرف هو حامل أسرار الحق

---

[11] أي إذا صح حديث عن الرسول (صلى) يناقض ما أقول فاضربوا بقولي عرض الحائط.

ومفاتيح الجنة..!

كما ساعد على هذا التنافر والتباعد إدلاء السياسة بدلوها الذي يفسد — كما العادة — كثيرا من الأمور.. فمما لا شك فيه أن الشيعة قد استُعملوا استعمالا طائفيا بغيضا من دول وكيانات وقادة لها تأثير روحي وديني عليهم..وقد جرب السنة ذلك في مصر أثناء تقلد الإخوان والتيار الطائفي الحكم في عام **2012**.. فسمعنا عن معارك وهمية باسم الإسلام..وشهدنا مؤتمرات تندد بالشيعة إجمالا وتصفهم بـ (الرافضة)..وسمعنا تكفيرا أدى لسحل بعضهم في الطرقات حتى الموت بعد أن كانوا آمنين لعصور طوال!.. ورأينا بلطجية يسرحون بهراواتهم في الشوارع تحت راية الدفاع عن الإسلام.. ونري الآن في سوريا وليبيا فتية يعيثون في الأرض ذبحا وقتلا تحت راية حماية السنة وتحت مسميات عديدة مثل داعش والقاعدة وبيت المقدس وغيرها...!

إذا فالمشكلة على ما تبدو ليست في الشيعة أو السنة..ولكنها تكمن في فكر وقلب أبناء المجتمع الشرقي الذي تجمد في مكانه لا يبرحه لتدبرٍ أو فهمٍ عن فقهٍ لمراد الشرع الحكيم...فأدى ذلك إلى خروج حكامٍ من أبناء تلك المجتمعات المنغلقة فكريا إلى مقاليد السلطة السياسية..حتى غدت متحكمة في عقائدهم باسم الدين كما لو كان هؤلاء الحكام ظل الإله في الأرض..وذلك وصولا لأغراض يثبت عادة أنها منبتة عن الدين وثوابته

المستقرة في ضمير المسلمين جيلا بعد جيل...

أما لماذا حدث ذلك الانشقاق أصلا بين المسلمين ليكونوا سنة وشيعة؟..فهو أمر له إرهاصات وروايات ربما أتعرض لها في خواطر قادمة بإذن الله...

"الانشقاق الكبير"

الأربعاء 29 أكتوبر 2014

أختلف مع من يقول بأن الانشقاق بين المسلمين ليكونوا سنة وشيعة قد حدث بدءً من موقعة الجمل عام 36هـ... فتتبع الوقائع يشي بأبعد من هذا بزمن غير قليل... فالشيعة أنفسهم يؤمنون بأن التشيع هو الإسلام ذاته..بل ركن من أركانه.. ولكن لم تنبت بذرة التشيع إلا بوفاة النبي (صلى) حيث بينت مصادر السنة قبل الشيعة أن اختيار أبو بكر الصديق كحاكم يدير دولة المسلمين بعد النبي (صلى) قد تم في غيبة بني هاشم مثل عليّ بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب حيث كان الأخارى يجهزوة النبي (صلى) للدفن.. وذلك بعد أن كادت الفتنة تضرب المسلمين برفض الأنصار أن يخلف عمر بن الخطاب رسول الله (صلى) حيث طالبوا بأن يكون من يخلفه (صلى) منهم..وقتها تم استبعاد عمر واختيار أبي بكر كـ(مرشح توافقي) فقبل به الجميع من المجتمعين في السقيفة...فلما انتهى علي بن أبي طالب من غُسل رسول الله (صلى) وعلم باختيار أبي بكر في غيبته قيل أنه (رضي) بايع أبا بكر على مضض...ومنذ ذلك التاريخ بدأ جمع من صحبة علي (رضي) — أو قُل شيعته — في الاجتماع ببيته معلنين تضامنهم معه ورفضهم مبايعة أبي بكر للحكم..ولكن الثابت أن عليّا كان

يتحاشي حدوث فتنة فآزر أبي بكر مدة حكمه وإن حملت النفس خلاف ذلك – وهذا حقه...وكذلك حدث حين استخلف أبو بكر الصديق عمر بن الخطاب من بعده قبل وفاته حتى لا تحدث فتنة كالتي أوشكت أن تقع حين مات النبي فمرت الأمور بسلام ظاهر كما قبل...وفي أواخر أيام الحاكم (عمر) قرر أن يستحدث نظاما جديدا لاختيار الحاكم من بعده..وهو نظام أشبه بـ(الانتخابات) حيث أنشأ مجلسا مصغرا للشوري يضم **6** من أفضل الصحابة هم: علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص..وذلك ليقوموا باختيار الحاكم بعد وفاته – سواء كان الحاكم منهم أو من خارجهم – في أجَلٍ لا يزيد عن ثلاثة أيام في جلسات يكون عبد الله بن عمر بمثابة "سكرتيرا" لها دون أن يكون له صوت معدود..ويقوم (صهيب الرومي) بإمامة المسلمين في الصلاة خلال تلك الأيام الثلاثة حتى لا يؤم المسلمين أحد الستة فيظن الناس أن ذلك ترشيحا من عمر لإمامهم بالحكم من بعده كما حدث من رسول الله (صلى) لأبي بكر حين استخلفه إماما للصلاة أثناء مرض الموت..فإذا ما تساوت الأصوات (ثلاثة ضد ثلاثة) كان عبد الله بن عمر مرجحا لإحدى الفريقين..فإذا لم يرض أحد الفريقين برأى عبد الله بن عمر كان الفريق الذي به عبد الرحمن بن عوف هو الراجح...وباستحداث عمر لذلك النظام المتطور – بالنسبة لعصره – أرسى

العديد من المبادئ ومن بينها "جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل" عن طريق اختيار الستة المذكورين وهو أعلم أن بعضهم ربما يكون أفضل – ظاهرا – من البعض الآخر..وذلك على عكس ما فعل أبو بكر باصطفائه (عمر) اصطفاءً...فلما مات عمر واجتمع ذلك المجلس السداسي قام عبد الرحمن بن عوف باختصار بعض إجراءات الانتخابات بالتصدي هو لإدارة الانتخابات ابتداءً..فاستطاع إقناع طلحة والزبير وسعد بالتنازل عن ترشيح أنفسهما لمصلحة أحد الثلاثة عبد الرحمن بن عوف وعثمان وعلي...فلما عرض عبد الرحمن على عثمان وعليّ تنازل أحدهما لمصلحة الاثنين الباقيين سكتا سكوتا ينم عن الرفض..فقام هو – عبد الرحمن بن عوف – بالتنازل لمصلحتهما دون أن يفقد صفته كمفوض لاختيار الخليفة من غيره...فأخذ في التشاور مع أهل المدينة وقادة الجيوش في الأمصار المختلفة حتى رأى غالبية الناس ترجح كفة (عثمان بن عفان) – أو هكذا رأى أنه الأصلح – فولى عثمان الحكم وبايعه الناس على ذلك...في حين يرفض الشيعة هذه الرواية مستندين إلى رواية أخرى قال بها البعض مفادها أن عليّا (رضى) رفض اختيار عبد الرحمن بن عوف لـ(عثمان) بدعوى أنهما أصهار لذا فقد جامل عبد الرحمن صهره...ولكن يصعب على رواية الشيعة الإجابة على السؤالين التاليين: لماذا لم يثر عليّ (رضي) على عثمان طوال فترة ولايته؟! ثم إذا كان هذا مسلك عليّا (رضي) فلماذا

لم يفعل بالمثل حينما تولى أبو بكر وعمر الحكم في حين كان هو الأحق بها في نظر الشيعة؟! لذا تبدو رواية السنة أقرب لواقع الإمام عليّ (رضي) وما يمتاز به من خلق رفيع وزهدٍ في الدنيا وتنأى به عن التكالب على المناصب فضلا عن التراشق اللفظي بسببه مع صحابي جليل مثل عبد الرحمن بن عوف...

وفي كل الأحوال لما وليَ عثمان بن عفان الحكم كثرت الفتن وبدأ بعض العامة يثورون عليه..فما كان من عليّ بن أبي طالب (رضي) كعادته إلا أن حاول صرف الثوار وكفهم عنه في الوقت الذي قدم النصح لعثمان بن عفان حتى يتخذ قرارات إصلاحية تعيد للدولة هيبتها...فلما قتل عثمان رأى شيعة عليّ (رضى) ألا خليفة غيره..وبالفعل بويع حاكما للمسلمين بأغلبيتهم...

لم تكد الأوضاع تهدأ حتى ظهر نفرٌ يسمون (شيعة عثمان) — وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان وعائشة أم المؤمنين — يطالبون بدم عثمان الذي تباطأ علي (رضي) — حسب ظنهم — في القصاص له والقبض على قاتليه... وفعلا لم تكد تمر أربعة أشهر على ولاية علي حتى أقنعت السيدة عائشة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بالخروج لقتال قتلة عثمان... ويرى الشيعة هنا أن ذلك النزاع كان مفتعلا حيث ثبت أن السيدة عائشة هي التي حرضت على قتل عثمان حين قالت: "اقتلوا نعثلا

(عثمان) فقد كفر"..كما يرون أن كلاً من طلحة والزبير خرجا على عليّ (رضي) رغم مبايعتهما له بعد أن تيقنا من عدم توليتهما إمارتين في الدولة كانا يطمعان فيهما... وبشكل عام يرى السنة والشيعة أن عليّا (رضي) كان يمارس التقية نظرا لغلبة ومنعة قتلة عثمان في ذلك الوقت..فكان يتحين اللحظة المناسبة ليقتص له بعد أن يكون قد جمع القوة اللازمة لذلك فيقتلعهم من المدينة المنورة التي سيطروا على مقاليد الأمور فيها.. المهم التقى الطرفان في موقعة تسمى بالجمل – لأن السيدة عائشة كانت تركب جملا فيها – عام 36هـ وانتهت بهزيمة أصحاب الجمل ومقتل طلحة والزبير...بينما حرص عليّ (رضي) على اصطحاب السيدة عائشة سالمة إلى بيتها في المدينة المنورة ليعود هو بعدها إلى الكوفة العاصمة الجديدة لدولة المسلمين...

ثم لم ينصرم عام 37هـ حتى وقعت موقعة صفين بين عليّ (رضي) ومعاوية...حيث كان معاوية من الذين لم يبايعوا عليا (رضي) بالحكم كما لم ينصع لعزله إياه عن ولاية الشام...فما كان منه إلا أن جهز جيشا لملاقاة عليّ (رضي) بدعوى القصاص لقتلة عثمان..وانتهت المعركة بمقتل نحو 45 رجل من جيش معاوية..ونحو 25 ألف رجل من جيش عليّ (رضي) منهم عمار بن ياسر – من شيعة علي – الذي نُسب للنبي (صلى) – في صحيح البخاري – أنه قال في شأنه: "*وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ*

يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَـهُ إِلَـى النَّـارِ"... فلمـا أحـس معاويـة بفداحـة هزيمته استنجد بعمرو بن العاص ليجد له مخرجا من ذلك المأزق..فما كان من عمرو إلا أن لجأ لخدعة مفادها أن أمر جنوده برفع المصاحف على أسنة رموحهم... ورغم أن عليّ (رضـي) لم ينطلِ عليـه تلـك الخدعـة إلا أنهـا انطلت على نحو ¾ جنوده حيث رفضوا استمرار القتال...وبالفعل أجري التحكيم واتفق فيه الطرفان على وقف القتال – وهم في شهر صفر مـن عـام **37**هـ – على أن يصدر حكما في شهر رمضان من نفس العام بعد أن تكـون نفوس الطرفين قد هـدأت... واسـتتبع توقـف القتـال عـودة كـل فريـق إلى ثكناته..فعاد جيش (علـيّ) إلى الكوفـة..بينمـا عـاد جـيش (معاويـة) إلى الشام...وكأن التحكيم كان بمثابة شعار "يبقى الوضع على ما هو عليه"..!

ثم جاء عام **38**هـ ليدخل عليّ (رضي) في مواجهة مع الخوارج – وهم جزء من جيشه كان قد رفض اتفاق التحكيم الذي تم مـع معاويـة في صـفين فاعتزلوا عليّا وصحبه وكفّروهم – في منطقة تسمى (النهروان)...وانتهـت تلك المواجهة بهزيمة الخوارج حيـث قُتِـل معظمهـم البـالغ عـددهم نحـو **4000**...

وأثناء إمامة عليّ (رضي) للمسلمين في صلاة الفجر بمسجد الكوفـة في شهر رمضان قام أحد الخوارج بضربه في وجهه بسيف مسموم..ومات على أثر ذلك بعدها بثلاثة أيام...

وبعد وفاة عليّ (رضي) اضطر ابنه الحسن إلى التصالح مع معاوية بن أبي سفيان – والذي كان مازال واليا على الشام بوضع اليد منذ رفض عزل عليّ له بعد أن كان واليا عليها طوال حكم أبي بكر وعمر – وذلك لعدم قدرته على مواجهة معاوية بغلبته ومنعته في ذلك الوقت..وكان من شروط الصلح أن يظل معاوية في الحكم على ألا يسمي نفسه (أمير المؤمنين) وألا يسب هو أو صحبه عليّا (رضي) وأن يرجع الحكم بعد معاوية إلى الحسن ثم أخيه الحسين...ويركز الشيعة هنا على أن معاوية قد نقض عهده فسب عليّا وقتل بعض صحبه كما قتل الحسن بن عليّ بالسم..ثم انتهى الأمر بنقل الحكم إلى ولده يزيد بن معاوية ولم ينفذ صلحه بنقل الحكم إلى الحسين...

حينئذ قرر الحسين بن عليّ هو وصحبه مقاتلة يزيد بن معاوية..فذهبوا لمنطقة تسمى كربلاء وتلاقى الجيشان في معركة (الطف) حتى انتهت بهزيمة جيش الحسين ومقتل الأخير بطريقة بشعة لا تليق بكونه حفيد النبي (صلى)...ومنذ ذلك الوقت توالت ثورات (شيعة عليّ) على بني أمية لعهود طويلة كانت تخمد الواحدة تلو الأخرى...ومن هنا فتقت عروة المسلمين الكبرى وتأكد الانشقاق الذي لم يبرحنا حتى اليوم...وجثم بنو أمية على حكم المسلمين سنين طويلة من القهر والتغييب..وبدأت أفكار تظهر بدعم من الحكام الأمويين مثل (الجبرية)

و"أنه ليس في الإمكان أبدع مما كان"...فكان عهد الأمويين عهدا من الجمود الفكري لتعزيز قوة السلطان وإلهاء العامة بما لا طائل من ورائه...وتوارث بعض الحكام إلى يومنا هذا ذات الأساليب حتى يخيل إلينا أن الاستبداد هو حرفة تتوارثها الأجيال..!

وفي ظني – كما ذهب البعض[12] – أن مشكلة السنة والشيعة كان منبتها في الأساس دنيويا مُنصَبا على المُلك والرياسة – وهي فطرة إنسانية لا شك فيها يستطيع المرء إنزالها على كافة الوقائع والأحداث قبل وبعد البعثة النبوية...فالزعامة الدينية بدأت بالوحي وانتهت بانقطاعه..فلا خليفة ديني إلا رسول الله (صلى).. أما من عداه فهم مجرد حكام وملوك ليس لهم سلطان من الدين على الرعية..وإنما سلطان من الغلبة والحكم...ولعل تلك كانت الفتنة الكبرى بوفاة الرسول (صلى) حين اختلط على عامة الصحابة وصف من يخلف النبي (صلى) فيما إذا كان خليفة الرسول (صلى) في الزعامة الدينية أم مجرد وريثا له في الملك السياسي الذي تكوّن بذاته..حتى استبق أحدهم وقتها مناداة أبي بكر بـ"خليفة الله" فأبى وطلب منهم – إن أرادوا – أن ينادوه بـ"خليفة رسول الله"...وربما

[12] مثل الشيخ/ علي عبد الرازرق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم)، والذي مثل صدمة لنظام الحكم الملكي في مصر وقتئذ وما استتبعه من تجيّش أقرانه من الأزهريين ضده حتى جردوه من عالميته لمجرد أن بحثه جاء مناقضا لما استقر عليه الأمر دينيا لسنوات طويلة من لزوم وجود خليفة للمسلمين – أو بتعبير أدق "خليفة لرسول الله"..!

كان ذلك الخلط هو ما دفع بأبي بكر لِما سمى بـ(حروب الردة)..والتي قيل أن سببها منع أقوام للزكاة ارتدادا عن الإسلام رغم أن المرتد إنما يرتد في الدين كله وليس في الزكاة فقط..لذا ذهب البعض – بحق – إلى أن هؤلاء القوم إنما رفضوا الاعتراف بصيرورة الحُكم إلى أبي بكر وما يستتبعه من دفع الزكاة إليه مثلما كانوا يدفعونها للرسول (صلى)..ولكنهم لم يرتدوا... ولعله من المفيد إلقاء الضوء هنا على موقف عمر بن الخطاب الذي يبدو أنه كان أفطن من أبي بكر لذلك الأمر..فحين هَمّ أبو بكر لقتال من منعوا الزكاة استنكر عمر الأمر لانعدام الدليل على ارتدادهم فعلا..كما أنه حين خلف أبي بكر في الحكم رفض مناداته بلقب (خليفة رسول الله) ربما إدراكا منه أن ذلك الوصف إنما اختُص به أبو بكر بوصفه خليفة الرسول في المُلك فقط..فلو كانت الخلافة في الرسالة والزعامة الدينية لما اعترض عمر (رضي)...كما إنه حين اقترح الصحابة مناداته بـ(خليفة خليفة رسول الله) لم يعترض على الوصف لذاته ولكنه علق على (طول) اللقب ثم قال لهم: "أنتم المؤمنون وأنا أميركم" بمعنى (رئيس المؤمنين) رئاسة ليس بها سيطرة دينية عليهم...

وأيًا ما كان الأمر فقد لاح أن تلك الفتنة الكبرى كانت قد شقت طريقها بالفعل منذ ذلك الحين بظن كثير من الناس أن الخليفة إنما هو خليفة رسول الله في الرسالة..في حين أن المتتبع للقرآن والسنة الثابتة في هذا الشأن لا

يجد دليلا صريحا على وجوب استخلاف حاكم يتزعم المسلمين دينيا..فقد كان (صلى) خاتم النبيين وقد أنزل الله في كتابه العزيز قبل وفاته (صلى): {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا[13]}... وبعبارة أخرى يمكن القول بأن رسول الله (صلى) لم يكن مَلكا سياسيا كما لم يرد عنه تدخلا شرعيا في تحديد شكل الدولة السياسية أو شروطها أو مؤسسات الحكم فيها أو حتى وصفها بأنها (دولة إسلامية)..فالرسول لم ينسب دولته للإسلام مثلما فعل اللاحقون من بعده..! كل ما هنالك أنه (صلى) وجد أن زعامته الدينية قد أدت إلى تكوُّن دولة لكي تعطي مَنعة للإسلام – وهو في مهده – كي يصل للكافة..مدعومة بسماته الشخصية التي التف حولها العرب وقتها فتكونت ما أشبه بالدولة العربية الفيدرالية دونما تخطيط لذلك...

وللأسف لم يقف المسلمون عند هذا الحد من الخلط باعتبار ملوكهم (خلفاء رسول الله)..بل تجاوز بعضهم ذلك بوصفهم (خلفاء الله – ذاته – في الأرض)...لذا لا غرو أن هناك بعض أنظمة الحكم حتى الآن – مثل إيران – تفرد منصبا مستقلا للزعيم الديني الملزمة أراؤه وفتاواه لكل أركان الدولة بمن فيهم رئيس الجمهورية..! كما امتدت تلك (الحمّى) للتنظيمات السياسية والعسكرية فرأينا تنظيما يسمى نفسه (حزب الله)

---

[13] سورة المائدة : 3

لينطبق عليه وصف الآية {ألا إن حزب الله هم الفائزون}..!

والأطرف من ذلك بعض الطامعين في الحكم – بغض النظر عن نبل أو خبث مقصدهم – حينما وجدوا أن لفظ (الخليفة) غير منطبق عليهم لانبتات الصلة بينهم وبين نبي الإسلام نسبا أو موطنا – ابتدعوا حيلا يدعمون بها موقفهم...من أجل ذلك جنح الملك عبد العزيز آل سعود – مؤسس الدولة السعودية الثالثة – إلى وصف أكثر اتساقا مع واقعه وهو "خادم الحرمين الشريفين" [14] إدراكا منه لعدم انتسابه للهاشميين أحفاد رسول الله (صلى)..خاصة وأنه هو الذي حاربهم وضم (الحجاز) إلى (نجد) موطنه الأصلي مؤسسا المملكة العربية السعودية..!

وحتى لو سلمنا بلزوم وجود خليفة للمسلمين يتزعمهم دينيا ويحمل شعلة الرسالة فيما مضى من العصور على سند من القول بضرورة تزعمه للرسالة حتى تصل للعالمين في ربوع الأرض – فإنه يصعب القول بذلك اللزوم حتى عصرنا الحاضر بعد أن وصل الإسلام إلى الكافة باكتشاف الكرة الأرضية كلها منذ زمن ومرور التجار المسلمين في كافة أنحائها مبلغين تلك الرسالة..فضلا عن دخول الإذاعة والتلفزيون والإنترنت عاملا حاسما لذلك الانتشار والتبليغ...فالله أمر النبي (صلى) بمجرد التبليغ بقوله

---

[14] كان أول من استخدم لفظ "خادم الحرمين" العثمانيون – وتحديدا السلطان (سليم الأول) حين استولى على الحجاز، وذلك إدراكا منه لعدم انتسابه إلى أرض الحجاز فضلا عن عدم تحدثه العربية، ومن ثم صعوبة وصف نفسه بـ"خليفة المسلمين".

تعالى: {بلغ ما أنزل إليك من ربك[15]}..كما خاطب المولى (عز وجل) رسوله (صلى) بأن: {فذكر إنما آنت مذكر، لست عليهم بمسيطر}...فنفى أي سيطرة للنبي (صلى) على الرعية..فهو لم يكن ملكا ولا رئيس دولة ولا حاكما دنيويا بالمعنى الذي ظنه الكثير وتكالبوا..بل تقاتلوا عليه باسم الإسلام..!

ومما يلفت النظر من زاوية أخرى أن المولى (عز وجل) حين وصف اقتتال المسلمين مع بعضهم البعض على المُلك لم يخرج أحدهم من الملة ولم يصف القتال بأنه قتال أهل الدين والرسالة لأهل الباطل..ولكن قال جل وعلا: {وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما...}.

من أجل ذلك لم يكن هناك داع – في ظني – إلى استعداء السنة للشيعة في مقتل الزبير وطلحة..ولا استعداء الشيعة للسنة في مقتل الحسن والحسين...فالواضح أنها أمور في مجملها لا تخرج – أو لم يكن ينبغي لها أن تخرج – عن كونها خلافا دنيويا على الحُكم..يرى كل فريق أنه الأولى والأحق به...ولا يشفع في ذلك ورود أدلة شرعية عند كل فريق تسب أو تمدح في معاوية أو غيره من أطراف الأزمة..ففي ظروف مثل تلك يسهل الوضع والدس باسم الرسول (صلى) لينتصر كل فريق لقائده...لذا فلنحتكم إلى مُحَكم التنزيل وما اتفقنا عليه من أمر السنة المطهرة حتى نصل إلى كلمة

---

[15] سورة المائدة: 67

سواءٍ بيننا نستنشق منها نسائم الهدى ومقاصد الشرع..ولننبذ ما دون ذلك وراء ظهورنا قاصدين المهمة الأساسية التي خلقنا الله من أجلها..مهمة عمارة الأرض وعبادة الله فيها...ولْنترك القتال لمريديه من الحكام فلا نحارب عنهم بالوكالة دونما ناقة لنا في الدنيا أو جَمل في الآخرة..!

وبعد كل هذا يلوح السؤال: هل لازلنا مصدقين أن الخلافات المذهبية والطائفية في الإسلام كان مبعث محركيها غالبا الغيرة على الدين أو الزود عنه أم أنها — من أولها لآخرها — صراع على المُلك؟! ألم يأنِ لشعوب السنة والشيعة أن يتقاربوا مثلما تقاربت النِحل والمِلل المسيحية واليهودية رغم اختلافاتهم العقائدية الشاسعة؟! أليس من الأجدر أن تترك الشعوب التناحر لأربابه من السلاطين والأمراء ويتفرغوا هم للود والأُنس والتعايش؟ ألم يكف السياسة ما أفسدته في الدين بالماضي حتى يومنا هذا؟! هل من مجيب؟!

"فُعَيْل"

الأحد 2 نوفمبر 2014

من لطائف جزر البحرين هو وجود عدة مناطق سميت على وزن التصغير (فُعَيْل)...وهو وزن لغوي يطلق على ما يراد بيان صغره..كما قد يستخدم للتدليل..

ومن أمثلة ذلك في البحرين منطقة (الجفير) وهو تصغير لكلمة (جَفْر) والتي تعني ولد الماعز حين يكبر ويبلغ أربعة أشهر فيجفر – أي يصبح ذو أجناب وكرش... وكذلك شارع (البُدَيّع) بشمال غرب البحرين حيث معقل شيعة البحرين.. وهو تصغير لكلمة (بَدِيع)... وكذا منطقة (القُرَيّة) والتي تعد تصغيرا لكلمة (قرْية)... بالإضافة إلى منطقة (البسيتين) بجزيرة المحرق شمال شرق البحرين..فهي تصغير لكلمة (البساتين)..

ولا تستأثر البحرين بهذا الملمح.. بل شاركها فيه جارتها الجنوبية (قطر)... حيث يكثر أيضا وجود مناطق تسمى بأسماء مصغرة على ذات المنوال مثل: الغويرية – الجميلية – الدحيل – الوكير – مسيعيد...

وإن دل ذلك فإنما يدل على إدراك هاتين الدولتين واقع حجمهما الجغرافي..بل وتعايشهما مع ذلك الواقع بطيب نفس... ولكن يبدو مع مرور الوقت أن دولة قطر قد تناست اسمائها المصغرة... وصارت تحاول

بشتى الطرق أن تلبس نعالا تربو على حجم قـدميها... وهـو مـا تتكـشف ملابساته يوما بعد يوم..حتى بدأت تدخل في عزلة بين جيرانـها العرب..

لقد اشتركتا البحرين وقطر في صـغر الحجـم..ولكـن اختلفتـا في سـعة النفس..!

"الجزيرة 2"

الاثنين 3 نوفمبر 2014

قررت اليوم أن أصطحب أحد زملائي المصريين في العمل لنذهب سويا إلى (السينما)... نعم..قررت أن أدخل السينما للمرة الأولى خارج مصر..وكانت تجربة!

كان فيلم (الجزيرة **2**) قد نزل لتوه بدور العرض بالبحرين بعد أن كان قد نزل بمصر قبل ذلك بشهر تقريبا.. والملاحظ أن الأفلام الجديدة هنا في البحرين تنزل دائما مساء الجمعة..وذلك على عكس مصر التي تنزل أفلامها الجديدة مساء الخميس...وهنا ملحوظة أخرى.. حيث يلتزم البحرينيون بالمساء (العربي/الهجري) — والذي يأتي دائما قبل الصباح — وذلك على عكس مصر التي تلتزم بالمساء (الدولي/الغربي) والذي يأتي دائما بعد الصباح نفسه...فالليل عند العرب يسبق النهار..أما عند الغرب فيتأخر عن النهار!

المهم..قطعنا تذكرتي السينما — والتي لا يزيد سعرها كثيرا عن مصر — ثم عرجنا إلى حيث القاعة... طبعا لم ينبس الموظف (قاطع التذاكر) بجملة "كل سنة ونت طيب يا باشا" الشهيرة بمصر والتي تعني "البقشيش لو سمحت"...والأغرب أن ذلك الموظف البحريني كان هو

الحائل الوحيد بيني وبين القاعة...فلا يوجد موظف آخر على باب القاعة يدلك على موقع مقعدك كما يحدث في مصر...بل دخلت فوجدت القاعة منيرة ونظيفة واستطعت بسهولة العثور على مقعدي المذكور في التذكرة...والغريب أن أضواء القاعة لم تنطفئ طوال العرض..بل خففت فقد عند انتهاء الإعلانات مع بداية الفيلم الرئيسي..

المدهش كان اكتشافي أنني وصاحبي كنا الوحيدين في قاعة العرض طوال الفيلم! ويبدو أن السر في ذلك أن اليوم كان عطلة رسمية بدلا عن تاسوعاء وعاشوراء...وقد علمت أن البحرينيين لا يخرجون مبكرا في العطلات الرسمية وخاصة الواقعة في شهر محرم..وذلك على عكس الوضع في مصر الذي يجعل دور العرض في الحفلات الصباحية أشبه بعلب السردين الملأى بما لذ وطاب..ربما لأن أسعار الحفلات الصباحية في مصر تكون مخفضة عن غيرها..

ولأن الحرية الجنسية مباحة هنا في البحرين لن تجد مظاهر العشاق الموجودة بدور العرض المصرية وما يصاحب ذلك من إخلاء الصف الأخير دائما من أي جلساء — على الرغم من أن ذلك ليس له أثر إلا تحويل الصف قبل الأخير إلى ما يشبه الصف الأخير تماما! فالشعب البحريني قد يفعل ما يحلو له مع مختلف الجنسيات من النساء دون أن يحتاج أن يدخل سينما ويحجز الصف الأخير..!

أما بالنسبة لفيلم الجزيرة 2 فقد خرجت بانطباع سلبي عنه..حيث جاء مليئا بالعنف..شحيحا إلى حدٍ ما في الجانب الإنساني..مفلسا إلى حدٍ ما في تنفيذ المشاهد فجاء مقتبسا للعديد من الحبكات الخاصة بالجزء الأول..بل قل جاء في عباءة الجزء الأول معتمدا على جاذبية فكرة (الصعلوك البطل)..وهي إن كانت فكرة ناجحة عالميا في عديد من البقاع كرمز للبطل الشعبي – (مثل زورو بطل المكسيك ضد الاحتلال الإسباني) و(رامبو وسوبرمان بطليْ أمريكا) و (روبن هود بطل إنجلترا) و(عنترة بن شداد بطل الحجاز) – إلا أن ذات الفكرة لم تلق ذات الصدى في مصر حيث لم يجنح المصريون كثيرا ناحية "الصعلوك البطل" مثل (أدهم الشرقاوي) و(أحمد فؤاد نجم)..ولكن دائما ما التف المصريون حول "البطل العسكري" صاحب الشرف مثل (نارمر) و(أحمس) و(محمد علي) و(أحمد عرابي) و(جمال عبد الناصر) و(عبد الفتاح السيسي)...لذا لعلني لم أنجذب كثيرا لعودة (منصور الحفني) "الصعلوك البطل" مجددا إلى الجزيرة ليسترد ملكه القديم... وما زاد من إحساسي بسلبية الفيلم هو أنني – كغيري من المصريين – قد مللْنا من قصص ما بعد الثورة..وما حدث..وما الذي جرى...فالمصريين قد تشبعوا بالفعل من مظاهر الدماء والسياسة وخلافه.. ربما يعطي الفيلم انطباعا مختلفا حين يمر بعض الوقت فيكون العنف الدائر حاليا قد قل ويكون الناس قد اشتاقوا لهذا اللون مجددا..

إذًا يبقى السؤال: لماذا حقق الفيلم حتى الآن ما يربو على الـ36 مليون

جنيه بدور العرض المصرية بعد مرور شهر على عرضه؟ الإجابة كشفها المنتج محمد السبكي في مداخلة هاتفية مع الإعلامي تامر أمين.. حيث أثبت أن تلاعبا قد تم من قبل منتجي الجزيرة 2 (شادي زند ووائل عبد الله) في دور العرض — المملوك بعضها لهما في الأساس بحيث يتم إخلائها من الأفلام المنافسة الموجودة — من ضمنها فيلم السبكي (المواطن بُرص) الذي تم رفعه بعد يوم واحد من عرضه! — ليتم الدفع بفيلم الجزيرة في 10 دور عرض بفروعها بدلا من طرحه في 3 أو 4 دور عرض كما هو العرف...والملفت أن غرفة صناعة السينما — التي تشترك في قرار نزول أو رفع فيلم — تضم في عضويتها أيضا ذات منتجي فيلم الجزيرة 2...فأصبحا المنتجين ومالكي دور العرض وأعضاء غرفة صناعة السينما في آن واحد..!

هو هو ذات المنطق عندما كان فريق الكرة للنادي الأهلى "نادي (حسن حمدي وعدلي القيعي) سابقا" يفرغ الدوري من نجومه بطرق أأدب ما توصف به بأنها "ملتوية"..ليلاعب نفسه في الآخر..!

هو هو ذات المنطق عندما كان الحزب الوطني يفرغ الأحزاب من مضمونها لينفرد هو بالصدارة منافسا نفسه في انتخابات الرئاسة أو البرلمان..!

هو هو ذات الفكر...إنها لا شك صناعة مصرية فرعونية أصيلة..!

هي دِه مصر يا عبلة..! خرجتوني من موضوع اليومية..!!

"سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وإنا إلى ربنا لمنقلبون"
الاثنين 10 نوفمبر 2014

لن تضطر لتلاوة الدعاء المعنون إذا ما قررت السفر الداخلي بمملكة البحرين..وذلك لأنه ببساطة..لا يوجد سفر داخلي..!!

نعم..لقد لفت نظري ذلك الأمر بشدة...فالبحرين ليس بها مدن داخلية يمكنك التنقل بينها عن طريق السفر بالسيارة... حتى ما يطلق عليها (مدينة حمد) – القابعة جنوب العمران – لا يستغرق الوصول إليها بالسيارة من أقصى الشمال أكثر من **20** دقيقة!

لذا إذا شعرت بالملل داخل البحرين وأردت السفر..فلن تستطيع أن تشد الرحال إلا..خارج البلاد!

قارنت هذا للتو بالوضع في مصر فتذكرت السفر إلى الإسكندرية والساحل الشمالي..وكيف أننا اعتدنا الكشف على الإطارات قبل التحرك و(تفويل) خزان الوقود...كما تذكرت رحلاتي إلى الغردقة والجونة بالسيارة..واضطراري لـ(تفويل) السيارة مرتين خلال الرحلة كي أضمن الوصول بلا متاعب.. هذا فضلا عن اصطحاب المأكولات والمشروبات...ولا

بأس كذلك من الاستراحة قليلا في (الرست هاوس)..

المشكلة هنا أنك حتى إذا فكرت في قضاء عطلة نهاية الأسبوع في إحدى الدول المجاورة – مثل السعودية أو الكويت أو قطر – فإنه سيتعين عليك الحصول على تأشيرة عند منفذ الدخول ماعدا السعودية التي سيتعين عليك الحصول على تأشيرتها مسبقا عبر قنصليتها بالبحرين..

فعلا...وحشتِني يا (رست هاوس)..!

"متحف البحرين الوطني vs. المتحف المصري"

الجمعة 14 نوفمبر 2014

قـد أخطـط منـذ وطـأت قـدمي البحـرين أن أزور (متحـف البحـرين الوطني)... وبالفعل اصطحبني خالي إلى هناك فوجدت مساحته أكبر ممـا كنت أتوقع...فهو قائم على مساحة شاسعة مطلا على البحر مباشرة..

كان المتحف مجهزا بساحة لانتظـار سيارات الـزوار مجانـا والمـزودة بأغطية معلقة لتقي السيارات أشعة الشمس... تذكرت أن المتحف المـصري ظل عقودا دون وجود أمكنة لركن السيارات خاصة مع وجوده وسط بعـض المؤسسات الحيوية مثل جامعة الدول العربيـة ومجمـع التحريـر..وهـاهم المسئولون قد فاقوا أخيرا من سباتهم لإنجاز مشروع جراج التحرير ليحـل معضلة الزوار مالكي السيارات...

لم يكن هناك شباك للتذاكر..ولكن مجرد موظـف يقـف خلـف طاولـة صغيرة في أحد أركان بهو المتحـف... كـان سـعر التـذكرة دينـار واحـد... المكان نظيف ومكيف كما الفنادق ذي الخمس نجوم... تـذكرت أن تـذكرة المتحف المصري البائس كانت تباع للمـصريين بجنـيهين – أي مـا يـوازي عُشر ثمـن التـذكرة بـالبحرين – ويـا ليـتهم يزيـدوها في سـبيل النهـوض

بمداخل المتحف من حيث تنسيقه وتنظيفه...

دخلنا لنجد أن المتحف مصمم بحيث لا تحتاج إلى مرشد سياحي..فكل صورة أو لوحة أو قطع أثرية يصاحبها لوحها تبين كنهها وقصتها بشكل مختصر وسلس... تذكرت أنني لم أفهم أي شيء إبان زيارتي للمتحف المصري لأنني (وفّرت) ولم أصطحب معي مرشدا سياحيا...كنت كمن يتجول بين قبور الموتى...

كان متحف البحرين مقسما إلى 8 أقسام تقريبا موزعة على طابقين...من تلك الأقسام قسم الآثار الإسلامية والتي احتوت على قليل من تلك الآثار منها صورة من كتاب رسول الله (صلى) إلى والي البحرين يستبقيه بمنصبه بعد أن دخلت البحرين في الإسلام في العام السابع الهجري.. كما كان هناك مجسما وصورا لـ (مسجد خميس) والذي يقال أنه أقدم مسجد في البحرين... وكذلك تجولت في قسم مملكة دلمون فوجدت قليلا من الأواني الفخارية وبعد النحاسات وكذا الرسومات التي لا تدل على شيء محدد..فرغم قدم تلك المملكة التي تعود إلى ما قبل التقويم الميلادي إلا أنه من الملاحظ افتقارها للحضارة بمعنى الكلمة فكانوا أشبه بقبائل (الهونجا بونجا)...كما كان هناك قسما آخر للمخطوطات به بعض أصول مخاطبات ملوك البحرين إلى البلديات والوزارات وكذا بعض الصور الفوتوغرافية لهم في بدايات القرن العشرين.. وكان أمتع الأقسام هو ما

يطلق عليه (قسم الحرف والمهن) حيث استنسخ المتحف نموذجا لمجتمع البحرين في النصف الأول من القرن العشرين مستعينا بتماثيل من الشمع فتجد الخباز والخياط والقطان (المنجد) في دكاكينهم أو جالسين على إحدى المقاهي مصحوبا بموسيقى تصويرية لذلك الزمكان....فلما قارنت للحظة بين هذا وما عندنا بمصر وجدت أن البون شاسعا....فبالرغم من نظافة وتناسق متحف البحرين فهو لا يوازي رسما واحدا منقوشا على جدران معابدنا وما يحويه من رحلة الموت بالبر الغربي ومحاكمة ما بعد الموت وميزان الأعمال الصالحة والوحش المفترس الذي يتحين الانقضاض على قلب الميت الذي لا ترجح كفة صلاح قلبه...كل هذا الزخم أعطى تراثنا قيمة لا تضاهيها قيمة...ولكن يا ليتنا جملّنا آثارنا كما أوجد البحريينين آثارا من العدم و"عملوا من الفسيخ شربات"...!

لم ينته الأمر عند هذا الحد...فبعد الوصول إلى نهاية المتحف حيث تربض سيارة (بويك) أنيقة عرفت حينها أنها كانت مهداة لملك البحرين من الإنجليز — وجدت مطعما نظيفا وهادئا تفوح منه رائحة المخبوزات الطازجة ومطلا على منظر البحر الرائق... فخرجت من المطعم لأستمتع أيما استمتاع بذاك المنظر متجولا على ضفة البحر الخرسانية...واستطعت بعدها الانضمام إلى بعض الأصدقاء حيث افترشنا ناحية أمام البحر لنأكل بعض الأطعمة المصحوبة معنا في الهواء الطلق دون معقب من موظف أو

مباحث أو قطة أو حتى ذبابة!... آآآه يا ربي لو أن هذا حدث في أي منتزه عام بمصر المحروسة...فحتما ستجد "ممنوع يا أستاذ"..."كل سنة ونت طيب"...أو نظرات نارية متفحصة... شحاذين... كناسين... أونطجية... قطط.. كلاب... ذباب.. رائحة سيئة... تزاحم... وأستغفر الله العظيم...

حتى عندما دلفت إلى دورة المياه العمومية بالمتحف وجدتها لا تختلف كثيرا عن مثيلاتها بالفنادق الفاخرة... فلن تجد ما قد تجده بدورة مياه المتحف المصري — إن اضطررت لدخوله لا سمح الله — من رائحة موتى مختلطة بعطر (الصِنّة) الفاخر..أو عامل دورة المياه الذي يحتكر المناديل الورقية في ظل التعطل الدائم للمنشفة الهوائية لتغمزه بجنيه مثلا..

كل ذلك ليس له إلا مدلولا واحدا...هو أن الشعب المصري يحتاج أن يتم (نسفه) على أن يعاد تأهيله بالكامل مجددا بواسطة رئيس يمتلك عصا موسى مثلا ليستطيع كنس (أكوام المخلفات الفكرية) لشعب جاوز الـ**90** مليونا... من يستطيع حكم مصر بنجاح يستأهل أن تخصص له جائزة نوبل في السلام..لا بل كل فروع تلك الجائزة مثل الفيزياء والكيمياء والطب...أفلا تجدون مرشحا بتلك الموصفات؟!!

أعتقد أنه حتى لو وجدنا بشرا بتلك المواصفات المذهلة فعلى الأرجح سيكون قدرنا مثل قدر (بهيج) عندما حوله (مارد الكدواني) إلى شخصية بها كل المواصفات من شجاعة وهضامة وخفة وقوة ورومانسية في فيلم (طير

إنت)...وفي النهاية نكتشف أنه لن يصلح رئيسا لمصر رغم قواه الخارقة فقط لأنه...(هندي)..!!

رحم الله اللواء الفقيد/ عمر سليمان..الذي استبعدته اللجنة العليا للإنتخابات من الترشح..لأن عدد آلاف التوكيلات التي جمعها كانت أقل من المطلوب بـ... **31** توكيلا فقط!!! بينما قبلت ذات اللجنة ترشح متهم هارب من السجن وأتت به رئيسا لمصر!!!

والله العظيم هي دِي مصر يا عبلة..!!

افهموا بأه يا جدعان!

"جزيرة العرب"

الثلاثاء 18 نوفمبر 2014

من قبل كنت أعجب من أن الأمة العربية تفهم بعضها من المحيط الأطلسي غربا إلى الخليج العربي شرقا بالرغم من اختلاف لهجات شعوبا اختلافا قد يكون كبيرا في بعض الأحيان...فالمصري يفهم السوري..واللبناني يفهم المغربي..والسعودي يفهم الليبي..

ولكن عجبي توارى خجلا حين رأى العجب العجاب في شبه الجزيرة العربية – أو ما يطلق عليها جزيرة العرب... فبعد مرور شهرين على مكوثي بالبحرين واختلاطي بجنسيات مختلفة أدركت أن الأمر في جزيرة العرب أشد عجبا..!

فرغم اتساع رقعة تلك الجزيرة التي تضم 7 دول هي إيجازا: السعودية – قطر – الكويت – البحرين – الإمارات – عمان – اليمن.. إلا إنني قد لاحظت أن سكانها على اختلاف جنسياتهم يتكلمون لهجة واحدة تقريبا مقسمة إلى لكنتيْن: لكنة يشترك فيها دول شرق جزيرة العرب وهي الكويت والبحرين وقطر والإمارات وعمان واليمن الجنوبية وشرق السعودية... ولكنة أخرى تشترك فيها معظم اجزاء السعودية مع اليمن الشمالية...

ويبدو أن الوحدة السياسية بين دول الجزء الشرقي للجزيرة العربية – فيما كان يعرف بمملكة البحرين القديمة – قد أدى إلى وحدة لسانهم...فتجدهم يميلون إلى تفخيم (ألف الوصل/المد) وما قبلها غير عابئين بالنطق العربي القرشي – مثل ثامر وزايد وماجد – والذي يبدو مطابقا للنطق الفارسي لذات التراكيب... كما يتطابق نطق المواطنين السنة مع نطق الفارسية في تحويلهم حرف (القاف) إلى (غين) – مثل (القانون) التي تنطق (غانون)..والغريب أن المواطنين الشيعة لا ينطقونها (غين) كما الفارسية..بل (قاف) عادية..! كما تنطق تلك الدول حرف (الكاف) المتبوع بألف المد (قاف)... كما يحولون أحيانا حرف (الكاف) الآتي في أول أو آخر الكلمة إلى حرف فارسي صميم هو (چ) والذي ينطق مثل الـ(Ch) في الإنجليزية... وهي مطابقات ليست وليدة الصدفة فيما يبدو نظرا للاستعمار المتعدد من قبل الفرس لذلك الجزء من جزيرة العرب منذ قديم الأزل...

كما يستخدم شرق الجزيرة العربية ذات التراكيب اللغوية تقريبا...مثل (حياك الله) والتي تعني [أطال الله في عمرك]... و(سيدا) بمعنى [على طول / طوالي]..وكذلك (وايد) أيْ [جدا]...أو (طرِّش) أيْ [ارسل]... و(دِشّ) بمعنى [ادخل] وهكذا...

كل هذا إن دل فإنما يدل على الوحدة الحقيقية لشعوب تلك الجزيرة

التي تعد أكبر شبه جزيرة في العالم من حيث المساحة...فليس غريبا بعد ذلك أن نرى مجلس تعاون خليجي وسوق عربية مشتركة وزي عربي موحد...وحب وترابط حقيقي بين أبناء شعوب تلك المنطقة..

حفظ الله الجزيرة العربية وأهلها...وأدام عليها الوحدة والترابط إلى يوم الدين...

"إنت ماتعرفش إنت بتكلم مين؟!"
الأربعاء 19 نوفمبر 2014

لن تسمع هذه العبارة المعنونة أبدا في البحرين... بالطبع ليس لأنه لا يوجد أشخاص مهمين في البحرين...ولكن في واقع الأمر لم ألحظ وجود طبقية في مجتمع البحرين بين البحرينيين..

فمن المشاهد الغريبة عن مجتمعنا المصري أن الدولة توفر سكنا للبحرينيين.. ولكن لا يوجد ما يسمى بإسكان شباب وإسكان متوسط وإسكان فاخر...الجميع هنا من مختلف الفئات قد يقطنون ذات العقار في (مدينة عيسى) أو (مدينة حمد) مثلا...

وقد لاحظت ما لهذا من أثر طيب على طبيعة المواطن البحريني (وخاصة السني)..حيث لا تشعر بأنه مقهور أو حامل لحقد أو ضغينة... ويؤدي ذلك أيضا إلى صعوبة معرفة المستوى الاجتماعي للمواطن البحريني من مظهره للوهلة الأولى... كما لا تجده مشغولا بالتقرب ممن هم أعلى منه في المستوى الاجتماعي أو الوظيفي..هو لا يشغله ذلك على الاطلاق لأنه ببساطة لا يرى طائلا من ورائه..!

ولكن قد تلاحظ تلك الطبقية في تعامل البحرينيين السنة مع فئتين: أولهما مع بعض البحرينيين الشيعة..وثانيهما مع بعض الأجانب

الأسيويين وخاصة الهنود

فمن شبه المستحيل أن تجد بحرينيا يعمل كفراش أو عامل بوفيه...هي وظائف دنيا محجوزة دائما للهنود وما شابههم من الجنسيات... كما أن المواطن البحريني بطبيعته - كمعظم مواطني شبه الجزيرة العربية - كسول بعض الشيء... لا يجد داعيا ملحا للعمل باجتهاد... هم يحبون أخذ الأمور ببساطة في كل شيء...ولا يميلون كثيرا نحو الشد العصبي... ورغم تلك الطبقية النسبية تجاه بعض الهنود ستفاجأ حين تجد أن أغلب البحرينيين - وخاصة الشباب - يجيدون اللغة الهندية ويتعاملون بها مع الهنود..! وهي بالمناسبة امتداد للغة الأردوية - لغة باكستان الرسمية والتي تعد بدورها امتدادا للغة الفارسية في التركيب اللغوي والنطق الآري وشكل الحروف العربي مع بعض الاختلافات - في حين تكتب اللغة الهندية بحروف (دنفاناغارية हिन्दी)...

وأيًا ما كان الأمر..فالملاحظ هو إجادة كثير من البحرينيين للغة الهندية ربما نظرا لاستعانة الكثير من العائلات البحرينية منذ سنوات عديدة بمربين وخدم وحشم هنود.. فتعلم البحرينيون لغة أولئك وأصبحوا لا يجدون حرجا في استعمالها معهم..وهو ما قد يشير إلى السلام النفسي العميق الذي يحياه الشعب البحريني...

أما الطبقية تجاه بعض البحرينيين الشيعة فلم تَطفُ على سطح المجتمع البحريني إلا بعد اندلاع الاضطرابات السياسية في فبراير **2011**... قبل ذلك قيل أن المجتمع البحريني كان مترابطا في سلام ولم تكن الخلافات الطائفية ظاهرة بالمرة...ولكن مع اندلاع الأحداث يبدو أن الشيعة قد تجاوزوا بعض الشيء تجاه مواطنيهم السنة فرأوا منهم ما لم يعهدوه عليهم من قبل...من حينها أصبح هناك شقاقا واضحا وتمييزا بين أبناء الشعب البحريني على أساس المذهب...

ومن اللافت للنظر في مجتمع البحرين أن أسماء الأشخاص لها دلالات قطعية على خلفية أصحابها...فمن خلال اسم الشخص البحريني تستطيع التعرف على ديانته ومذهبه ومستواه الاجتماعي وربما منطقة سكنه بسهولة..!

وأيًا ما كان الأمر – إذا صادفك الحظ في يومٍ ما ودخلت في عراك مع أحد البحرينيين – وهي فرضية مستحيلة تقريبا – فلا تحاول أن ترهبه بمقوله: "إنت ماتعرفش إنت بتكلم مين؟!"...ساعتها أول شيء قد يتبادر إلى ذهنه أنك... قررت التوقف عن العراك وتسأله عما إذا كان يعرف اسمك..!!

"بعشرة صاغ خس.. بعشرة شاح حش.. بعشرة قروشٍ خس"

الأحد 23 نوفمبر 2014

من الأمور المريحة في البحرين إنك لن تضطر لعقد مقارنات كثيرة بين أسعار المنتجات المعروضة بها وبين مثيلاتها في مصر..وذلك لأن الأسعار في البحرين تتقارب كثيرا من مثيلاتها بمصر في المجمل مع بعض الاختلافات...

وحين أقول بتقارب الأسعار لا أعني بالطبع أن ما يباع في مصر بجنيه مثلا تجده في البحرين بدينار أيضا.. ولكن أعني ما يوازي القيمة أخذا في الاعتبار بأن الدينار يساوي تقريبا **19** جنيها مصريا...فوجبة ماكدونالدز الفردية هنا مثلا تبدأ من **1.5** دينار تقريبا أن ما يوازي **30** جنيها مصريا – والأخير هو سعر ذات الوجبة في مصر..لذا تكاد تتطابق الأسعار..

ورغم ذلك التطابق الإجمالي فإن المدقق في الأمر يجد الآتي:

- ما يتم إنتاجه في البحرين ومصر محليا كلٍ على حدة ستجد المنتج البحريني بذات السعر المصري ولكن بجودة أعلى بغير قليل...وربما تجده أرخص قليلا أيضا من ذلك المقابل المصري... ومثال ذلك

الأسماك..فهي هنا أرخص من مثيلاتها المصرية وبجودة أعلى... وكذلك لحم الضأن المشهور هنا ستجده أرخص وأجود من نظيره المصري..

- ما يتم إنتاجه في مصر دون البحرين ستجده أغلى كثيرا في البحرين..ولا سيما إذا كان المنتج المعروض في البحرين مستوردا من مصر مثل البطاطس والبرتقال والطماطم مثلا... فإذا أردت أن تشتري خس سلطة (كابوتشا) مثلا ستضطر لدفع ما يوازي **30** جنيها في الثمرة..بينما تجد ذات (الكابوتشا) مسجاة على أرصفة مصر بـ**2** أو **3** جنيهات على أقصى تقدير... وكذلك الطماطم حيث يباع الكيلو هنا بما يوازي **17** جنيها في حين تعج بها محلات بائعي الخضروات في مصر ولا تجد من يشتريها بـ**5** جنيه للكيلو على أقصى تقدير..!

- ما يتم استيراده في كلٍ من البحرين ومصر – مثل السيارات – ستجده حتما أرخص في البحرين منه في مصر..وذلك لأن التعريفات الجمركية بالبحرين ثابتة بنسبة **5**٪ على كافة المنتجات المستوردة... بينما قد تصل التعريفة الجمركية في مصر إلى **135**٪..!

- أما بالنسبة للخدمات – تمييزا عن المنتجات – فأستطيع القول بأنها أغلى في البحرين منها في مصر ولكن مقابل جودة أعلى لدى الأولى... ومثال ذلك قطاع الاتصالات حيث أن الشركات الثلاثة المنافسة في خدمات المحمول تكاد تتطابق في وحدة سعر خدماتها المقدمة بحيث تعد ضعف

مثيلاتها في مصر تقريبا...ولكن قلما تجد عطلا في الشبكة لعدة ساعات أو بعدة مناطق كما الحال في مصرنا الحبيبة...

لذا فإن نصيتحى لك إن أردت أن تأكل طبقا من السلاطة وأنت تتحدث إلى محبوبتك في الموبايل على شاطئ البحر لعدة ساعات أن... تحجز تذكرة سفر وتتوجه فورا إلى....الإسكندرية أوفر لك..!

"أنا مش عارفني...أنا تهت مني...أنا مش أنا"
الثلاثاء 2 ديسمبر 2014

أواجه مشكلة حقيقية منذ أتيت إلى البحرين...وهي أن الناس تظنني غير مصري..!! نعم كاد يجمع كل من رآني في أوقات مختلفة أنني لست مصريا...بالطبع هم لم يظنوني (بلجيكيا) مثلا..!

ولكن أغلبهم ظن أنني تونسيا أو جزائريا..لماذا؟ لا أعرف

البعض علق على عدم مصرية شكلي...والبعض الآخر علق على عدم مصرية لهجتي..!

فلما نظرت إلى نفسي في المرآه لم أجدني ناعم الشعر مسدلا على كتفيْ...وحين راقبت كلامي لم ألحظني أميل ناحية مد الكلام كما الفرنسية... لكني تذكرت أن أحد الأصدقاء الذي تعرفت عليه مصادفة بالإسكندرية حين كان عمري **10** سنوات تقريبا علق على أن لهجتي ليست مصرية..!! إلى هذا الحد أنا غريب على نفسي؟!

ولم يكتفوا بذلك فقط..بل ظنني بعض البحرينيين مسيحيا..!! وفي ذلك قصة قديمة مستمرة....

بدأ ذلك الظن وأنا أحضر أحد الدروس الخصوصية لمادة اللغة الفرنسية في المرحلة الثانوية..ومع مرور الأسابيع توطدت صداقاتي بزملائي

الحضور حتى فاجأني واحدٌ منهم يدعى (وليد) بأنه كان يظنني مسيحيا..

مرت السنين حتى عملت بالمحاماة وتخصصت لبعض الوقت في مسائل الملكية الفكرية..حتى ظللت أتردد لسنوات على الجهات الحكومية المختصة بحماية الملكية الفكرية...وفي تلك السنوات ربطتني علاقات يومية بالموظفين حتى فوجئ أحدهم بعد مرور سنوات على معرفتي به أنني ذاهب لصلاة الظهر فخيل له أنني أمزح..واتضح أنه كان يظنني مسيحيا..!

وفي أثناء ليست بعيدة عن ذلك التاريخ التحقت بالعمل كمحامٍ بالشئون القانونية لإحدى شركات البرمجيات بمصر حتى قابلت ذات الموقف من شخصين مسيحيين ظلا لأسابيع يظنانني مسيحيا مثلهم..! فلما سألت أحدهما قال لي: "شكلك مسيحي أوي"..ولم أفهم مغزى عبارته حتى اليوم..!!

وأيًا ما كان الأمر – فقد شعرت بارتياح لأن شكلي غير مميز لديانتي..وهو أمر قد يشير إلى ذوبان العلامات الدينية داخل الهوية المصرية أحيانا...إلا إنني مازلت متهما بعدم مصريتي..!!

لذلك لا يسعني إلا أن أردد داخلي مقطع الفنان/ عبد الباسط حمودة:

"أنا مش عارفني...أنا تهت مني...أنا مش أنا"..!

"استنى وخلي بالك.. بص يمينك وشمالك"

الأربعاء 3 ديسمبر 2014

الحمد لله...أخيرا حصلت اليوم على رخصة القيادة البحرينية.. بعد أن انتظرت ما يقارب الثلاثة شهور ما بين تقديم الأوراق والكشف الطبي والمحاضرة النظرية والتدريب والاختبار..

وفي علاقة رخصة القيادة المصرية بنظيرتها البحرينية قصة تشير إلى أي مدى انحدر المصريون وانفصلوا عن واقعهم... فقبل ثماني سنوات من الآن تقريبا وما قبلها كان المصري إذا أتى إلى البحرين يمكنه استبدال الرخصة المصرية بنظيرتها المصرية دون حاجة إلى اختبار... ومرت الأيام حتى قام أحد المصريين الوافدين باستخدام رخصة مصرية (مزورة) للحصول على نظيرتها البحرينية وكشِف الأمر! حينئذ قررت السلطات البحرينية إخضاع المصريين حاملي الرخصة المصرية إلى اختبار قيادة فوري دون حاجة إلى تدريب..وهنا كان مكمن الفخ..! حيث رسب جل المصريين تقريبا في الاختبار عند إجرائه لأنهم ببساطة..كانوا يفتقدون الإلمام بقواعد المرور العالمية — والمطبقة في البحرين — مما أضر بكثير منهم...

بعد ذلك بفترة اضطرت السلطات البحرينية تعديل الوضع ليكون

ألطف قليلا بأن سمحت لحاملي الرخصة المصرية – فيما يعرف بنظام (التقييم) – بأن يتدرب لمدة 6 ساعات معتمدة أولا ثم يتم إخضاعه إلى الاختبار..فإن اجتازه صدرت له الرخصة البحرينية..وإلا فيضطر إلى استكمال 16 ساعة تدريب معتمدة إضافية ليتساوى مع من يتقدم لأول مرة للحصول على رخصة قيادة...

وهذه القصة رغم بساطتها إلا إنها تشير إلى إجرام المصريين في حق أنفسهم...حيث تبدل حالهم من أعزاء إلى أذلاء بأفعالهم المشينة...

وأيا ما كان الأمر – فالحمد لله على اجتياز الاختبار من المرة الأولى..وعقبال الجميع...

"الكيت كات"

الخميس 4 ديسمبر 2014

من أجمل مشاهد فيلم (الكيت كات) بالنسبة لي هو مشهد (الشيخ حسني) وهو جالس (يحشش) مع مجموعة من أقرانه في إحدى سرادقات العزاء بعد أن كان المعزون انفضوا..ويبدو أن أحدا لم ينتبه إلى كون (الميكروفون) مازال مفتوحا ينقل سَمَرهم إلى سكان الحارة بدلا من تلاوة القرآن الكريم... فأخذ (الشيخ حسني) يعك في الكلام ويفضح أهل الحارة ويتكلم عن مخبوبته (أم روايح) التي تشبه (لهطة القشطة) ظانا أن كلامه طي الكتمان في تلك الجلسة...ثم فوجئ بعد ذلك أن أهل الحارة كافة قد سمعوا فضائحه التي كان يظنها في طي الكتمان..!

ومرت **20** سنة على إنتاج فيلم الكيت كات – الذي لحن موسيقاه التصويرية الشهيرة المبدع (راجح داوود) – حتى عرض فيلما آخر سنة **2010** بعنوان (تلك الأيام) بطولة محمود حميدة وصفية العمري وأحمد الفيشاوي والذي احتوى على مشهد شبيه بسابقه من فيلم (الكيت كات) حيث كان محمود حميدة ضيفا على إحدى برامج التوك شو السياسية..وأثناء الفاصل الإعلامي أخذ يتكلم على سجيته فاضحا أطرافا سياسية عديدة تربطهم به صلات مشبوهة..ولم ينتبه إلى أن البث المباشر

عاد لنقل كلامه مرة أخرى ليسمعه ملايين المشاهدين من مختلف أنحاء العالم ويفتضح أمره..!

وفي كلتيْ الحالتين لم يجر بخلدي أبدًا أنني سأكون في يوم من الأيام بطلا لقصة شبيهة إلى أن جاء اليوم..!!

فبعد حصولي على رخصة القيادة البحرينية فكرت في شراء بعض الشوكولاتة وتوزيعها على أصدقائي في العمل مثلما المعتاد في تلك المناسبات السعيدة...والحقيقة أنني كنت مترددا في وضع مديري ضمن الأسماء الموجه لهم (دعوة الشوكولاتة)...فمن ناحية قلت في بالي أنه لا يصح أن أضعه جنبا إلى جنب مع بقية زملائي..حيث من الأفضل أن أذهب له بنفسي مبشرا بخبر الرخصة وجالبا له بعض الشوكولاتة....ومن ناحية أخرى فكرت أن وضعه في رسالة ضمن الجموع موضوعها خبر شخصي قد يضعه في حرج لعدم الاعتراض على استخدام بريد الشركة الإلكتروني في إرسال أخبار شخصية – رغم جريان العرف على التسامح في مثل هذه المواقف كما كان يقيني الشخصي..... المهم فكرت في إرسال رؤاي تلك إلى زميلي في الإدارة لعله يوافقني عليها أو يردني إلى الصواب...وقمت بكتابة رسالة له نصها: "أنا مش هاحط (فلان) في الإيميل عشان مايقعدش يقوللي لوايح الشركة وزفت بأه"..وبدلا من أن أرسلها له أرسلتها إلى..مديري..!!!

وفي الواقع كانت صدمة لي بكل ما تعنيه الكلمة...فللحظة يتوقف عقلك عن نشاطه ولا تدري ماذا عساك أن تفعل...فماذا فعلت؟ ولماذا حدث ذلك؟ ثم ماذا كان رد فعل المدير البائس؟ وكيف مر الأمر؟ كلها أسئلة ليس لها إجابة نموذجية محددة...ولكن كل ما أستطيع أن أقوله هو أن الإنسان ليس مخيرا في كل أموره بالمعنى الدقيق...وأن الله (سبحانه وتعالى) له حِكَم وتصاريف في الأمور لا يعلم مغزاها إلا هو....كل ما أستطيع أن أخرج به من تلك التجربة الإنسانية المريرة هو قول للشيخ محمد متولي الشعرواي (رحمه الله) مفاده: "إذا لم تستطع أن تدرك حكمة الله في الأمور فتذكر (أما وأما وأما) في سورة الكهف {أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً (80) فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْراً مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً (81) وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً (82)}".....!

"اليوم يوم الفوز يا الربع نبي فَزعَتهم"

الثلاثاء 9 ديسمبر 2014

العنوان المسطور بعاليه ما هو إلا جملة بلهجة بحرينية محلية رددها أحد أصدقائي البحرينيين بالعمل معناها: "اليوم يوم الفوز يا أصدقاء..نريد أن نغلبهم"!..وذلك قبل مباراة لكرة القدم ينظمها أسبوعيا بين رفقاء العمل...

واليوم استكملت درات عُقد غرابة اللهجة البحرينية المحلية بقبولي دعوة لتناول الغداء مع كوكبة من البحرينيين يتخللهم يمني واحد...وكان هولا ما سمعت..! فعلى مدار نصف ساعة لم أفهم أكثر من خمس دقائق تقريبا..! يتكلمون بلهجتهم المحلية فيخيل إليك أنك تسمع كلاما أعجميا تماما...هي لهجة أقرب ما تكون للهجة البدو الموجودين في مختلف أنحاء مصر وخاصة بسيناء... فعلا سبحان الله..!

وعموما لا توجد محاذير لغوية واضحة حين تستخدم اللهجة المصرية مع بحرينيين...ولكن حذار من استخدام لفط (مكواة) أو مشتقاتها الفعلية خاصة في حضرة سعوديين أو كويتيين..حيث يشير ذلك اللفظ عندهم إلى (مؤخرة/مقعدة/دبر) الشخص..! بينما يصفون تلك الآلة الحديدية التي تستخدم لكيّ الملابس بلفظ (أُوتي)... كما أن فعل (يزُقّ) – المنطوق بحرف "الجيم" غير المعطشة حسب اللهجة البحرينية – له معنى (التغوُّط)

بالبحرينية..! لذا لن يستطيع الفنان/ محمد محيي أن يشدو في البحرين بأغنيته (زجزاج)..!

ولا يميل البحرينيون عموما إلى البذاءة في الكلام كما المصريين...هم كلامهم عفيف في مجمله وقلما تجدهم يستخدمون ألفاظا خادشة...

أما بالنسبة لتداول اللهجة المصرية هنا في البحرين..فأستطيع الجزم بعدم وجود بحريني لا يتكلم اللهجة المصرية أو على الأقل يفهمها...هم متأثرون فعلا بالفن المصري وخصوصا الأفلام والمسرحيات المصرية التي أنتجت في فترة التسعينيات وما قبلها...فعلا استطاعت مصر بما يعرف بـ(قوتها الناعمة) وقتئذ أن تشكل وجدان تلك البلدان وخصوصا مواليد الثمانينيات وما قبلها...ويظهر ذلك بوضوح في الإفيهات المستخدمة من قِبَلهم وخاصة إذا أرادوا أن يسايروك أو يجاملوك... فتجد إفيهات من نوعية "هي رقاصة وبترقص"..."وهاتقولهوملي نيللي نيللي هاقولهوملك شريهان شريهان" بالضبط كما مثلها المبدع أحمد مكي في فيلم (طير إنت)...لكن ما لاحظته أنهم حين يفعلون ذلك يكونون حقا خفيفي الدم على عكس شخصية الخليجي في ذلك الفيلم..

بل لي صديق بحريني في منتصف العِقد الرابع من العمر تسيطر الأفلام المصرية على عقله تماما حتى بدا أسيرا لها..ويتهافت على مشاهدة ما يعرض من أفلام مصرية بدور السينما البحرينية...ويُجل كثيرا عادل إمام وأحمد زكي ومحمود عبد العزيز وسمير غانم... وأظن أن ذلك مرجعه إلى

انتشار تلك الأفلام – قبل انفتاح الخليج على الغرب بدرجة كبيرة في مطلع القرن الحادي والعشرين – عبر قنوات ART ذائعة الصيت في فترة الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين...والتي كان معظم المصريين مثلي محرومين منها في تلك الفترة..وكانت حكرا على العائلات الغنية التي تمتلك جهاز ريسيفر ودِش في ذلك الوقت فيستطيعون مشاهدة القناة الفضائية المصرية..أو على الأسر المصرية المقيمة بالخليج في تلك الفترة والمشتركة بباقة ART...حتى أنه كان لي جار بمنزلي القديم يدعى (ساجي) – والذي كان مقيما معظم شهور السنة مع أسرته بدولة الإمارات ولا يأتون مصر إلا في الإجازة الصيفية ثم يعودون مجددا – كان هو مصدر المسرحيات المختلفة التي شاهدتها في طفولتي من نوعية (شاهد ماشافش حاجة) و(العيال كبرت) و(مدرسة المشاغبين) و(وجهة نظر) و(الهمجي)..حيث كان يسجلها على شرائط فيديو من خلال مشاهدته لقنوات ART أو القناة الفضائية المصرية..ثم أقوم أنا باستعارتها منه لمشاهدتها كيفما أشاء...وكان ذلك إبهارا بحق لي في ظل ضنك القنوات العشر المصرية التي كانت متاحة في تلك الفترة حيث كان عرض مسرحية من تلك بمثابة حدث لا يتكرر كثيرا وقد ننتظره من العيد إلى العيد..اللهم إلا إذا تم عرض فصل منها بعد صلاة الجمعة مثلا على القناة الأولى أو الثانية.. فكنت أشاهد المسرحية المستعارة عدة مرات قبل أن أضطر لإرجاع الشريط لـ(ساجي) مرة أخرى..!

ويذكرني هذا أيضا بـ(نوادي الفيديو) التي ظهرت في الثمانينيات وكانت المصدر الاختياري الوحيد للأفلام والمسرحيات إذا ما أردت أن تشاهدها في أي وقت...فكان في كل منطقة سكنية غالبا (نادي فيديو) أو أكثر وهو عبارة عن محل تدخله لتجد أن فاترينات العرض ملأى بشرائط الفيديو بين أفلام عربية وأجنبية وكذلك بعض المسرحيات..ابتداءً من فيلم (عفريتة هانم) حتى أحدث الأفلام مثل **Brave Heart**..! ولكي تستعير شريطا كان عليك أولا أن تكون مسجلا في دفتر لدى صاحب النادي..ثم تقوم بعد ذلك بدفع قيمة إيجار الشريط والتي كانت في حدود جنيهين تقريبا بشرط إعادة الشريط إلى النادي في خلال **3** أو **4** أيام على الأكثر! وأتذكر أن زيارة لنادي الفيديو القريب من مسكننا –كان يسمى (شلبي فيديو كلوب) – لا تتم فرادى أبدا..بل كان يتعين علي أنا وإخوتي أن نذهب معا لاختيار فيلم الأسبوع..بحيث نشكل ما أشبه بـ(لجنة الاختيار) حتى لا ينفرد أحد بهذا الاختيار الحساس! وأتذكر كم (أخذت كلام في جنابي) من والدتي لأنني ذهبت يوما منفردا فاخترت فيلم (واحدة بواحدة) لعادل إمام – الأمر الذي اعتبرته أسرتي سفها حيث كان أجدر بي أن أحضر فيلما حديثا نوعا ما.. وأصروا على استبداله! وكان الطريف في الأمر أنه حين ينزل شريط فيديو لفيلم جديد – كان قد نجح جماهيريا في السينما قبل رفعه منها – كان أ. شلبي (صاحب النادي) يخبئ الشريط

الخاص به فلا يعرضه على الفاترينة باعتباره كنزا لا يصح أن يكون نهبا للجميع..بحيث لا يخرجه إلا لـ(الحبايب)! وأتذكر في ذلك الأمر أنه كان يخبئ فيلم (إسماعيلية رايح جاي) – والذي أحدث ضجة بدور العرض في ذلك الوقت في أواخر التسعينيات – فعرض إعارته لي باعتباري من (الحبايب) مقابل خمسة جنيهات دفعة واحدة!

وبمرور الوقت ومع مطلع الألفية الثالثة وظهور الاسطوانات المدمجة كانت نوادي الفيديو قد انقرضت – ومن بينها (شلبي فيديو كلوب) – والذي حول محله إلى (كوافير)..!

يااااه...لهذه الدرجة تغيرت حياة المصريين! لقد تغيرت حياتنا بشكل أسرع من مرور الزمن ذاته...من يصدق بعد مرور 20 عاما أن المصري يمكنه الآن مشاهدة أي شيء في أي وقت من خلال ضغطة زر على (الكمبيوتر)..بل قل على (التابلت) أو على (الموبايل)..! من يصدق أنه أصبح بالإمكان الآن الحصول على المعلومة بضغطة زر بدلا من البحث في الموسوعات الثقافية الورقية المكتظة بها بيوتنا..!

أراني أسترجع ذكريات ماضٍ قريب كان بالإمس أمسًا...ولربما أتناول بعض أجزائه بشيء من التفصيل في خواطر قادمة بإذن الله..

"ترررررن...ترررررن"

الأربعاء 10 ديسمبر 2014

منذ فترة قصيرة نزل بالأسواق البحرينية جهاز (آي فون 6) الذي أحدث ضجة كبيرة بين الجماهير البحرينية في الوقت الذي فيه المصريون محرومون من تداول هذا الجهاز بالأسواق المصري حتى الآن... فلما جلت بخاطري قليلا وجدت أن اختراع (التليفون) قد مر بمراحل تطور دراماتيكية منذ نشأتي في منتصف الثمانينيات من القرن العشرين..

فكأي بيت مصري – تفتحت عيوني على التليفون الأرضي (ذو القرص الدوار).. حيث كان عليك إذا أردت الاتصال بشخص ما أن تدس سبابتك في الدائرة الممهورة بالرقم المرغوب وتدير القرص باتجاه عقارب الساعة..ثم تنتظر حتى يرجع القرص إلى مكانه...وأظنني قد أدركت أرقام الهاتف حين كانت 6 أرقام فقط...ساعتها لم يكن الاتصال مرهقا بدرجة كبيرة إلا إذا كنت تعيس الحظ وكان الشخص المطلوب مشغولا..! حينئذ لم يكن أمامك سوى دس إصبعك مرة أخرى في الدائرة وإدارة القرص 6 مرات إلى أن يرن الجرس آذنا بشغور الخط...والملاحظ أن معظم المصريين وقتها كانوا – إذا ملوا من فرط محاولاتهم الوصول إلى المطلوب – يتمهلون في ترك القرص للعودة في الرقم السادس..ربما تباطؤًا لعل الخط يكون متاحا تلك

المرة بدلا من إعادة الكرّة! أو ربما دسوا إصبعا آخر بدلا من السبابة إراحة للأخير قليلا! وطبعا لم تكن خاصية الـ**Redial** متاحة في ذلك الوقت..كما لا يمكنك التثبت مما إذا كنت طلبت الرقم الصحيح أم لا..حيث لم تكن توجد بعد لوحة تظهر الرقم المطلوب..! كما كان يعيب هذا الطراز أنه لا يمكن التحكم في درجة صوت الرنين..كما لا يوجد اختيارات لرنات أخرى غير ذلك الصوت التقليدي الذي يهدر بين جنبات المنزل.. فكان إذا أراد أحد سكان المنزل أن ينام دون إزعاج لم يكن عليه إلا..أن ينزع (فيشة) التليفون من مكانها أو يرفع السماعة حتى يصير الخط معلقا..!

أما بالنسبة لشكل التليفون (ذو القرص الدوار) فمتباين...فقد كان التليفون البلاستيكي الرمادي اللون ذو القرص الأحمر هو الأوسع انتشارا في مصر حيث تُسدل السماعة أفقيا على جهاز الاتصال...كما رأيت التليفون الزَهْر ذو القرص المعدني...وكذلك الخشبي...وكان التليفون مادة تفاخر وتمايز بين الطبقات...فالتليفون الموجود بمنزل موظف بسيط يختلف عن تليفون القصور..

وأيًا ما كان الأمر...كانت مشكلة هذا التليفون (ذو القرص الدوار) هي السلك الخارج منه...فأنا لا أتذكر أنني رأيت بيتا في بداية التسعينيات يدفن السلوك داخل الحائط كما الحال الآن...وكان كثير من البيوت

يحرص على أن يكون سلك التليفون طويلا كـي يـسهل التجـول بـه داخـل المنزل... وأيا ما كان الأمر فقد كـان غالبـا مـا يـتم وضـع ذلـك التليفـون في (سَبَت) من البامبو أو ما شـابه ذلـك – علـى مـا يبـدو – تحـسينا لمظهـره القبيح..!

مرت سنوات حتى ظهر شكل آخر مـن التليفـون (ذو القـرص الـدوار) حيث كان على شكل (الميكروفون) بحيث توضع قاعدته عموديا على سطحٍ مستوٍ بحيث تضمن تلك الوضعية إغلاق الخط..ويـستقر القـرص الـدوار في تلك القاعدة السفلى الملامسة للسطح...كان منظره جذابا وقتها..وكم وددت وقتها لو أننا نمتلك تليفونا مثله!

في تلك الأثناء أضيف رقم سابع إلى الأرقام الستة في اتصالات المـصريين فأصبحت مهمة (القرص الدوار أكثر مشقة)... وبدأت أسمع في تلك الأثناء عن وجود تليفونـات في سـيارات بعـض الأثريـاء بمـصر وخـصوصا ماركـة مارسيدس موديل (الخنزيـرة) أو (التمـساحة)...وكـان ذلـك في حـد ذاتـه إبهارا بحق..!

والملاحظ في تلك الفترة أن الخطوط كانت كثيرا ما تتداخل مـع بعـضها البعض...كانت ظاهرة شهيرة لم تسلم منها أيضا رئاسة الجمهورية! ففي قصة طريفة نقلها د. مصطفى الفقي – السكرتير الـسابق للـرئيس الأسـبق

جسني مبارك – في إحدى برامجه الفضائية [16] أن كان مبارك على اتـصال هاتفي في بداية التسعينيات مع جورج بوش (الأب) ثم تداخل صوت رجل في الخط مستفسرا من مبارك إذا ما كان هو الرقم المطلوب! وظل الرجل يلح على مبارح في الاستفسار عن الشخص المطلوب حتى تسرب القلق إلى جورج بوش وتساءل عما يجري..فاستشاط مبارك غضبا وطلب من وزير النقل والمواصلات آنذاك أن يجد حلا لظاهرة تـداخل الخطـوط..! وفعـلا اختفـت هذه الظاهرة مع حلول منتصف التسعينيات...

وأخيرا ضربت الثورة التكنولوجية البيوت المصرية في النـصف الثـاني من التـسعينيات حـين ظهـر التليفـون الرقمـي (ذو الأزرار)...وبـدأ ذلـك الزحـف الإلكترونـي عـبر المـصريين الوافـدين مـن الـدول العربيـة مثـل السعودية والكويت...ثـم بـدأت تلـك التليفونـات الرقميـة تغـزو الأسـواق المـصرية رويـدا رويـدا... وكـان مبعـث الإبهـار في تلـك التليفونـات (ذي الأزرار) أنك لن تضطر مجددا لتدوير (قرص)..كمـا لم يعـد مطلوبـا منـك الضغط على 7 أرقام مجددا في حال كـان المطلـوب مـشغولا...بـل تـستطيع بضغطة على زر يسمى Redial أن تعيد الاتصال بذات الرقم..كما أصبح بإمكانك رؤية الرقم الذي طلبتـه لتفـادي الاتـصال بـرقم خـاطئ...وكـذلك أصبح يوجد زر لكتم الصوت يسمى Mute وذلك بديلا عـن وضـع راحـة

---

[16] كان ذلك مقطع من برنامج (سنوات الفرص الضائعة – شخصيات وأزمات) – حلقة ياسر عرفات – قناة النهار

الكف على سماعة التليفون كما السابق – والتي كانت كثيرا ما تسرب شظايا من الصوت المراد كتمانه! لكن كان يعيب تلك التليفونات الرقمية افتقارها إلى ذاكرة تخزين يمكن الاعتماد عليها..حيث لم يخلُ بيت مصري في تلك الفترة وما قبلها من (فهرست التليفون)..وهو – لمن لا يعرف من الأجيال الحديثة – كراسة أو دفتر مرتب أبجديا بحيث تحفظ فيه أسماء معارفك وأرقام تليفوناتهم..وكان كل فرد في الأسرة يمتلك فهرست خاصا به..! كما احتوى هذا الهاتف (ذو الأزرار) على خاصية التحكم في درجة صوت الرنين..حيث يوجد زر تستطيع تحريكه أفقيا لتختار صوت الرنين بين (عالي – منخفض – بدون)...وجاور هذ الزر أحيانا زر آخر يعطيك اختيارين – أو ثلاثة على أقصى تقدير – بين نغمات للرنين لا تختلف كثيرا عن الصوت الأصلي للهاتف..

حتى تلك الأثناء كان إذا أراد شخصا الاتصال وهو بالشارع – لم يكن أمامه إلا الاتصال من أحد أكشاك (الحاجة ساقعة) أو بعض محال الملابس بمقابل تارة أو بدون مقابل تارة أخرى على طريقة: "ممكن أستعمل التليفون لو سمحت؟".. أو قد يضطر إلى الذهاب إلى أقرب (سنترال) حيث يتوجه إلى موظف الشباك ويقول له نوع المكالمة المرغوبة (محلي – إقليمي – دولي) ثم يبتاع عملات معدنية فئة (شلن) أو (بريزة) أو (ريال)..ثم يشير الموظف إلى رقم الكابينة الواجب التوجه إليها ليقوم بعدها المتصل

بوضع العملات النقدية داخل حصالة التليفون ويقوم بالاتصال غير ناسيا أن يغذي الحصالة بعملات إضافية كلما نفد رصيده..!

ثم لم تكد تخمد ثورة التليفون الرقمي (ذو الأزرار) حتى ظهر التليفون (اللاسلكي)...وكان مبعث انبهار كبير..حيث أصبح بإمكان المرء أن يتجول بسماعة التليفون داخل المنزل دون سلك..! وبدأ التفاخر يدب بين الأصدقاء والجيران بعضهم بعضا فيمن يمتلك (لاسلكيا) ومن لا يملك...ثم انتقل التفاخر إلى (المدى المكاني) الذي يستطيع التليفون (اللاسلكي) الوصول إليه...حيث كان يعيب ذلك الطراز أنه كلما ابتعدت عن مصدر مخدعه قلّت جودة الصوت وزاد التشويش... وأيًا ما كان الأمر فقد كان بحق اختراااع..وخاصة حين تصعد إلى سطح المنزل لضبط الإيريال...حيث لم يعد ضروريا الصياح من النافذة تجاه أعلى البناية أوالعكس لإخبار الكهربائي أو من داخل المنزل أن صورة التلفاز أصبحت واضحة أو لا توجد صورة بالأساس..ولكن بشرط امتلاكك خط تليفون آخر بالمنزل بحيث تستطيع الاتصال بخط التليفون (اللاسلكي)! ولكن عاب ذلك التليفون اللاسلكي ما درج عليه بعض المراهقين في ذلك الوقت من التنصت على تلك الهواتف من خلال موجة الراديو! نعم.. فقد استطاع الشباب المصري بلؤمه إدراك أن موجات اللاسلكي يمكن التقاطها من خلال جهاز الراديو فيلتقطها الأخير ويحولها إلى ما يشبه محطة (إذاعة القرآن

الكريم).. ويتنصت على ساعات من المكالمات..!

وقبل تلك الأثناء كانت قد ظهرت (موضة) امتلاك أكثر من خط أرضي بالمنزل...واحد بغرفة النوم وواحد بصالة الاستقبال مثلا...كما سبق ذلك (موضة) أخرى وهي امتلاك أكثر من هاتف أرضي لنفس الخط بحيث إذا اتصل متصل رن أكثر من تليفون بذات المنزل..! وكانت وسيلة أيضا من وسائل تجسس الزوجة على مكالمات الزوج! وسبيلا من سبل إثبات الأب أو الأم تضجرهم من طول مكالمة الابن أو البنت..حيث لم يكن منهم إلا أن يرفعوا السماعة الإضافية طالبين من أطراف المكالمة إنهائها..! [ده الواحد ياما شاف..!]

ويبدو أن الجهاز القومي لتنظيم الاتصالات المصري قد شعر بالغيرة بعض الشيء فقرر هو الآخر التطوير حيث فاجأ المصريين بظهور تكنولوجيا (إظهار رقم الطالب) والتي حدّت بدرجة كبيرة من ظاهرة (المعاكسات التليفونية) والتي أفخر بكوني أحد أبطالها القدامى..! كما طال التطوير بعض الخدمات الأخرى مثل ظهور (مفتاح الدولي) حيث أصبح بإمكان صاحب المنزل منع أي أحد من الاتصال إقليميا بالمحافظات أو دوليا عن طريق مفتاح بدأ ماديا ثم أصبح إلكترونيا..! وكذلك ظهرت خاصية (الانتظار) والتي أقبل عليها المصريون بنهم شديد غير مصدقين ما آلت إليه التكنولوجيا..

كما ظهر اختراع (الإنتركوم) في تلك الأثناء تقريبا...وكان مقصورا بالطبع على البنايات الفاخرة التي يقطنها الأغنياء...

وفي مجال كبائن التليفونات العمومية ظهر ما يعرف بكروت (النيل) و(ميناتيل) للاتصال من خلال كبائن تنتشر في الشوارع ذي لونين أحمر أو أصفر بحسب الشركة مقدمة الخدمة..مما قضى على كبائن السنترالات العمومية بـ(الضربة القاضية)!

كما ظهرت في تلك الآونة أيضا التليفونات ذات خاصية النداء الآلى (أو الأنسر ماشين)... فأصبح التليفون الأرضي أكبر قليلا ليوفر مكانا في باطنه لشريط الكاسيت الصغير المعد لتسجيل الرسائل الصوتية...فلم يكن مطلوبا من صاحب ذلك التليفون سوى أن يسجل رسالة على نحو: "نحن غير موجودين بالمنزل...يرجى ترك رسالتك بعد سماع الصفارة...تيييت"...وكان ذلك الاختراع أيضا مثار تفاخر بين المعارف..كما كان مجالا للتمايز الطبقي..فكانت الأسر الراقية تجنح ناحية ترك رسالة النداء الآلى باللغة الإنجليزية..بينما يميل الأخرون نحو ترك رسالة باللغة العربية الفصحى للاختباء بها من ضعف لغتهم الإنجليزية أو رداءة لكنتهم..! وأتذكر أن أخي الأكبر (صلاح) قرر ذات يوم أن يترك رسالة نداء آلي فلكلورية لإضحاك المتصلين..حيث صاغها باللهجة الصعيدية أو قُل (البوابينية)..!

في تلـك الأثنـاء...بـدأت أرى إعلانـات في التلفـاز – منتجـات شـركة (تميمة) في الغالب – عن تليفونات لها رنات مميزة..مثل رنة على هيئـة خوار (الجاموس)..أو نباح (الكلب)..وهكذا..!

وفي الربع الأخير من القرن العشرين ظهر اخـتراع علـى هيئـة جهـاز تحمله في جيبك ينبهك بأن أحدا قد اتصل بك في المنزل...ولكـن لم يـستمر هذ الجهاز طويلا لأن...الكبير ظهر.!!

فقـد ظهـر في عـام **1998** تقريبـا اخـتراع القـرن في مـصر..الهـاتف المحمـول (الموبايـل)...وكنـت قـد رأيتـه قبـل ذلـك بـثلاث سـنوات في لندن..ووقفت مشدوها وأنا أرى صبي من سني يتكلم في هاتف لا يبدو أنـه هاتف لاسلكي مثل ما يقبع في البيـوت المصرية...بـل كـان هاتفـا جـوالا بمعنـى الكلمـة..! وأذكـر أن مـن أوائـل الهواتـف الـتي ظهـرت بمـصر (إريكسون) و(نوكيا) و(ألكاتيـل)...وفي البدايـة لم يـستطع غـير الأغنيـاء امتلاكه نظرا لبهاظة ثمنه وثمن خدمة الاتصالات التي كانت لا توفرها إلا شركة (موبينيل)...ولما كان ذلك حدثا جللا تناوله الفن المصري مـن خـلال بعض الأعمـال..فأنتجـت مـسرحية في ذلـك الوقـت بعنـوان "لـو مـشغول اطلبني على المحمول" بطولة محمـود حميـدة وحمـدي بـشتان..! وقتئـذ كانت تـسمية ذلـك الجهـاز مثـار تمـايز طبقـي أيـضا..حيـث درج معظـم المصريين إلى تسميته (محمول) في حين كان يسخر أبناء الطبقة الراقية من

تلكم التسمية ويطلقون عليه اسم (موبايل).. وأيًا ما كان الأمر فقد ابتعدت كلتا الحالتين عن تسميته الإنجليزية الرسمية الصحيحة وهو Cellular..!

وبعد انفراد شركة (موبينيل) بالصدارة لعدة شهور ظهرت شركة (كليك) — والتي تم شراؤها بعد ذلك بسنوات من قبل (فودافون)...وكانت تغطية الشبكتين في تلك الفترة متواضعة تقتصر على المناطق الحضرية وخاصة الراقية...ورويدا رويدا بدأت التغطية تزيد حتى عمت أنحاء الجمهورية...خصوصا مع انضمام شركة (اتصالات) إلى سوق خدمات المحمول....وتوالت طرازات الموبايلات بأشكالها وأحجامها المختلفة...وبدأ الناس يتشجعون على شراء ذلك الجهاز السحري...وانخفضت تعريفة الاتصال تدريجيا...فأتذكر حين امتلكت أول (موبايل) وأنا في الصف الأول الثانوي — وهو بالمناسبة (نوكيا 3210) الذي انتشر انتشار النار في الهشيم — أن تعريفة دقيقة الاتصال كانت 175 قرشا! فكان أغلب المصريين حين يريدون السؤال على أصدقائهم يقومون فقط بـ(الرن) عليه دون إتمام المكالمة! وأتذكر كم كان يغتاظ المرء حين يفتح عليه المطلوب الخط عمدا أو سهوا..!

وبدأت بشائر التطور في الهطول...فبعد أن كان (الموبايل) به قائمة بعدة رنات تختار من بينها الأنسب لك غير مقيد برنات الهاتف

التقليدي..أصبح في الإمكان أن (تُركّب) لحنا من السلم الموسيقي — دون صوت المطرب — من خلال أزرار الهاتف كما البيانو..بل وأصبح في الإمكان تبادل تلك الرنات حتى غَدت تشمل مقاطع من ألبومات المطربين...وكالعادة انقسم الناس إلى فئتين: فئة راقية تهتم بمقاطع الأغاني الغربية أو أحدث الأغاني المصرية.. وفئة (بيئة) تضع تتر مسلسل (المال والبنون) مثلا! وفي كل الأحوال كانت النغمات على سلم موسيقى واحد مقيدة بقيود تكنولوجيا الـ**Monophonic** المحدودة في ذلك الوقت...

كما بدأ (الموبايل) بشاشة (أبيض وأسود) وظل كذلك لفترة ليست بالقصيرة..وأخذ في التطور شيئا فشيئا حتى أصبح الآن كما التلفاز في نقاء شاشته ووضوحها..! وواكب مراحل تحسن الشاشة تطور كبير في صوتيات (الموبايل) فظهرت تكنولوجيا الـ**Polyphonic** بحيث يمكنك تشغيل مقاطع غنائية كاملة بصوت المطرب كما الأغنية الأصلية وجعلها ضمن قائمة صوت رنين (الموبايل).. ولم يمنع ذلك بالطبع من إدلاء (البيئة) بدلوها (المدهنن) فظهرت شركات تقدم خدمات مثل (رنتك باسم حضرتك) وغيرها مما يصيب المرء بالغثيان..! كما كانت معظم (الموبايلات) قد بدأت تحتوي على راديو داخلي ينقل الأخبار لعشاقه... وتلا ذلك ظهور خدمات (الكول تون) بحيث يستطيع من أراد الاتصال بك

أن يسمع مقطع من أغنيـة بـدلا مـن صـوت (تيييـت) الـدال علـى شـغور خطك..! كما جنح كثير من المصريين إلى الاتـصال بأنفسهم لسماع مقطع (الكول تون) الخاص بهم..!

وبظهور (الموبايل) أصبح التطور في مجال الاتصالات كالقنابـل الناريـة تقذفنا بجديدها صباح مساء... فدشنت الدولة خدمات الإنترنت على نطاق واسع..بادئة بـالخط الأرضـي العـادي الـذي يـتم توصيله إلى دُبـر جهـاز الحاسوب الآلي بعد أن يتم سداد اشتراك شهري مقابل تلك الخدمة يضاف إلى فـاتورة التليفـون الأرضـي...ومـرت سـنوات حتـى ظهـرت كـابلات الإنترنت التي تعرف بالـLAN... ثم من بعدها الإنترنت اللاسلكي أو ما يعرف بالـWi Fi...ودخلت مصر بحلول القرن العشرين في ثـورة رقميـة حقيقية..فظهر الإنترنت فائق السرعة...وانتشرت عادة قبيحـة ألا وهـي سرقة خطوط الإنترنت...حيث يقوم المشترك المقتدر بإعطـاء وصـلة (نـت) لجيرانه مقابل مبلغ من المال...فيما قرر البعض الآخر الاشتراك في جهـاز (راوتر) جماعي توزع أسلاكه على الجيران المشتركين...حتى إذا ما قررت فتح نافذة بيتك المطلة على العمارات المجـاورة تفاجـأ بـشبكة معقـدة مـن الأسلاك المتقاطعة بين النوافذ كما مناشر الغسيل..!

والآن لم أعد أستطيع مواكبة التطور التكنولوجي الرهيب والمتجدد يوما بعـد يـوم...حيـث ظهـرت بـرامج اتـصال لا حـصر لهـا مثـل (سـكايبي)

و(فايبر)...وظهرت برامج أخرى أكثر أمانا للمعلومات مثل (Red Phone)...وسمعنا بالـ2G ثم الـ3G حتى ظهر الآن الـ4G..!

وظهرت أجهزة الحاسوب النقال واللوحي... وأصبح جهاز الاتصال أيا كان مسماه عالم متكامل تستطيع من خلاله أن تنعزل تماما عمن حولك..!

تعجبت أيما عجب وأنا في الصف الخامس الابتدائي بمنتصف التسعينيات حين قرأت في أحد دروسي أنه بحلول عام 2000 سيظهر تليفون – في الدول الغربية طبعا – يمكنك من خلاله رؤية المتصل في الناحية الأخرى وأنت تحدثه! وكان ذلك بالنسبة لي ضربا من الخيال...وقلت في بالي: "ده ولا عشرين سنة!"...ولم أكن أتخيل أنه سيمكنني الآن معرفة أماكن تواجد الأشخاص عن طريق القمر الصناعي وأن تليفوني سيمكنه دلالتي على طريق أي وجهة أبغيها مشفوعا بإرشادات السير...وأنه سيمكنني الاستعلام عن أقرب بنك أو أقرب مطعم فتنفتح لي الخيارات العديدة بضغطة زر..!

إلى أين تأخذنا أيها العالم؟!

أشعر أن الدنيا لم يبق منها الكثير..!

أظن نهاية هذا العالم قد اقتربت..!

ألطف بنا يا رب الأرباب...

{إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان*}

الخميس 18 ديسمبر 2014

ليس مقصودا من الآية القرآنية المعنونة أعلاه شرحها أو بيان قصة مرتبطة بها...لكنها جالت بخاطري حين قررت فتح (حساب جاري) بأحد بنوك البحرين..!

نعم..استدعيت تلك الآية حين فوجئت أخيرا أن (الحساب الجاري) في البحرين مطابق لمعناه الاصطلاحي القانوني..وذلك على عكس مصر..!

وأصل المسألة أن (الحساب الجاري) حسب نشأته وتطبيقه عالميا يراد به أن البنك قد يفتح هذا النوع من الحسابات لبعض عملائه الذين تربطهم به مصالح أكيدة كوجود أكثر من حساب لديه بذلك البنك أو أن راتبه يتحول إليه أو أن مدخراته به كبيرة وهكذا... ويؤدي ذلك إلى أن البنك يمنحك حسابا يتيح لك (السحب على المكشوف)— أيْ سحب مبالغ دون وجود رصيد أو غطاء مالي مقابل لها — دون فرض أي غرامات أو فوائد بنكية على ذلك (السحب المكشوف)..الأمر الذي يجعل صاحب الحساب تارة دائنا وتارة أخرى مدينا.... وهو الوضع الذي وجدته مطبقا في

---

* الأية 23 من سورة النجم

البحرين..

أما في مصرنا الحبيبة..فـ(الحساب الجاري) ليس لنا نصيب من اسمه...بحيث يجعلنا دائما دائنين للبنك...ولا يسمح أبدا بمبدأ "شيلني وأشيلك" بما أننا نضع دائما أرصدة تجعلنا دائما دائنين للبنك دون أن نأخذ منه فوائد بنكية – كما (حساب التوفير) – فيكون المقابل المنطقي أن يسمح لنا البنك أحيانا أن نكون مدينين له بحدود معينة دون أية غرامات أو فوائد بنكية..هكذ المنطق...

والحقيقة أن تسمية المصريين لأشياء بأسماء تجميلية – قد لا تكون مرادفة للشيء – هي في ظني تراث فكري قديم متوارث بمصر...فالمصري إذا لم يستسغ التسمية الأصلية الدالة على أمر عدّلها فورا إلى لفظ أكثر استساغة...وذلك مثل جنوح كثير من المصريين إلى عدم التلفظ بمرض (السرطان) واستخدام كناية له بلفظ (المرض الوحش)..! كما لجأ المصريون أيضا إلى حيلة ليبرروا بها (الكذب) الذي لا يضر أحدا فأبتكروا لفظة (الكدبة البيضا)..! وكذلك (هزيمة) يونيو **1967** حيث أطلقوا عليها (نكسة)..وهكذا...!

ولكن على النقيض من ذلك أدى هذا (الاستجمال) المتأصل في نفوس عموم المصريين إلى ميزة بديعة في شخصيتهم ألا وهي الميل إلى تلطيف الجمل إذا احتوت على معنى سلبي... نعم فبمقارنة المصري بالجنسيات

الأخرى – وخاصة الغربية – تجد المصري يميل إلى تلطيف العبارات وعمل (تلبيسة) أو (فَرشة) للكلام إذا كان مضمونه سلبي... فإذا أراد مصري انتقاد أمر ما تجده يميل صوب السخرية بدلا من المواجهة الصريحة...كما إذا أراد إبلاغ خبر سيئ تجده يضع (مقدمة) حول الإيمان بالقضاء والقدر وأن المرء الصابر له الجنة وهكذا...

في حين يتعاكس مثلا المواطن الألماني مع ما سبق...حيث يميل الألمان إلى وصف الشيء كما هو...ربما تأثرا بفقر لغتهم مقارنة باللغة العربية غزيرة المفردات متنوعة الحلول الأمر الذي يفقد ألفاظهم الجماليات المنتشرة في اللغة العربية...فتجدهم يطلقون على (الثلاجة) لفظ **Kühlschrank** – وهي كلمة من مقطعين تعني (دولاب) + (الساقع)..! هكذا ببساطة وصفوها دون اهتمام بأية جماليات أو إجمال! وكذلك لفظ (الزراعة) يطلق عليه الألمان لفظا طويلا **Landwirtschaft** والتي تتكون من **3** مقاطع..لكل مقطع معنى مستقل..فقاموا بـ"لصق" المقاطع الثلاثة معا لتكون (مخزون) + (مالك) + (الأرض)! ولم يلطف من الأمر قليلا إلا أن مقطعي (مخزون مالك) معا تعني عندهم (صناعة)..بحيث تستطيع اختصارها إلى (صناعة الأرض)..!

وربما ترجع غزارة مفردات اللغة العربية إلى كون اللغة العربية لغة (فعلية) تشتق مفرداتها من الفعل..والأخير بذاته له العديد من

التصريفات التي تجعلك في بحر من التراكيب اللغوية لا ساحل له..الأمـر الذي يتيح التعبير عن الكثير بالألفاظ القليلـة...وذلـك علـى عكـس اللغـة الألمانية المشتقة تراكيبها عـادة مـن (الاسـم) أو قُـل (الوصـف)..هـي لغـة وصفية بالدرجة الأولى... كما تستطيع ملاحظة ذلك أيضا إذا قمت بترجمة مستندٍ ما من العربية إلى الإنجليزية أو العكس..فستجد حتما الجُمل أطول في الإنجليزية منها في العربيـة..!

لذا لم يكن غريبا تكريم الله (سبحانه وتعالى) للأمة العربية باختصاص القرآن الكريم ليكون {..بلسان عربي مبين[17]}...واعتـبر معجـزة لغويـة بكل المقاييس العلمية ربما استنادا إلى تلك اللغة البديعة..!

---

[17] الآية 195 من سورة الشعراء

"أشهد ألا إله إلا الله...وأن محمدا رسول الله"

الجمعة 19 ديسمبر 2014

كنت أصلي اليوم صلاة الجمعة – كما العادة – في مسجد (الإمام جعفر الصادق)... وقد لفت انتباهي بشدة اسم المسجد المأخوذ عن الإمام جعفر الصادق وهو من أئمة المسلمين الأجلاء سنتهم وشيعتهم رغم كونه الإمام السادس من أئمة الشيعة الإثنى عشر..كما إنه الإمام الذي كنّي المذهب الشيعي الإثنى عشري باسمه (الشيعة الجعفرية)... وسر مبعث الانتباه في نفسي أن البحرينيين السنة لم يجدوا حرجا في الماضي من إطلاق اسم هذا الإمام الشيعي الجليل على أحد مساجدهم الهامة..! لا شك أن النفوس تغيرت نوعا ما بعد أحداث فبراير **2011** الطائفية بالبحرين..لكن تلك اللفة تدعونا إلى عدم فقدان الأمل في سلمية التعايش بين طوائف المسلمين...

وبعد ختام الصلاة نادى الخطيب على الناس لئلا ينصرفوا حيث أن أحد الهنود قد قرر الدخول في الإسلام.. واختير هذا المسجد ليكون مقرا لنطق الشهادتين حسبما رتب أعضاء المركز الإسلامي الراعي لمثل تلك الحالات..

نطق الرجل الشهادتين في مظهر بديع مليء بعواطف المصلين الجياشة بين مكبِّر ومصور بهاتفه المحمول ومشاهد... وأشار الخطيب إلى أنه

بسؤال الرجل الهندي – الذي اختار لنفسه اسم بلال – عن سر دخوله للإسلام وتركه للهندوسية (البوذية) أجاب بأن (حسن معاملة المسلمين) له هي ما دفعه لذلك.. ومما لا شك فيه أن المركز الإسلامي المشار إليه كان له دور بارز في ترسيخ ذلك المفهوم استنادا إلى قول الله تعالى {..والمؤلفة قلوبهم.. [18]}...

وذكرني هذا المشهد بقصة أخرى عايشتها لصديق لي يدعى (فريد) كان قد ترك ديانته المسيحية ودخل في الإسلام إبان إقامته لعشر سنوات بألمانيا..حيث كان قد قد غادر مصر إليها في التسعينيات ليستكمل دراسته الثانوية والجامعية هناك...والغريب أن (فريد) هذا كان من عائلة ميسورة الحال ولم يكن في حاجة إلى (تأليف قلبه) بمساعدات مادية واجتماعية وخلافه... وحين سئل بعد عودته إلى مصر عن سر دخوله في الإسلام وحال المسلمين الآن لا يسر حبيبا كان جوابه مختلفا..حيث قال: "ومالي ومال المسلمين؟! لقد دخلت في الإسلام قناعة في صدق رسالته ونقاء تعاليمه بعد أن جاءتني عدة إشارات من الله نحو ذلك..!"

وفي كِلتيْ القصتين ذواتيْ الباعثين المختلفين عبرة لكل من أراد أن ينقلب على موروثاته ويتحرر من أغلالها نحو ما يؤمن به... وعلى الله الحساب وفق سرائر العباد... {وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ

[18] من الآية 60 من سورة التوبة

شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَختلفون}[19]...

[19] الآية 113 من سورة البقرة

"عفركوش بن برطكوش"

الاثنين 29 ديسمبر 2014

فاجأتني اليوم زوجتي بقولها: "على فكرة يا هشام...الشقة دِه فيها حاجة غلط..!"

قلت لها: "حاجة غلط إزاي؟!"

فقالت: "طول الليل باسمع أصوات غريبة في الشقة...وخصوصا صوت جر عَفش..!"

فرددت مبررا: "اه..أنا كمان كنت باسمعه من وقت للتاني...تلاقي حد من الجيران بيجرّ العفش والصوت بيوصل لنا من فتحات التكييف المركزي"

ردت بسخرية: "يعني الجيران هايجروا العفش في نص الليل؟! وبعدين أن باسمع الصوت كأن حد بيجر عفش الصالة بتاعتنا..!...إبقى شغل قرآن كتير في الشقة"

وبعيدا عما إذا كانت تلك الأصوات هي أصوات الجيران أم هي (أصوات أخرى) كما تظن زوجتي فإن الأمر دفعني لاسترجاع تجاربي مع...العفاريت...أو قل (اليناونة) كما يطلق عليهم البحرينيون...!

في الواقع إن مسألة وجود (الجن) مازالت أمرا جدليا في مجتمعاتنا...وأظن أن ما زاد من هذا الجدل هو عدم وحدة مصادر الناس في

هذا الشأن...فمنهم من يستند إلى مصادر علمية معملية بحتة فينفى وجود الجن كلية..ومنهم من يستند إلى التجارب الشخصية فيثبت أو ينفي أن هناك مخلوقات أخرى تحيا معنا ولا نشعر بها..ومنهم من يستند إلى مصادر دينية بمختلف صورها فيثبت وجود الجن لكن مع اختلاف نطاق ذلك الإثبات...

فمن الناحية المعملية – التي لا يفترض أن تتحكم بها الأهواء – لم يستطع أحد حتى الآن إثبات وجود الجن تحديدا... مثله مثل ظواهر طبيعية أخرى لا يستطيع المعمل الاعتراف بها أو على الأقل التحكم فيها مثل ما يعرف بـ(الباراسيكولوجي) أو (علم ما وراء النفس) أو (علم الظواهر الخارقة)...

وقد ساعد على انتشار المذهب المعملي إدلاء الطب النفسي بدلوه في الأمر...حيث ثبت إدعاء كثير من الناس أن بهم مس من الجن...وبعد التشخيص الطبي اتضح مجرد إصابتهم ببعض الأمراض العقلية أو الإضطرابات النفسية مثل (الصرع)..بل وتعافوا من تلك الأعراض تماما...

أما بالنسبة للتجارب الشخصية في هذا الأمر فتختلف باختلاف الأشخاص...فمنهم من صادف مواقف ادعى فيها تواصله مع الجن...ومنهم من ادعى تواصله مع مخلوقات فضائية[20]...ومنهم من

---

[20] مثل الفلكي (المنجم) أحمد شاهين حسب تصريحاته في مداخلة هاتفية مع برنامج 90 دقيقة على قناة المحور بتاريخ 27 نوفمبر 2014.

ادعى تواصله مع الأرواح التي غادرت أجسادا ماتت منذ زمن...ومنهم من صادف مواقف خارقة للطبيعة والمنطق ولم يجد لها جوابا بعد...ومنهم من لم يصادفه موقف من هذا أو ذاك فلم يلفت نظره الأمر كثيرا...

دعونا نتفق بداءة أنه يصعب التسليم منطقا بأن هذا الكون الفسيح إنما وجد عبثا لا لهدف إلا ليحيا الإنسان على جزء متناهي الصغر منه...إنني لا أتكلم عن الأرض..ولكن أتكلم عن المجموعة الشمسية التي تعد جزءً متناهي الصغر من مجرة تسمى (درب التبانة) التي بدورها تعتبر جزء ضئيلا وسط ملايين المجرات الأخرى في هذا الكون..! [21]

كما إنه من مجافاة المنطق والتاريخ معا إنكار كل ما لم يستطع العلم العملي إثباته حتى الآن ويخضعه لقوانينه وتجاربه...فقبل مائتي عام فقط من الآن لو قال لك أحدهم أنه يستطيع أن يخاطبك عبر قطعة من البلاستيك ويستطيع أن يريك صورته وهو على بعد عدة أميال منك لاتهمته بالجنون فورا خاصة أنه يستخدم مصطلحات غريبة مثل (البلاستيك)..!

وفي الحقيقة يصعب إنكار كثير من الحوادث والأمور التي وقعت دون

---

[21] ربما يقدح في هذا التصور المؤمنون بنظرية النشوء والارتقاء بحيث يتصورون أنه لا خالق لهذا الكون – حاشا لله – وأنه تطور لمجموعات كيميائية أخذت في التفاعل حتى أفرزت ما نحن عليه الآن..ولكن سيظل هناك سؤال مطروحا لهم: إذا كان الكون قد بدأ من ذرة..فمن أوجد تلك الذرة؟!".

وجود تبرير واضح...وقد تصدى كثير من الكتاب والمفكرين لرصد تلك الحوادث...فهاهو الكاتب الكبير (أنيس منصور) يرصد في كتابه (الذين هبطوا من السماء) مجموعة كبيرة من الحوادث الموثقة والشواهد المصورة من مختلف العصور تثبت أن هناك من يحيا معنا على هذه الأرض حياة فعالة.. فنقل أنه كان هناك أناس يطيرون في السماء ويمشون على الماء..وكيف أن هيرودوت وجد الكهنة المصريين يكتبون طلاسم على اوراق البردي فيطير الحجر الكبير من مكانه ويرتفع في الهواء حتى يبلغ مكانا آخر..وهو ما قد يبرر كيف بنى الفراعنة الأهرامات..!

من ناحية أخرى لوحظ وجود تداخل كبير بين تلك الظواهر الغريبة وبين علوم الفلك...وساعد على هذا التداخل أن علوم الفلك ذاتها يتداخل فيها الجانب (المعملي) كثيرا مع الجانب (التنجيمي)...حتى أنه من المعلوم أن وكالة ناسا الفضائية يعمل بها كثير من (المنجمين) إلى جانب علماء الفلك (المعمليين)..وأولئك الأولين كانوا هم غالبا أصحاب التصريحات الجدلية من قبل وكالة ناسا مثل تصريحهم مؤخرا عن إظلام الأرض إظلاما كاملا لمدة ثلاثة أيام في شهر ديسمبر **2014**..![22]

وقد تصدت الديانة المسيحية لأمر "الجن"..ولكن تحت مسمى (الأرواح

---

[22] راجع تصريحات السيد الدكتور/ أشرف تادرس – رئيس قسم الفلك بالمعهد القومي للعلوم الفلكية والجيوفيزيقية – نقلتها جريدة اليوم السابع بتاريخ 4 يناير 2015.

الشريرة) أو (الأرواح النجسة)... وقد عرفها بعض اللاهوتيين بأنها [ملائكة ساقطون يخدمون الشيطان]... ففي سفر الرؤيا (12: 9) بالعهد القديم ما نصه: *"فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذي يضل العالم كله طرح إلى الأرض وطرحت معه ملائكته"*... كما أشار إنجيل مرقس (1: 27) إلى قوة هذه الأرواح الشريرة ولكن الله يحد من قوتها ويردعها بسلطانه بحسب النص: *"فتحيَّروا كلهم حتى سأل بعضهم بعضا قائلين ما هذا؟ ما هو هذا التعليم الجديد؟ لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه"*... وفي الرسالة إلى أهل أفسس (6: 12) يقول الكتاب المقدس: *"إن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية في السماويات"*...

كما تشير العقيدة المسيحية إلى أن الأرواح الشريرة تستطيع (تلبُّس) الإنسان طبقا لنص إنجيل لوقا (4: 35-36) القائل: *"فانتهره يسوع قائلا اخرس واخرج منه فصرعه الشيطان في الوسط وخرج منه ولم يضره شيئا، فوقعت دهشة على الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضا قائلين ما هذه الكلمة؟ لأنه بسلطان وقوة يأمر الأرواح النجسة فتخرج"*...

وقد جسدت السينما العديد من الأفلام التي تتناول أمر (الأرواح الشريرة) من المنظور المسيحي... وأتذكر أن فيلم (**Exorcist: The**

Beginning) كان من أمتع الأفلام التي شاهدتها في ذلك الشأن..والذي يحكي عن قصة روح شريرة سكنت قرية بكينيا يوجد بها كنيسة قديمة مليئة بالصلبان المعقوفة..وتتوالى الأحداث المثيرة إلى أن يتم اكتشاف مكان اختباء تلك الروح الشريرة من قبل الراهب والذي يقوم بطردها من جسد المرأة الملبوسة عن طريق تلاوة آيات وصلوات إنجيلية..وهو ما تؤكده رسالة يعقوب (4: 7) بقولها على لسان الوحي: "فاخضعوا لله..قاوموا إبليس فيهرب منكم"...

أما من وجهة النظر الدينية للإسلام — يعد (الجن) والإيمان به من ركائز فروع العقيدة الإسلامية الغيبية الثابتة بأكثر من طريق وإن اختلف علمائه على نطاق ذلك الإثبات..حيث قال عز من قائل في وصفه للمتقين بأنهم {الذين يؤمنون بالغيب}...فمنهم من أنكر أن الجن يستطيع (تلبُّس) الإنس..ومنهم من أثبت إمكانية حدوث ذلك...ويبدو مبعث ذلك الاختلاف هو عدم وجود أدلة قطعية الدلالة والثبوت على (تلبُّس) الجن للإنس..وهو ما ظهر جليا في أقوال كثير من العلماء المثبتين لذلك (التلبُّس) من واقع تجارب شخصية عاشوها بالتخاطب مع الإنس (الملبوس) بناءً على ممارستهم (للرقية الشرعية)... كما أن من أسباب اتساع التباين بين فقهاء المسلمين في هذا الموضوع أن بعضا من فقهاء المسلمين يأخذ بـ(شرائع من قبلنا) كمصدر من مصادر فقههم الثانوية

مادامت لا تتعارض مع المصادر الأصلية للفقه الإسلامي... وقد ورد عن بعض الصحابة – أمثال أبي هريرة وبن عباس ومعاوية – أنهم رووا قصص الأنبياء والأقدمين عن (كعب بن ماتع الحِميَري)[23]..فربما حدث خلط من هذا المنطلق بين ما رواه الرسول (صلى) فعلا وما نُسِب إليه تداخلا أو خلطا من بعض الصحابة بين ما سمعوه منه وما سمعوه من (كعب)..خاصة وأن (بن عباس) و(أبي هريرة) كانا الصحابيين الذين نسبا للنبي (صلى) بعض الروايات المنفردة في شأن (تلبس الجن للإنسان) و(رؤية الإنسان للجن) دون أن يعضدها أحدٌ غيرهما من الصحابة[24]..!

وبعرض ما اشتُهر من أقوال فقهاء المسلمين في أمر الجن نجد إثباتهم لوجود علاقة بين الجن والسحر...فأينما وجد الثاني وجد الأول..وليس العكس... كما عبر القرآن عن إبليس وذريته بلفظ (شيطان) وهو نوع من الجن لا خير فيه البتة على عكس سائر الجن الذي حاله كحالنا من صالح وطالح..مؤمن وكافر..مسلم ومسيحي وبهائي..! ويمكن تعريف السحر

---

[23] هو تابعي عُرف بـ(كعب الأحبار)، ويعد من أشهر المسلمين ذوي الأصول اليهودية، وكان عالما بالإسرائيليات؛ له رواية واحدة في سنن أبي داوود والترمذي والنسائي.

[24] ومثال ذلك ما ورد عن أبي هريرة في صحيح مسلم أن عفريتا من الجن حاول أن يقطع الصلاة على النبي (صلى)، ولكن استطاع الرسول (صلى) التمكن منه وخنقه، وهمّ أن يربطه في سارية من سواري المسجد حتى ينظر إليه الناس!
والمشكل الأساسي في تلك الرواية هو تعارضها مع القرآن ذاته في أكثر من موضع منها قوله (عز وجل): {إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم} [سورة الأعراف: 27]

بأنه [اتفاق بين ساحر وجن قد يكون فاسقًا أو كافرًا أو شيطانًا على إتيان الساحر ببعض المحرمات أو الشركيات مقابل مساعدة الشيطان له فيما يطلب]... وقد وصف القرآن الساحرات بأنهن {النفاثات في العُقد}...كما أوضح أن السحر قد أنزل إنزالا على ملكين يدعيان (هاروت) و(ماروت) كفتنة واختبار للناس..ووردت أخبار من مصادر مختلفة حول مكان ذلك الإنزال..وكان الأرجح هو بابل بالعراق..{وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} [25]..ونفت الآية ما قد يزعمه البعض بأن النبي سليمان (عليه السلام) هو من علم الناس السحر نظرا لتسخير الله الجن له...

وحديثا تعد موسوعة (شمس المعارف ولطائف العوارف) – المؤلفة من قبل أحمد بن علي البوني – من أشهر كتب السحر العربية، والتي حرم مجرد قراءتها كثيرٌ من علماء المسلمين مثل الشيخ ابن باز (رحمه الله)

[25] سورة البقرة: الآية 102

بحسبانها تعلم السحر الذي يعد من المحرمات في الإسلام..ومازالت تلك الموسوعة المرجع الأساسي للسحرة العرب حتى وقتنا هذا..أعاذنا الله من شرورهم وهداهم إلى سواء السبيل..آمين

وقد تناولت سورة الجن تبيان بعض جوانبه فقال الله (تعالى) في مطلعها {قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا[26]}..ثم أشار المولى (عز وجل) إلى استعانة الإنس بالجن وأن مآل ذلك هو الشر {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا}..وكذلك قوله تعالى في قصة النبي موسى (عليه السلام) بأن سحرة فرعون: {إنما صنعوا كيد ساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى[27]}..وقد بين الله أن الجن مخاطبين بالإسلام كما الإنس بقوله تعالى: {وإذ صرفنا لك نفرا من الجن يستمعون القرآن[28]}..وكذلك مخاطبة الله للصنفين المكلفين بأحكامه فقال فقال {يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا[29]}..والآية الأخيرة قد تشير إلى وجود رسل من الجن مرسلين إلى قومهم مثلما أرسل إلى الإنس رسلٌ منهم..{ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم

---

[26] سورة الجن: 1

[27] سورة طه: 67 - 69

[28] سورة الأحقاف: 29

[29] سورة الأنعام: 130

نقصصهم عليك[30]}...وعموما ذكر كلمة (الجن) في القرآن 22 مرة..وذكر لفظ (الجان) 7 مرات..ولفظ (شيطان) 68 مرة...

ومن خصائص الجن أنه {يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم[31]}..لذا سمي الجن (جِنًّا) لاشتقاقه من (الاجتنان) أي الاستتار[32]...والآية وإن تناولت إبليس فإن الله قد وصفه في موضع آخر بأنه {كان من الجن ففسق عن أمر ربه[33]}...كما بين الله أنه خلقه {من مارج من نار[34]}... كما من خصائصه الافتقار إلى الغذاء حيث روى عن النبي (صلى) أن الجن سألوه الزاد في إحدى الأودية أو الشعاب فقال لهم: *"كل عظم لم يذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما[35]"*..ولذلك نهى النبي أصحابه عن الاستنجاء بالعظم معللا من لدن عليم خبير: *"إنه طعام إخواننا من الجن[36]"*..وكذلك ورد النهي عن الأكل بالشمال لأن شياطين الجن يأكلون بشمالهم[37]...ومن خصائص الجن أنه

---

[30] سورة النساء: 164

[31] سورة الأعراف: 27

[32] يقال "جَن الليل" إذا أظلم فستر الأشياء بظلامه، وكذلك سميت "الجنة" كذلك ربما لأنها تستر بأشجارها الكثيفة من يدخلها، وسمى "الجنين" في بطن أمه جنينا لاستتاره في بطن أمه.

[33] سورة الكهف: 50

[34] سورة الرحمن: 15

[35] رواه الترمذي

[36] رواه مسلم

[37] حسب النص الوارد في صحيح مسلم

يتوالد مصداقا لقوله (تعالى): {أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا[38]} في معرض النهي عن اتباع ذرية إبليس...

ومن خصائص الجن أيضا قدرته على التشكل بالتخييل دون ظهوره على هيئته الأصلية..فها قد ثبت بالنص أن إبليس قد تشكل في صورة رجل كبير محترم من رجالات نجد الموقرين ودخل على المشركين في دار الندوة وهم يتباحثون في كيفية التخلص من دين النبي (صلى) الجديد..فما كان منه إلا أن أشار عليهم بقتله ليلة الهجرة..إلى آخر القصة المعروفة... كما ورد في السنة برواية مسلم تشكل جان من جنان المدينة في صورة حية... أما عن كيفية ذلك التشكل فلم يصل إلينا دليل شرعي في هذا الشأن والله تعالى أعلم بذلك...وأيًا ما كان الأمر فإن النبي (صلى) أشار إلى أنه: *"من رآني فقد رآني حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بي[39]"*...ويرتبط هذا الأمر بالأحلام السيئة أو ما نطلق عليه (الكوابيس) حيث أشار الرسول إلى أن *"الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْحُلُمُ مِنَ الشَّيْطَانِ فَإِذَا حَلَمَ أَحَدُكُمْ حُلُمًا يَخَافُهُ فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ[40]"*..وبالنسبة لي شخصيا لا أتذكر إني حلمت (كابوسا) واستيقظت إلا ووجدت نفسي مستلقيا على جنبي الأيسر..!

---

[38] سورة الكهف: 50

[39] متفق عليه واللفظ لمسلم.

[40] رواه البخاري.

وللجن والشياطين قدرة على الصعود إلى السماء فيستطيعون التنقل من مكان لمكان بسرعة كبيرة...وقد ورد في ذلك قصة العفريت الذي أجاب سؤال النبي سليمان (عليه السلام) بإحضار عرش الملكة بلقيس بقوله: {أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين [41]}... وبمناسبة إلقائهم السمع وأنهم أكثرهم يكذبون أوضح لنا الله تعالى أن أنهم يتصنتون على الملائكة فيهبطوا إلى الأرض بما سمعوا ليقصوه على أوليائهم من الإنس (السحرة) فيفتنوا بها الناس حيث قال الله تعالى على لسان الجن {وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا، وأنا لا ندري أشرُ أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا [42]}...وكذلك قوله تعالى في سورة الصافات: {إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب، وحفظا من كل شيطان مارد، لا يسَّمَّعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب، دحورا ولهم عذاب واصب، إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب [43]}..فهم يختلسون الكلمة من الملائكة مسارقة وبسرعة خوفا من بطش الملائكة الذين يرسلون عليهم الشهب الحارقة تنقض عليهم...وقد أكد الرسول (صلى) ذات المعنى بقوله: *"إن الملائكة تنزل في العنان وهو*

---

[41] سورة النمل: 39

[42] سورة الجن: 8 – 10

[43] الصافات: 6 – 10

السحاب، فتذكر الأمر قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان (السحرة) فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم[44]"... ومع ذلك فقد أثبت القرآن أن الجن لا يستطيعون معرفة ما يدور بخلد الإنسان..هم يتنصتون على ما يقال فقط.ولا أدل على ذلك من قصة النبي سليمان (عليه السلام) — الذي سخر له الله الجن لقوله تعالى: {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ[45]} — أن خدامه من الجن لم يتبينوا موته إلى بعد أن أكلت دابة الأرض عصاه التي كان يتكئ عليها فوقع فعرفوا بموته..حينئذ تبينت الجن {أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين[46]}

ومن الثابت من أكثر من طريق هو وجود علاقة بين الشياطين و اللون الأسود...نعم..فهاهو رسول الله (صلى) يقول: *"إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذ...*[47]"...كما أشار النبي إلى أن *"الكلب الأسود شيطان*[48]"..كما أن الله علمنا أن نستعيذ من شر الليل بقوله تعالى: {ومن شر غاسق إذا وقب} بمعنى "من شر ليل إذا أتى"...وقد أشار بعض المتعاملين بالرقية الشرعية إلى أن بعض الجن

---

[44] رواه البخاري
[45] سورة سبأ: 13
[46] سورة سبأ: 14
[47] متفق عليه واللفظ للبخاري
[48] رواه مسلم

اعترف له بذات الأمر...وربما ذلك ما يفسر أن معظم عروض السحرة على المسارح يستخدم فيها أدوات يغلب عليها اللون الأسود..بل قلما تجد هؤلاء السحرة يلبسون لونا عدا الأسود... والغريب أن بعض الناس حتى الآن مازالوا يصدقون أن ذلك العرض ما هو إلا (خفة يد) رغم استحالة ذلك عقلا..!

وتسكن الجن عامةً والشياطين خاصة الخرائب والحشائش والمزابل والقمائم والأماكن المهجورة لحديث أبو داوود عن النبي (صلى): "إن هذه الحشوش محتضرة، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل: أعوذ بالله من الخبث والخبائث"[49]...وقد أيد ذلك تجارب شخصية للعديد من الناس..فقد روى السيد/ نبيل نعيم – أحد مؤسسي جماعة الجهاد بمصر والعالم وأحد قياداتها السابقين – إبان اعتقاله في سجن القلعة بأنه من المعروف أن سجن القلعة يعد من الأماكن المسكونة بالجن منذ زمن..وادعى أن أحد الجان الطيبين كان يوقظه لصلاة الفجر كل يوم..فقد كان يشعر بمن يوقظه حتى إذا استيقظ لم يجد أحدا[50]...!

وعموما فقد أشار الله إلى أن الجن أقل قدرا ومنزلة وكرامة من الإنسان بقوله (تعالى): {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم

---

[49] الخبث: الذكور من الجن، والخبائث: الإناث من الجن

[50] وردت تلك القصة في إحدى لقاءات السيد/ نبيل نعيم مع المذيع/ يوسف الحسيني في شهر رمضان 2014 على موجة نجوم إف إم الإذاعية.

من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا[51]}...وهذه الدونية والضعف والنقص يدركها الجن جيدا..الأمر الذي يجعلهم يتعاظمون ويترفعون حين يستعين بهم الإنس كما ورد في الآية: {وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا[52]}...

وفي كل الأحوال فقد أشار المولى (عز وجل) أنه يحمي عباده المؤمنين من كل شر..فـ{الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات[53]}..كما أن الله {خير حافظا وهو أرحم الراحمين[54]}...

لذا... سبحان الله الذي خلق كل ذلك..في حين يصبر على معصية الإنسان وظلمه..بل ويحميه من شر ما خلق...قال الله ملقنا رسوله (صلى): {قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق[55]}.....

---

[51] سورة الإسراء: 70
[52] سورة الجن: 6
[53] سورة البقرة: 257
[54] سورة يوسف: 64
[55] سورة الفلق: 1-2

"سهلة الفتح.. جاهزة للأكل..
صالحة لمدة 3 أيام"
السبت 17 يناير 2015

ربما يصف العنوان المذكور آفة استشرت في مجتمعاتنا العربية منذ زمن ألا وهي: (الأفكار المعلبة)..!

هي بالفعل آفة تجعل الفرد يميل إلى الاستسهال في خياراته فتجده يجنح صوب نماذج بعينها نجحت في مجتمعات أو ظروف أخرى ليست بالضرورة تشبه مجتمعه أو ظرفه المستورد... وهذا الاستسهال ربما كان قرينه كثير من السطحية في الحكم على المسائل..الأمر الذي يجعل الفرد في مجتمعاتنا العربية – وخاصة مصر – يتعامل مع خياراته الحياتية كمن يتسوق من إحدى محال البقالة فيبحث عن علب (بلوبيف) أو (تونة) أو (سردين) جاهزة للأكل فورا دون أي عناء..!

وأشهر تطبيقات آفة (الأفكار المعلبة) مسألة (نظام الحكم)...نعم..فقد استحوذت هذه الفكرة على عقول أجيال تلت أجيال منذ قديم الأزل...ولكن اختلف نطاق واتجاه ذلك الاستحواذ من زمن إلى آخر...

فمنذ ظهور فكرة (الديموقراطية) بمعناها الحديث كضابط لـ(نظام الحكم) حسبما ابتكره الإنجليز عام **1215** فيما عرف وقتها بـ"الماجنا

كارتا" — والتي أسست لفكرة الحكم الدستوري للبلاد والحد من السلطات المطلقة للحاكم — بدأ العالم في حراكٍ مختلف عن ذي قبل..فحدثت تطورات أخرى أدت إلى استحداث نظريات جديدة للحكم مثل (حكم الأغلبية) وإنشاء (البرلمانات) وغيرها...

ومع ظهور تلك الفكرة المبتكرة في (نظام الحكم) كانت بقية العالم ترتع في نظمها البالية من (حكم الأقوى) حسب موروثات امتدت لزمن واعتبرت بدورها (فكرة معلبة) صالحة الاستخدام أبد الآبدين... وزاد من الأمر سوءً أن اختلطت أحيانا تلك (الفكرة المعلبة) بنكهة من (الدين) بروافده المتعددة...فكان هناك (ظل الإله في الأرض) أو (الخليفة الإسلامي) وغير ذلك من المصطلحات التي اخترعها البشر لأنفسهم... وظل الصراع دائرا ردحا من الزمان حتى يومنا هذا بين أنصار (الديمقراطية الغربية المعلبة) و(الشورى الإسلامية المعلبة) — مع ما كل ما في الفكرتين على إطلاقهما من شطط واضح في التطبيق حاد بهما عن مرادهما الأصلي..وهو إقامة العدل!

وأيًا ما كان الأمر — فقد أغفل كثير من الناس أن ما يصلح لمكان قد لا يصلح بالضرورة لآخر... وأن ما كان طعمه مستطابا في زمان سيصبح آسنا بعد حين..

فقد خُدع المصريون مرات ومرات..كانت إحداها حين وضع دستور

1971 الذي كان (كربونة) من قرينه في فرنسا.. وأخذ الشعب المسكين يتوهم بأنه سوف يصبح لديه الحقوق المكفولة للشعب الفرنسي شعب الحريات...ولكن سرعان ما فوجئ بأن المادة التي تبيح فرض حالة الطوارئ في الدستور الفرنسي لم يجرؤ أحد على تطبيقها هناك مثلما تم تطبيقها في مصر بشكل دائم تقريبا حتى كانت حياة مصر الحديثة كلها (طوارئ)..! كما لم يستطع الحاكم الفرنسي الاقتراب من المادة المحددة لمدة حكم الرئيس بمدتين..ولكن الوضع كان مختلفا في مصر حين قام الرئيس/ السادات بتعديل ذات المادة في سبتمبر 1981 – قبل مقتله بنحو شهر تقريبا – لتصبح مدة الحكم (مفتوحة) إلى ما شاء الله..! كان الفرق ببساطة في الحالتين – رغم وحدة النص الدستوري في البلدين – هو أن الشعب الفرنسي كان يمتلك وقتها رأيا عاما قويا يستطيع كبح جماح الحاكم إذا ما فكر في الحيد عن جادة الصواب..في حين كان من يفتح فمه معترضا في مصرنا الحبيبة وقتئذ يكون قد أورد نفسه مدارك التهلكة..!

كما غر المهندس/ أحمد عز – زعيم الكتلة البرلمانية وأمين التنظيم وعضو لجنة السياسات بالحزب الوطني سابقا – إلمامه بالمعارف التقنية والفنية الحديثة بعد أن رأى نجاحها في البلدان الأوروبية.. فظن أنه يستطيع خلافة سلفه المرحوم المخضرم/ كمال الشاذلي في السيطرة على البرلمان المصري بضغطة عدد من الأزرار على حاسوبه الجوال لقياس أداء

الأعضاء ومجال سير المناقشات واتجاه الرأي العام وخلافه..ولكن هيهات! فكمال الشاذلي كان يمتلك ما هو أخطر من التكنولوجيا والتقنيات..كان يمتلك مفاتيح قلوب الأعضاء ومخازن أسرارهم..المعارضين قبل الحلفاء..فقد كان ريفيا قرويا حاذقا عالما من أين تؤكل الكتف..فيستطيع إدارة الأعضاء مثل عمدة القرية بنظرة أو إيماءة...ورغم سطوته كان بإمكانه النفاذ إلى قلوب الجميع والسيطرة على عواطفهم..!

وحينما قام ما عرف بثورات الربيع العربي في بدايات العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين ونجحت في إزالة نظم عتيدة مثل تونس ومصر وليبيا – ظن المغفلون أن تلك الثورات عاصفة عاتية السرعة ستلتهم حتما كل النظم العربية التي لا تطبق النموذج الغربي لـ(نظام الحكم)... ولم تكد تمر الأيام حتى خبت تلك العاصفة عن اجتياح نظمٍ كانت في ظاهرها أشد (ديكتاتورية) من مثيلاتها في مصر أو تونس..فتحولت من عاصفة إلا (سحابة صيف)..!

وقد لخص الأمر الفريق/ ضاحي خلفان – القائد السابق لشرطة دبي – بإيجاز بديع في حواره مع صحيفة (المصري اليوم) المنشور بتاريخ اليوم، حين قال نصا: "وتوقعت سقوط (مبارك) عندما أعلن و(بن علي) أنهما سيظلان رئيسين لبلادهما مدى الحياة، ومصر وتونس ليست شعوبا قبلية مثلنا حتى تقبل حكاما مدى الحياة مثل الإمارات وبعض الدول العربية،

لأننا نتقبل ذلك، وتعودنا على ذلك والحاكم عندنا بمثابة الأب الروحي للبلد، ودرس مصر وتونس لباقي الدول غير الدول القبلية يجب أن يكون درسا واضحا وعلى حكام تلك الدول أن يتبادلوا الحكم مع غيرهم كل **8** سنوات، لأنه لو استمر رئيس أكثر من تلك المدة سيجد نفسه أمام مصير مبارك وبن على."..!!

وقد وقع كثيرون في فخ (الأفكار المعلبة) حين تولو مناصب قيادية بمصر في مختلف المجالات... فالمواطن المصري له عقلية وإن كانت ملأى بالموروثات السحيقة إلا إنها تكون في كثير من الأحيان عصية على الفهم..فتبدو أشبه بفك الطلاسم..!

فليس صحيحا حصر المصريين في (فكرة معلبة) بأنهم لا يحبون الحاكم الأجنبي ويفضلون عليه ابن البلد بإطلاق..فحينما جاء خورشيد باشا على حكم مصر عام **1804** بتعيين من محمد علي باشا – قائد الجيش العثماني وقتئذ والتي كانت تعد مصر تحت ولايته العسكرية – لفظه الشعب فورا بعد أن شاع الظلم والنهب والقهر في عهده واستبدلوا به محمد علي باشا عام **1805**..ولم يعبأ المصريون كثيرا حتى عصرنا هذا بكون محمد علي باشا ليس مصريا..ولكنهم أحبوه وصار رمزا لدولة مصر الحديثة لأنه ببساطة عرف كيف يدخل قلوبهم علاوة على إنجازاته...

بل ويستطيع كثيرٍ من المصريين تذكر كيف تعاملوا مع (مانويل

جوزيه) حين استطاع قيادة الفريق الكروي بالنادي الأهلي لإنجازات غير مسبوقة منها برونزية كأس العالم للأندية..حينها طالب البعض بنحت تمثال له ووضعه في ميدان عام! بل ذهب البعض لأبعد من ذلك حين طالب وزارة الداخلية بمنحه الجنسية المصرية..!

كما ليس صحيحا أيضا حصر المصريين في (فكرة معلبة) بأنهم أسرى للمظاهر الدينية بإطلاق – أو كما يتم وصف الأمر تجاوزا بأن "الشعب المصري متدين بطبعه" – فكأن قصة خورشيد باشا قد كررت نفسها حينما استطاع وزير الدفاع الفريق أول/ عبد الفتاح السيسي أن يملأ قلوب قطاع كبير من المصريين على نحوٍ كان كافيا لسحب الشرعية الواقعية من رئيس البلاد وقتها (د. محمد مرسي) رغم اصطباغ الأخير بصبغة دينية ظاهرة ظن الكثيرون أنها ستأسر وجدان المصريين المولعين منذ القدم بالمظاهر الدينية.. وتكون صكا لاستمرار ذلك الفصيل في الحكم أبد الآبدين..!

كما تأكد فشل (التجارب الناجحة المعلبة) بإخفاق كثيرٍ ممن تولوا تدريب فرق كرة القدم المصرية رغم نجاحات سابقة لهم... فالمصريون انبهروا بأداء المنتخب الأمريكي تحت قيادة مديره الفني/ بوب برادلي في كأس العالم للقارات عام **2009**...فلما قدموا به إلى مصر لقيادة فريقها الكروي وضح جليا أن أفكاره لا تناسب طبيعة اللاعب المصري فكان الفشل حليفه لذلك السبب ولأسباب أخرى...وكذلك فعلها مدربون أُخَر حينما

حاولوا تطبيـق طريقـة 4-4-2 منـذ سـنوات عديـدة وقـت كانـت الكـرة المصرية ترزح في الطريقة المفضلة للاعب المصري 3-5-2...ولم ينجح أحد في تطبيقها على اللاعب المصري إلى أن استطاع المدرب المبدع/ طارق العشري تطبيقها على لاعبي حرس الحدود ولكن مع إحداث بعض (الرتوش) لكي تناسب طبيعة اللاعب المصري..فصال وجـال وغـدا ذلـك الفريـق (بُعبُعـا) للفرق الأخرى... وتلك (الرتوش) في ظني هي المطلوبة في أي عمل لنجاحه إذا ما قرر شخص الاستعانة بأفكار جاهزة أو معدة مسبقا...وهي ما يطلـق عليه الـCustomization..

لـذا فأنـا أعتقـد أن المـصريين في حاجـة حقيقيـة لثـورة (علـى الـنفس)...ثـورة بطعـم الـCustomization...ثـورة علـى (الأفكـار المعلبة)..!

"وي وا..وي وا..وي وا"

الأربعاء 21 يناير 2015

أثناء قيادتي للسيارة بالأمس في طريق عودتي من العمل إلى المنزل — وقفت منتظرا إحدى إشارات المرور حتى يخضر لونها لتسمح لنا بالمرور وسط منطقة رئيسية..بها تقاطعين كبيرين يحتويان على **4** مسارات للسيارات... وفعلا انتظرت ولكن لم يسمح لنا بالمرور..!

فقبل اخضرارها بلحظات كان قد وصل أحد ضباط المرور راكبا دراجة نارية تصيح سرينتها ذو المسمع المميز..فترجل عنها..وبعد لحظات لحقه آخر بسرينته فأغلقا **3** مسارات وأبقيا على الرابع مفتوحا بغض النظر عن تبدل ألوان الإشارات الأربع فيما يقابلها من مسارات...

للوهلة الأولى ظننت أن الإشارات قد تعطلت فجاء هاذان الضابطان لإدارة حركة السير يدويا لحين إصلاح تلك الإشارات... ولكن مع مرور دقيقتين أو ثلاثة وجدت الأمر لم يتغير وأن المسار الجاري مازال جاريا دون غيره... ثم فجأة انقطع تدفق السيارات في ذلك المسار المفتوح لأقل من عشر عشر ثواني أتبعها موكب أميريا كان مكونا من **10** سيارات تقريبا ودراجتين ناريتين في مقدمته..وما أن كاد الموكب يمر حتى تبعه الضابطان على دراجتيهما بسرعة معلنين عن رجوع التقاطع إلى سيرته الأولى...

والحقيقة أن ذلك المشهد قد لفت نظري لعدة أمور...فالموكب رغم أهمية صاحبه إلا أن إجراءاته لم تستغرق أكثر من عشر دقايق... كما تعجبت أن ضابطين فقط استطاعا إدارة موكب كهذا بمنتهى السلاسة دون الاستعانة بمعاونين أو حواجز حديدية أو حرس شرف وهكذا... بالإضافة إلى أن المسار الذي مر الموكب عليه كان هو المسار الوحيد الذي لم يُغلق إلا لبضع ثواني..!

ومنذ مجيئي إلى البحرين لم أشهد أية مواكب سببت مشاكل تذكر للمقيمين اللهم إلا إحدى المواكب الأميرية للشيخ/ خليفة بن سلمان آل خليفة رئيس الوزراء — وهو المعروف بعداء المعارضة الشيعية له — حين كان عائدا من رحلة علاجية طويلة بإحدى الدول الأسيوية استعدادا للانتخابات البرلمانية في نوفمبر الماضي... حينها يبدو أن الحكومة قد أعلنت ذلك للمقيمين بحيث يتجنبون طريق الموكب من الساعة كذا للساعة كذا وأن يدبروا مواعيدهم وأمورهم وفقا لمسارات أخرى..وبالفعل لم أشعر بمشكلة تذكر في الطرق ذلك اليوم حيث تبين أن الموكب لم يستمر طويلا عكس ما أوحى الإخطار.. ويبدو أن مسألة (الإعلان) كانت من باب الاحتياط لمن يرتبط بمواعيد هامة..خاصة وأني قد علمت بعدم وجود سوابق تُذكر لأزمات مرورية من جراء المواكب الأميرية..بل سمعت من بعض المقيمين منذ فترة أن جلالة الملك/ حمد بن عيسى شوهد أكثر من مرة

يقود سيارته بنفسه بمنطقة الرفاع القريبة من مقر إقامته! وهي أمورٌ احترمتها كثيرا...

ولم يكن لي بدٌ من استرجاع الذكريات المرتبطة بهذا الشأن أثناء إقامتي بمصر الحبيبة... ففي عام **2000** تقريبا كنت قد انتهيت من إحدى الدروس الخصوصية لمرحلة الثانوية العامة.. وكالعادة وقفت منتظرا (تاكسي) بشارع صلاح سالم (طريق المطار) ليقلني إلى منزلي القريب بمنطقة الشيراتون...ولكنني فوجئت بأن الشارع مصفوفا على جانبيه بحرس الشرف المجندين والعديد من الدوريات والسيارات المدرعة وكذا العديد من الضباط بمختلف مراتبهم...كما استطعت أن ألمح رجال الأمن معتلي أسطح المنازل المطلة على الشارع... وبعد مرور بعض الوقت أدركت أنه لا أمل في أن أجد (تاكسي)...حينها قررت مع صديقٍ لي كان برفقتي – يسكن بمنطقة النزهة الجديدة والقريبة أيضا بعض الشيء – أن نرجع إلى منزلينا..سيرا على الأقدام! وكانت هذه وحدها مغامرة...!!

فبمجرد بدء رحلة العودة مشيا على رصيف الشارع الرئيسي استوقفنا أحد المخبرين طالبا إثبات هويتينا وتفتيش ما معنا من حقائب ومعرفة وجهتنا...وتكرر ذلك الأمر **3** أو أربع مرات تقريبا... وفي ذلك الوقت لم تكن التفجيرات قد انتشرت مثل وقتنا هذا وكان الأمن مستتبا بدرجة كبيرة كفيلة بألا تثور شبهات حول مراهقيْن يترجلان في الشارع...

وعند إحدى (نقاط التفتيش) على الرصيف جاء صوت ينادي المخبر (المفتش) عبر جهاز اللاسلكي فانتبه فجأة وتوتر طالبا مني أنا وصديقي أن..ننظرا إلى اليمين ناحية السور ونعطيا ظهرينا للشارع على طريقة "وشك في الحيط وقفاك ليا"! وبدأنا نسمع أصوات السارينة قادمة من بعيد تصرخ معلنة قدوم الموكب (الرئاسي)...وظل وجهينا ناحية السور بحيث لا نرى الموكب حتى يمر بسلام... حينئذ استطاع كِلانا مواصلة السير بعد أن بدأت قوات الأمن في الانصراف..وكأن الحرب قد وضعت أوزارها..!

ومسألة تأمين الموكب الرئاسي متعارف عليها في كل دول العالم... بدأت تظهر ملامحها بوضوح في مصر في النصف الثاني من حكم الرئيس/ السادات..واتخذت منحى خاصا بعد مقتله... فقد نقل الكاتب الكبير/ محمد حسنين هيكل ما وصل إليه التطور في ذلك الأمر في عهد الرئيس/ مبارك بقوله نصا: "وفي اجتماعات توالت بعد ذلك مخصصة لبحث أمن وتأمين شخص الرئيس، تولى (مبارك) بنفسه وبتجربته الخاصة إضافة إجراءات أوسع وأبعد: منها مثلا إعلاق المجال الجوء وقت تحليق طائرة الرئيس فيها، وعلى طول الطريق الذي تسلكه؛ منها مثلا إغلاق الشوارع من الجانبين أثناء مرور أي موكب رئاسي، وكانت الرغبة في تسهيل المرور خصوصا على طريق مطار القاهرة تدعو مرات إلى إغلاق الطريق من الجانب الذي يتحرك الموكب عليه، وحدث مرة من المرات أن (مبارك) لاحظ وهو

في طريقه إلى مطار (ألماظة) أن الناحية الأخرى مفتوحة للمرور، وعندما وصل إلى (ألماظة) طلب التحقيق بنفسه مع المسئول، ودعي قائد المرور في المنطقة إلى المثول أمام الرئيس، وعندما أبدى الرجل عذره بأنه فتح الجانب الآخر من الطريق بناء على طلب مُلِح من مسئولي مطار القاهرة – لأن عدة طائرات محملة بالسياح على وشك الإقلاع بينما ركابها متأخرون بسبب موكب الرئيس – ثار (مبارك) على مدير المرور وقائد قوة الاصطفاف عليه، وعندما سمع عبارة تأمين وصول سياح إلى المطار زاد غضبه قائلا: *ما هو الأهم: تأمين السياح أو تأمين الرئيس؟! ليس هناك هدف في الدولة المصرية أكثر أهمية من تأمين الرئيس"*[56]..!!

وبعيدا عن تأمين الرئيس قابلت كغيري من المصريين مواقف مشابهة أثناء تأمين شخصيات أخرى... فأتذكر منذ حوالي عشر سنوات أننا كنا في شهر رمضان وكنت أقود السيارة في شارع جوزيف تيتو بمنطقة النزهة الجديدة..وكان مازال أمامي نحو **3** ساعات قبل مدفع الإفطار..ساعتها كنت قد قررت أن أعود إلى منزلي فاستريح قليلا وأبدل ملابسي ثم أنزل مجددا لتناول الإفطار مع بعض أقاربي بمنطقة جامع الفتح بمصر الجديدة القريبة..إذًا فالأمر كله لا يستغرق أكثر من ساعة..ولكن أتت الرياح بما لا تشتهيه السفن حيث مكثت في شارع جوزيف تيتو وحده نحو ساعتين

---

[56] لمزيد من التفاصل راجع كتاب (مبارك وزمانه... من المنصة إلى الميدان) – ص142 وما بعدها.

والـسيارات لا تكـاد تتحـرك مـع مـا للـصيام مـن إجهـاد مـؤلم للنـاس جميعا..فلما سألنا عن السبب وجدنا أن الملك/ عبد الله بن الحـسين – ملـك الأردن – كـان مـدعوا لزيـارة مـصر حيـث تقـرر تناولـه الإفطـار بقاعـة المؤتمرات الملحقة بفندق فيرمونت المطار..! أما عن الناس المنتظرة لساعات لا تتحرك..فلتذهب هي وصيامها إلى الجحيم..!!

لذا مخطئٌ من يتصور أن الثورات هـي وليـدة اللحظـة..وأنـه كـان مـن الممكن تداركها وقـت حـدوثها..أو أنـه لم يكـن هنـاك داعٍ مـن ورائهـا... فالثورات دائما ما تخفي ترسبات عميقة من حمم الألم لسنوات طويلة قبل أن ينفجر بركان الغضب.. بلا رحمة!

"من جابك للحكم؟! قل لي من جابك؟!!"

الجمعة 23 يناير 2015

توفي صباح اليوم الملك/ عبد الله بن عبد العزيز آل سعود خادم الحرمين الشريفين.. وهو حدث كان له ردود أفعال متباينة بين دول الجوار... فبينما أعلنت الإمارات حالة الحداد لمدة 3 أيام وأعلنت مصر الحداد لمدة أسبوع – تجاوزت البحرين كل ذلك وأعلنت الحداد لمدة 40 يوما فضلا عن منح عطلة لمدة 3 أيام لجميع المصالح الحكومية – وتبعها في ذلك القطاع الخاص..!

ومما لا شك فيه أن الملك/ عبد الله (رحمه الله) كانت له بصمات واضحة على كثيرٍ من الأمور فترة توليه الحكم وما قبلها سواء على الصعيد الداخلي من تطويرات غير مسبوقة في الحرمين الشريفين أو على الصعيد الخارجي من تزايد نفوذ المملكة حتى غدت قائدا للدول العربية...

والعنوان المسطور أعلاه هو من مقالة الأمير/ عبد الله بن عبد العزيز بقمة شرم الشيخ عام 2003 – حينما كان مازال وليا للعهد – لرئيس ليبيا السابق/ معمر القذافي ردا على تطاول الأخير على بعض الدول العربية – ومنها السعودية – متهما إياها باحتضان قواعد عسكرية أمريكية على أراضيها...فما كان من الأمير/ عبد الله إلا أن رد الصاع صاعين

للقذافي متهما إياه بالعمالة للغرب وأن الغرب هم من نصبوه على كرسي الحكم...

والحقيقة أن مملكة البحرين ترتبط ارتباطا وثيقا بالمملكة العربية السعودية لدرجة تجعل بعض ردود أفعال الأولى مَلكية أكثر من ملك السعودية ذاته! لا لأن السعودية تفرض حدادا أقل من الـ40 يوما..بل لأن السعودية لا تعلن الحداد أصلا! ولا تهتم كثيرا بمراسم العزاء لمخالفة ذلك للمذهب الوهابي المنتشر هناك منذ زمن..حيث يعد ذلك من باب البدع المحرمة شرعا... وإنما يهتمون بمبايعة الملك الجديد وولي عهده واستقبال الضيوف المهنئين بذلك...

وللبحرين سوابق في هذا الأمر حيث أعلنت ذات الحداد حين توفي الملك/ فهد بن عبد العزيز عام 2005 وأعطت ذات العطلة لقطاعها الحكومي فتبعها القطاع الخاص كذلك...

والمعضلة الدائمة في قوانين الطبيعة أن فكرة (الفراغ) لا يمكن أن تستمر طويلا دون تدخل مصطنع... فقوانين الطبيعة تجعل من وجود الفراغ محفزا لأقرب عناصر مجاورة لأن تحل محل ذلك الفراغ سواء كان جمادًا أو ماءً أو هواءً....فحينما عطّل المولى (عز وجل) قانون الاستواء (ملء الفراغ) بعد ضربة موسى (عليه السلام) للبحر بعصاه ليعبر هو ومن تبعه من المؤمنين — لم يكن مطلوبا غير أن يعود ذلك القانون للعمل كي

يغرق فرعون وقومه الظالمين {فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ[57]}...

ثم مرت آلاف السنين منذ حادثة فرعون حتى جرّب المصريون واقعة مشابهة على ذات الأرض حين تنحى الرئيس/ مبارك عن الحكم تاركا فراغا كبيرا في السلطة والتصرف..فما كان من أقرب العناصر لذلك الفراغ إلا أن ملأته بسرعة – حتى وإن لم تكن تلك العناصر هي وحدها من أدت لحالة الفراغ...

وأخوف ما أخاف هذه الأيام أن يكون العنصر الأقرب موقعا للفراغ الذي خلفه الملك/ عبد الله هو عنصر فاسد أو حتى غير مناسب... فما تشهده الساحة العربية حاليا لا يبشر بالخير أبدا... فقد سقطت ليبيا وأصبحت تحت قبضة ميليشيات قبلية بها كثيرٌ من العناصر المتطرفة دينيا... وكذلك فعلت العراق بانقسامها المجتمعي وضياع جيشها القوي... كما أرى سوريا تقاوم بعد أن نزح عنها غالبية شعبها هربا من جحيم المعارك مع ميليشيات جاءت من كل حدب وصوب...وكذلك السودان الذي قُسّم لدولتين ففقد كثيرا من تماسكه...وها هو اليمن قد استسلم لسيطرة ميليشيات الحوثيين الذين أجبروا الرئيس/ عبد ربه منصور الهادي على الاستقالة واستولوا على السلطة في صنعاء بالشمال منذرين

---

[57] سورة الشعراء: 63

بانقسام اليمن مجددا لدولتي الشمال والجنوب..!

وما يزيد من مخاوفي أن حكم المملكة العربية السعودية ليس هادئا ومستقرا كما قد يبدو لكثير من الناس... فتلك الدولة السعودية الثالثة التي أسسها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود لم تنشأ إلا بعد معارك طويلة بينه وبين سائر قبائل نجد ثم الحجاز في مطلع القرن العشرين.. كما أن نظام الحكم من بعده لم يخلُ من صراعات كانت تلوح في أفق البلاط السعودي من وقت لآخر.. فالملك سعود الذي خلف أباه مؤسس الدولة السعودية تم عزله عن الحكم ونفيه خارج البلاد إلى أن توفي في اليونان...وكذلك الملك/ فيصل بن عبد العزيز — الذي خلف سعود — تم اغتياله على يد بن أخيه الأمير/ فيصل بن مساعد بن عبد العزيز ربما ثأرا لوالده الأمير/ مساعد بن عبد العزيز الذي قتلته قوات الأمن السعودية في منزله إبان حكم الملك/ فيصل بن عبد العزيز...

كما أن نظام الحكم هناك كان يجرى على تولي الحكم الأكبر من الأخوة فالذي يليه ثم الذي يليه بشرط ألا يكون بن جارية.. أما الآن فلم أعد أفهم كيفية انتقال الحكم في المملكة بعد أن استحدث الملك/ عبد الله (رحمه الله) سابقة هي الأولى من نوعها بتعيين ولي لولي العهد...فقام بتعيين الأمير/ سلمان بن عبد العزيز — الذي أصبح ملك السعودية ابتداءً من اليوم — والذي تدور أقاويل حول معاناته من مرض الزهايمر...ثم عين

الأمير/ مقرن بن عبد العزيز وليا لولي العهد الأمير/ سلمان.. بحيث يخلفه إذا طرأ طارئ أو حدث حادث...والمعضلة أن الأمير مقرن قد ينظر له نظرة دونية من العائلة المالكة نظرا لأن والدته الأميرة/ بركة هي جارية يمنية وليست ابنة نسب سعودي عريق مثل كثير من زوجات مؤسس الدولة السعودية...كما إنه أصغر أبناء مؤسس الدولة السعودية الأحياء في الوقت الذي يصعب القول بأن بقية أخوته الأكبر سنا قد عزفوا عن الحكم بإرادتهم..وحتى لو صح ذلك الفرض فمن يضمن أن أبناء أولئك الأخوة العازفين عن الحكم لا يأتون بعد حين للمطالبة بعرش آبائهم الضائع فتتكرر مأساة بني هاشم مع أبناء عمومتهم بني أمية مجددا[58] ......وربما يزيد من صعوبة الأمر أن الأمير/ مقرن بن عبد العزيز ليس له أخوة أشقاء يعضدونه ويؤازرونه ضد ما قد يحاك من مكائد ضده... فهل

---

[58] من نوادر قريش أن عبد مناف بن قصي حين أنجب 3 أبناء: عبد شمس وهاشم والمطلب – عزف كلٌ من عبد شمس والمطلب عن حكم بطون قريش لتفضيلهم التجارة، فتصدى هاشم لزعامة قريش السياسية فضلا عن توليه السقاية والرفادة...وبمرور الوقت بدأ أبناء عبد شمس (بني أمية) في المطالبة باقتسام السلطة السياسية مع عمهم هاشم مستبرئين من انصراف أبيهم عن الحكم وتركه لأخيه هاشم.. فلما احتكموا إلى بطون قريش فضلوا هاشم وأمروا بمغادرة مكة إلى الشام عشر سنوات كاملة كنتيجة لخسارتهم التحكيم...ومنذ ذلك الحين وبنو أمية يحملون الضغائن لبني هاشم بدعوى سلبهم ملك أبيهم (عبد شمس)...ومرت سنون عديدة – تسلسلت فيها ذرية هاشم من ولده عبد المطلب حتى حفيده النبي (صلى) – كانت تلك الضغينة نائمة إلى أن جاء الإمام/ علي بن أبي طالب "الهاشمي" (رضي) إلى الحكم فصارت الضغينة فتنة كبرى بينه وبين معاوية الأموي في القصة الشهيرة على التفصيل السابق..والتي كلفت أمة المسلمين انقسامها حتى اليوم...وقد صدق المثل القائل: "الآباء يأكلون الحُصْرُم والأبناء يَضرسون"..!!

تتوارى العصبيات عن ذلك الأمر ويقبل البلاط السعودي بأن يتولى المُلك من قد يُنظر له بالدونية عنهم..؟

وقد جاءت أيضا أزمة انهيار أسعار النفط العالمي لتنوخ بكلكلها على اقتصاد المملكة التي كانت تعتمد عليه اعتمادا كبيرا في توفير التمويل اللازم لقيادتها العالم العربي سياسيا.. في الوقت الذي بدأت قطاعات واسعة من السعوديين تتمرد على النظام الحاكم..تارة بسبب البطالة التي بدأت تظهر بقوة في المجتمع السعودي على غير العادة..وتارة أخرى بسبب التضييق على بعض الشيعة الذين ينتشرون في جنوب شرق المملكة وبدأت تلوح في الأفق بعض سجالات بينهم وبين قوات الأمن السعودي...

ومما لا شك فيه أنه كلما زادت الرقعة الجغرافية كلما صعبت السيطرة على أجزاء تلك الرقعة خصوصا في الأنظمة الشمولية مثلما هو الحال في السعودية التي تبلغ مساحتها **2** مليون كم^2 – أي ضعف مساحة مصر – وتترامى أطرافها الشاسعة هنا وهناك..في الوقت الذي لا يتجاوز عدد السكان الـ**30** مليونا – أي ثلث عدد سكان مصر تقريبا... وهو أمر أثار انقسامات بالفعل في أقاليم شاسعة مثل السودان ويثير بوادر انقسامات في أقاليم أخرى مثل الجزائر...

حفظ الله المملكة العربية السعودية وسائر الأمة العربية..وحماها من شر حاسد إذا حسد...!

"إيه يا خويا الشبورة اللي إنت عاملها دِي؟!"

الاثنين 26 يناير 2015

الجملة المعنونة أعلاه قالتها الممثلة/ هياتم [أم سمسم!] للفنان/ عمرو عبد الجليل [جودة] في مشهد من فيلم (صرخة نملة) ردا على جُودة بعد أن ذهب إليها (يتعارك) بعد أن قامت هياتم بسرقة (غشاء البكارة) من أخته الممثلة/ ريهام أيمن [هناء]..!

وكل ما يهمني في تلك الجملة (غشاء البكارة)..أ..أأ..أقصد (الشبورة)...!

ضربت البحرين اليوم شبورة مائية رهيبة..لم أر مثلها في حياتي من قبل..حتى البحرينيين أنفسهم لا يتذكرون أنهم رأوا شبورة بهذا الشكل! فقد كنت أقود سيارتي ولا أستطيع رؤية أكثر من 5 أمتار أمامي..وأشعر بدخان الشبورة يتحرك كأنني داخل سحابة! فكرت في ركن سيارتي على جانب الطريق ولكنني خشيت أن تكون عرضة للاصطدام أكثر بمن يأتي من الخلف...المهم سرت كما تسير السيارات على أقل سرعة ممكنة حتى أصل عملي بسلام..وقد كان والحمد لله...

وبمجرد دخولي العمل وحديثي مع إحدى زميلاتي البحرينيات حول الأمر قلت لها: "شفتني الشبورة؟!" فنظرت باستغراب وقالت:

"شبورة؟؟!"...فقلت لها: "نعم..الشبورة"...وبعد مداولات أدركت أن البحرينيين يطلقون لفظ "شبورة" على نوع من المأكولات لديهم عبارة عن (خبز محمص)..! بينما يطلقون على "الشبورة" بمفهومي المصري كلمة (ضباب)...

وبعيدا عن الشبورة – فإن للبحرينيين أكلات شعبية أخرى مميزة في المذاق..والتسمية! فقد دعاني أحدهم ذات مرة لتناول (البلاليط)! نعم (البلاليط)..وهي أكلة عبارة عن (شعرية) بالسكر وبعض البهارات الخليجية تقدم مع بيض أومليت مملح..ويأكلونها بين الوجبات كنوع من (الرمرمة)...

وبشكل عام يتوسع الشيعة في تحريم المأكولات أكثر من إخوانهم السنة...ومما يحرمه الشيعة أكل (الرخويات) مثل الجمبري – أو ما يطلقون عليه (الروبيان) – وكذلك السبيط (الخثاق)...ومع ذلك يتساهل بعض الشيعة في أكل الجمبري صغير الحجم على عكس (الجامبو)... وإجمالا لا يأكل الشيعة من البحر أو النهر إلا السمك..ومن ثم فهم لا يأكلون الكابوريا أو الضفادع...

وتحتل وجبة (المچبوس) – وهو النطق المحلي لكلمة (مكبوس) – الصدارة بين أكثر الأكلات البحرينية الشعبية انتشارا...وهي عبارة عن أرز بسمتي بالزبيب..تعلوه بطاطس مقلية..وبيض مسلوق مقلي في

السمنة..ثم تكسوه (هُبَر) من لحم الضأن والدجاج المحمر...وسلملي على شرايينك بأه!

وعموما يطلق البحرينيين لفظ (عيش) على (الأرز) بمفهومنا نحن...هم لا يعرفون لفظة (أرز)...أما (العيش) بتاعنا فيطلقون عليه (خبز)...وبهذه المناسبة يتداول البحرينيون مثل شعبي مشهور هو "تقابل جيش..ولا تقابل عيش"...بمعنى: أهون عليك أن تقابل جيشا من أن تأكل أرزًا...وذلك لدسامة الأرز (العيش) بالبحرين..!

ومنذ زمن كنت أستغرب أبناء الخليج حين أراهم يأكلون الأرز بأيديهم من الصحن الرئيسي دون أطباق أو ملاعق...ولكن حينما جربت ذلك بنفسي في (المجوس) –بتعطيش الجيم – أدركت أن لذلك حلاوة لا يضاهيها شيء...فالأكل بالأصابع له مذاق خاص يشعرك بالبساطة..كما أن امتداد عدة أيادي لذات الصحن الكبير له أثر جميل في النفس..فحينما تجد أنك ومجالسيك تأكلون من نفس قطعة اللحم أو من نفس البيضة يعطي ذلك إحساسا رائعا بالأخوة والتلاحم...ويزيد من الأمر جمالا حين تأكل على (سماط)[59] – بمعنى أن تفترش الأرض دون منضدة – وسط أصدقائك...وذكرني هذا بالرئيس/ محمد مرسي حينما ذكر أنه يدعو

---

[59] ولعل ما يطلق عليه المصريون الآن لفظ (مسمط) هو اشتقاق من تلك الكلمة العربية الأصيلة نظرا لاعتياد المصريين الأكل على الأرض قديما قبل أن تتسرب العادات الغربية إليهم.

بعض أصدقائه من التيارات الدعوية لتناول الغداء على الأرض في القصر الرئاسي...للحق لولا البروتوكولات الرئاسية وهيبة المنصب الواجبة لالتمست أشد العذر للرجل من فرط جمال تلك الطريقة في الأكل..!

وحدث في إحدى الأيام أن كان زملائي البحرينيون في العمل يتناولون (المجوس) على الغداء..وقام أحد المشاركين بترتيب المنضدة بوضع الأطباق والملاعق استعدادا للأكل...فلما رآه أحد البحرينيين الأقحاح المشاركين في الغداء ما كان منه إلا أن قام لفوره بــ.قذف الأطباق والملاعق في الهواء!..مستنكرا تجرؤ ذلك الشاب على وضع ملاعق لأكل (المجوس)..!

بصراحة أنا جُعت... هاروح أضربلي بأه طبق (شوربة بالصلصة)..!

"إحنا في زمن النفخ..!"

الأربعاء 4 فبراير 2015

بالطبع لا أقصد استدعاء ما قاله الفنان/ أيمن قنديل [تهامي باشا] في فيلم (أنا باضيع يا وديع)...ولكني استحضرت التيمة الأصلية من فيلم (عمارة يعقوبيان) عندما قالها الزعيم/ عادل إمام [زكي باشا]: *"إحنا في زمن المسخ"*...

كان (زكي باشا) يتحسر على جمال وسط البلد المفقود بعد قيام انقلاب 23 يوليو **1952** على يد الضباط الأحرار...وذلك بعدما كانت القاهرة ملأى بالأجانب الذين نقلوا حضارة وحداثة بلدانهم إليها حتى فاقتها جمالا...إلى أن تبدل الحال..فسكن الجهال مكان الحضريين...وتحول كل شيء إلى قبيح...حتى غرف الغسيل فوق أسطح المنازل أصبحت عشش للسكنى..!

وفي الحقيقة لقد وجدت تشابها كبيرا بين ما تحسر على فقدانه (زكي باشا) وما تشهده مملكة البحرين الآن! نعم..فالفيلم التسجيلي المحكي بصوت المبدع/ يحيى الفخراني في أول الفيلم وكأنه يصف مملكة البحرين الآن..!

الشوارع هنا نظيفة...ملأى بالأجانب من كل حدب وصوب...المحال

منظمة...البنايات جميلة...الأمن مستتب..لكن...ما لم يقله يحيى الفخراني بصوته أن....قطاعات كبيرة من الشعب كانت مبعدة عن ذلك المشهد الرائق..!

فقبيل قيام انقلاب 23 يوليو – كانت قطاعات كبيرة من الشعب المصري لا يشعر بها أحد...كان الفلاحون مستعبدون في إقطاعيات الأغنياء..لا يملكون أرضا ولا يدخرون قوتا...أميين لا يحسنون كتابة ولا حسابا...يعيشون حاضرا لا مستقبل له...يبذلون عرقا بلا طموح في منصب أو مال...وكأنما هم عبيد أجراء بيعوا لأسيادهم بسوق النخاسة..! لذا لم يكن غريبا أن يتضامن عموم الشعب المصري مع انقلاب يوليو بعد أن ثبّت أقدامه..وساعد من ذلك أن تزعم تلك الأحداث زعيم عظيم مثل جمال عبد الناصر...الذي كان له نصيب من اسمه...فكان جميلا مع الفقراء نصيرا لهم..يتذكرونه ويبكونه حتى اليوم...

وكأن الماضي قد استيقظ من سباته فتجسد حاضرا اليوم ولكن في مكان آخر... فأكاد أرى قطاعات واسعة من البحرينيين – وخاصة الشيعة الأغلبية – يتحسرون على ذهاب خيرات البلد لغيرهم من الأجانب مثلي...وأنهم أجراء في مرتبة أدنى من ضيوفهم...فالوظائف العليا في القطاع الخاص لغيرهم من الأمريكيين والإنجليز والألمان والفرنسيين وغيرهم... هم يدركون أنه لولا إلزام القانون للمؤسسات بحد أدنى من

(البَحْرَنة) [60] لكان مصيرهم قبوعهم في منازلهم..!

وما يزيد من ألم البحرينيين أنه في بلدهم – مثلها مثل معظم الدول العربية – يتمتع حاملو الجنسية الأجنبية بمعاملة تفوق مثليتها الوطنية بغير قليل...ففي تلك البلدان لا صوت يعلو فوق صوت الأجنبي! ولا أدل على ذلك من (سوط) إسقاط الجنسية التي دأبت السلطة في الآونة الأخيرة على تسليطه على أظهُر معارضيها من المواطنين الشيعة...فيصبح بين ليلة وضحاها لا ينتمي لبلد ورثها عن أجداده قبل أن تنشأ تلك النظم المانحة والمانعة..!

وقد أحسن الفنان/ أحمد حلمي صنعا حين قدم بأدائه المميز فيلم (عسل الأسود)...والذي يحكي عن قصة ميل الأنظمة العربية المبتذل للمواطن الأجنبي وخاصة الغربي.... ومؤخرا شاهدنا أحداثا وكأنها الجزء الثاني من الفيلم الشهير تحت عنوان: "ترحيل الصحفي الأسترالي بيتر كريستي إلى بلده رغم صدور حكم نهائي بسجنه على خلفية ما عرف بخلية الماريوت!"...بينما باقي المتهمين المصريين قابعين خلف أسوار السجن لذات التهمة لا يجدون منها ملاذا..فلما سألوا عن السبب قيل أن رئيس

[60] يلزم القانون البحريني – كمثله من قوانين دول مجلس التعاون الخليجي – المؤسسات والشركات العاملة بالبحرين باستعمال عمالة وطنية كحد أدنى إذا كانت تلك المؤسسات أو الشركات ذات حجم عمالة معين، وذلك حماية لأبناء شعبها من البطالة وضمان استفادتهم من الاستثمارات المنشأة في بلدانهم.

الجمهورية قد أصدر قرارا بقانون تحت رقم 140 لسنة 2014 يمنحه ترحيل أي مجرمين أجانب إلى بلدانهم والإفلات من سيادة ما خرقوه من القانون الوطني على أرض مصر!...ثم يبدو أن فيلم (عسل إسود) أبى إلا أن يرى جزءه الثالث النور أيضا في ذات الواقعة حيث نشرت الصحف المصرية اليوم أن متهما آخر في ذات القضية يدعى (محمد فهمي) — والذي كان يحمل الجنسيتين المصرية والكندية — اضطر للتخلي عن جنسيته المصرية مقابل الإفراج عنه! وقيل إن السلطات المصرية هي من شجعته على ذلك بأن يختار بين حريته وجنسيته!! ولا عزاء لبقية المتهمين المصريين غير حاملي جنسيات أجنبية.. ولا حول ولا قوة إلا بالله...!!!

وترتبط هذه الفكرة بما يعرف في القانون بـ(الجرائم السياسية) — وهي الجرائم التي ارتكبت بغرض سياسي...ففي الدول الديموقراطية عادة ما يدان المتهم السياسي بعقوبة أقل من مثيلتها العادية..لأن تلك الدول تعده (صاحب قضية) كان يحاول الدفاع عنها...أما في بلادنا العربية الحبيبة فالوضع معكوسٌ تماما..فإذا ما راتكب شخصٌ جريمة سياسية يكن سعيد الحظ لو حصل على حكم من قاضيه الطبيعي ولم يُحَل إلى محاكمة عسكرية أو يعتقل إلى ما شاء الله بموجب قانون الطوارئ..!

حقا..إني لأخاف أيما خوف من أن يزيد الظلم من ثقله فلا يطيقه حُمّاله..حتى إذا ثار الحمّال صاروا أبُودا عصماء تفترس كل ما حولها..بلا

رحمة...!

{ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد، وفرعون ذي الأوتاد، الذين طغوا في البلاد، فأكثروا فيها الفساد، فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد} [61]

....

....

[61] سورة الفجر: 6-14

"بيت الراحة"

الجمعة 13 مارس 2015

يهتم البحرينيون كثيرا بنظافة دورات المياه...وربما ساعد على ذلك انتشار الجنسيات الغربية بالبلد..الأمر الذي شجع على استمرار ذلك فأصبحت عادة من عادات سكان البحرين...

وقد استدعى ذلك الأمر ذكريات من الماضي حول تطور دورات المياه..وبالأخص مكان قضاء الحاجة..!

ويعد لفظ (كابانيه) اللفظ الأشهر والأوسع انتشارا في مصر لوصف ذلك الاختراع المبهر الذي ظهر في القرن العشرين حتى عدته إحدى المجلات الفرنسية – في استفتاء أجرته بين قرائها – الاختراع الأهم في ذلك القرن..!

وبجانب لفظ (كابانيه) يحلو للبعض وصفه بـ(القاعدة) خاصة في محال بيع الأدوات الصحية..كما يميل بعض سكان العشوائيات وصفه بـ(العين)...

عندما تفتح إدراكي على هذا الاختراع في أواخر الثمانينيات كانت شركة (ليسيكو) هي الأشهر في إنتاجه...وانتشرت في تلك الفترة ظاهرة (البيديه)..وهو لمن لا يعرف من الأجيال الحديثة بمثابة (توأم) للكابانيه

ولكن لأغراض (التشطيف) فقط بعد قضاء الحاجة...بينما يقبع الكابانيه بجانبه شامخا كالأسد بحسبانه الأصل في قضاء الحاجة..ولا سيما إذا كان يحتوي على (شطافة) إضافية تغني عن استخدام (البيديه)..!

وفي تلك الأثناء كانت الشطافة الملحقة بالكابانيه عبارة عن (ماسورة) مقوسة يختلف طولها وتقويسها من سباك لآخر...حيث كانت من الإكسسوارات التي يحتكر السباك تركيبها وضبطها...ولكن كان يعيب تلك (الشطافة الماسورية) عدم ضمان نظافتها..حيث كان على قاضي الحاجة ألا يصوب فضلاته عليها وإلا علقت بها...وما كان يزيد الطين بلة عدم جنوح المصريين كثيرا نحو الاهتمام بنظافة دورات المياه عموما و(الكابانيهات) خصوصا..!

كما كان يوجد طراز آخر من الشطافات عبارة عن (خرطوم) خارجي يعلق في جانب الكابانيه ويستخدم يدويا..وكان معدنيا بالكامل فضي اللون على عكس البلاستيكي الموجود الآن ببعض دورات المياه...

أما في دورات المياه العمومية الرجالية فكان ولا زال حتى الآن اختراع الكابانيه الرأسي أو ما يطلق عليه (المَبْوَلة) صامدا ولكن مع تطور في الشكل...وينظر كثيرٌ من الرجال إلى المبولة بوصفها أكثر اتساقا مع الطهارة الواجب توافرها في المرء لضمان استنجائه بعد التبول على عكس الكابانيه... وأيا ما كان الأمر فقد كان ذلك (الكابانيه الرأسي) غالبا مملوءً

بـ(النفتالين البلي) حتى أنه كثيرا ما يكون مسدودا من كثرة حبيبات النفتالين الجاثمة على مصارفه..!

وبعيدا عن حالة الغثيان التي أشعر بها منذ بدأت الكتابة في هذه اليومية – فإنني أحمد الله أن ولدت في بيئة يتوافر فيها ما ذكرته آنفا...حيث كان ومازال هناك مناطق كثيرة بمصر لم يدخل الكابانيه إليها بعد...فضلا عن المناطق الشاسعة التي لم يدشن بها صرف صحي أصلا..!

وقد شاهدت بعينيْ في إحدى النجوع ويدعى (نجع أبو رجيعة) ضمن منطقة العامرية بالإسكندرية كيف أن فضلات سكانه السائلة تجري في طرقاته جريان النيل..وأن الفضلات الصلدة ليست أوفر حظا..بل يتم تجميعها في (طرنشات)..وهي عبارة عن أبيار يتم حفرها بشكل بدائي – نظرا لعدم وجود شبكة صرف صحي – بحيث يتم تجميع فضلات السكان بها..إلى أن تأتي سيارة نقل – كل أسبوع مثلا – تحملها إلى إحدى المستودعات الحكومية المخصصة لذلك...وغني عن البيان حجم المعاناة التي يعيشها سكان تلك المناطق – وما أكثرها حتى الآن – إذا ما تأخرت سيارة (نقل المخلفات)..فضلا عن انتشار الناموس والحشرات الناقلة لصنوف الأمراض من فرط ذلك التلوث...!

وبجانب مأساة (الطرنشات) فإنه مازالت هناك أيضا مناطق بمصر لا تعرف إلا (الحمام البلدي)..وهو عبارة عن (بانيو) ولكن لقضاء الحاجة!

نعم هو أشبه بالبانيو الصغير ولكن فتحة صرفه مخصصة للفضلات وليس لمياه الاستحمام..بحيث تقوم بالجلوس (مقرفصا) أعلى فتحة الصرف مصوبا فضلاتك عليها ثم تقوم بسكب مياه على الفتحة لكي يتم تصريف الفضلات إلى الصرف الصحي أو الطرنشات بحسب الأحوال..!

ومن الإكسسوارات المرتبطة أيضا ارتباطا وثيقا بالكابانيه (السيفون)...ولسوء الحظ أنني قد أدركت (السيفون العلوي أبو سلسلة)...نعم هو اختراع قبيح بكل المقاييس..ومن المفارقات أن منزل عمتي كان به نسخة من هذا الاختراع العجيب..! فذلك السيفون كان في مكان بينما الكابانيه في مكان آخر! وذلك ببساطة لأن ذلك السيفون كان معلقا على الحائط قرب سقف الحمام أعلى الكابانيه كما لو أنه جهاز (تكييف سبليت)..بينما تتدلى منه رأسيا سلسلة معدنية طويلة تنتهي بمقبض مثل (المنافلة)..فما عليك إلا أن تشدها باتجاه الأرض حتى تنهمر المياه من أعلى إلى الكابانيه..! وربما كان ذلك الموديل هو السبب في استخدام مصطلح (شد) السيفون حتى الآن - وليس (دوس) — رغم عدم وجود أية موديلات حاليا تعمل بنظام (الشد)..!

وفي ذات الأثناء كان السيفون العادي (المتصل بالكابانيه) منتشرا أيضا..ولكنه لم يكن زرا يضغط لأسفل كما الوضع الآن..وإنما كان زرا موصولا بعمود بلاستيكي يشد إلى أعلى...ومازالت الكثير من البيوت

تحتفظ به حتى وقتنا الحاضر...

ومع مرور الوقت تطور (الكابانيه) فظهرت (الشطافات المدمجة)..وهي الموجودة الآن بحيث تكون فوهة المياه مدفونة في الكابانيه حتى يصعب على الفضلات ملامستها كما كان الوضع في (الشطافات الماسورية)...وصاحَب ذلك التطور اختفاء تدريجي لـ(البيديه) حتى كاد أن يختفي... كما بدأ السيفون التقليدي في الانزواء أيضا ليحل محله (سيفون الزر) الذي يضغط لأسفل والمتداول حاليا...

والغريب أنه مع التقدم التكنولوجي في البلاد الغربية إلا أن معظمها مازال لا يعترف بـ(الشطافات) كوسيلة للنظافة بعد قضاء حاجتهم..معتمدين على تنظيف آثار فضلاتهم بالمناديل الورقية! ولا يلطف من الأمر قليلا إلا أنهم عادة ما يقومون بالاستحمام بعد قضاء حاجتهم..ولا أعرف سببا حتى الآن لعزوفهم عن إدخال الشطافات إلى كابانيهاتهم..خاصة وقد علمت من خلال بعض الأوروبيين المقيمين بالبحرين أنهم بعد أن استخدموا الشطافات لم يعودوا قادرين على تحمل عدم وجودها ببلدانهم حين يعودون إليها في إجازات قصيرة..!

وعلى صعيد آخر..يبدو أن شطر آخر من العالم مازال يهتم بهذا الاختراع حتى أنه ظهرت منذ فترة ببعض الدول (كابانيهات) بها شطافات ساخنة وباردة حسب رغبة (قاضي الحاجة)..بحيث يستطيع

التحكم في درجة حرارة مياه التشطيف..!

وبرغم كل ذلك التطور في صناعة (الكابانيه) إلا إنني لا أجد تفسيرا حتى الآن لعادة مصرية صميمة تصادفها كلما قررت أن تطرق باب حمام رجالي عمومي بداخله (قاضي حاجة)..وهي أن يرد عليك بـ(كُح كُح) أو (إحم إحم)...في حين يتجنب الرد بالكلام بأن يقول (أيوا) أو (نعم) أو (فيه حد)..وهكذا... فأرجو من يجد تفسيرا لتلك العادة الغريبة أن يخبرني..وله مني جائزة قيمة عبارة عن... (كابانيه)..!

"بحب السيما"

الاثنين 16 مارس 2015

أثناء مطالعتي إعلانات الأفلام المعروضة بدور السينما في البحرين لاحظت أمرا غريبا..وهو أن بعض دور السينما تعرض أفلاما عربية قديمة نسبيا مثل (اللمبي) و(كامل الأوصاف)..وهي أفلام مر على عرضها الأول عدة سنوات!

وأمام تلك الملحوظة وجدتُني أيضا أسترجع بعض ذكرياتي الراصدة لتطور دور السينما منذ أواخر ثمانينيات القرن العشرين...

كانت أول ما تفتحت عينيْ عليها سينما (أوديون) في منطقة كامب شيزار بالإسكندرية..حيث كانت ملاصقة لمنزل خالتي آنذاك...وكانت تلك السينما العتيقة متخصصة في عرض الأفلام الهندية! نعم..هي كانت موجة ما أنزل الله بها من سلطان في المجتمع المصري حيث انتشرت الأفلام الهندية في التلفاز..وأتبعها انتشارا في بعض دور العرض مثل (أوديون)..ولم يكن هناك بدٌ من الانبهار بالبطل الأوحد آنذاك (آميتاب باتشان) — خلافا لمطرب الثمانينيات/ حمدي باتشان — الذي كان أقرب إلى شخصية الفنان/ أحمد مكي في فيلم (طير إنت) حين جسد شخصية الرجل الهندي [كوكتيل الشجاعة والهضامة والرومانسية والقيادة]..! وكنا إذا

ضبطنا (أوديون) تتمرد على الأفلام الهندية نفاجأ بـ(الأنقح) من ذلك بعرضها أفلام نجمة الجماهير/ نادية الجندي..! وأيًا ما كان الأمر فلا أتذكر إنني رأيت (الموكيت) داخل السينما إلا وكان مغطى بـ(قشر اللب)..!

أتذكر أن ثمن تذكرة دخول سينما (أوديون) في الحفلة الصباحية كان خمسة جنيهات للـ(بلكون) وثلاثة جنيهات للـ(صالة) وسبعة جنيهات للـ(لوج)...ولمن نسي تلك (الطبقية) داخل السينما أذكره بأن معظم صالات العرض في ذلك الوقت كان لها مدخلين: واحد للبلكون واللوج تصعد له بسلم..بحيث يكون البلكون في أعلى نقطة من الصالة حيث تكون بعيدا عاليا عن الشاشة بشكل لافت..أما اللوج فهو أسفل منطقة في البلكون والتي عادة ما تكون صفين أو ثلاثة على أقصى تقدير..لكن كان يعيب اللوج – رغم وسطية موقعه – وجود سور خشبي في الغالب يعترض جزء من الرؤية أمام صفوفه خاصة الصف الأول منه...أما عن الصالة فكان لها مدخل مستقل لا يحتاج إلى سلم..وأمام كبر حجم شاشات دور العرض في ذلك الوقت كان الجلوس في الصالة – وخاصة في الصفوف الأمامية – بمثابة رحلة عذاب حتى نهاية الفيلم لأن معظم المقاعد كانت مصممة بحيث يتعين عليك رفع رأسك إلى أعلى كي تستطيع المشاهدة جيدا حيث كان يعترض مقدمتها سورا يفصل بينها وبين شاشة العرض التي كانت

ترتفع على ما يشبه خشبة المسرح..!

ومن سينما (أوديون) بالإسكندرية إلى سينما (روكسي) و(هليوبوليس) بمنطقة روكسي بالقاهرة..حيث لم يختلف المشهد كثيرا إلا في أن موظف بيع التذاكر في (روكسي) و(هليوبوليس) كان غالبا ما يباغتك بجملة: "كل سنة ونت طيب يا حبيبي" فتترك له جنيها مثلا..! واتفقت أفيشات الأفلام في تلك الفترة – وخاصة الأفلام الأجنبية – على أن تكون مرسومة باليد قبل أن يدخل التصوير الرقمي في طباعة الأفيشات مثل اليوم... كما انتشرت ظاهرة غريبة في ذلك الوقت هي ترجمة عنوان الفيلم الأجنبي على الأفيش إلى اللغة العربية..ليس ذلك فحسب..بل نادرا ما وافقت الترجمة العربية النص الأصلي الأجنبي مثل الفيلم الشهير (**Mrs. Doubtfire**) بطولة الراحل/ روبن ليامز الذي كانت ترجمته آنذاك (مغامرات بابا الشغالة)..!

وعلى بعد مئات الأمتار من سينما (روكسي) و(هيليوبوليس) كانت هناك سينما (نورماندي) لمشاهدي الصفوة من أبناء مصر الجديدة...كانت سينما أحدث نسبيا في الإنشاء والتجهيز...وكانت مقسمة إلى دورين للعرض: واحدة شتوي وأخرى صيفي! أما الشتوي فهي المغلقة المكيفة وأتذكر أن سعر البلكون بها في بداية التسعينات كان **10** جنيهات..واللوج **12** جنيها..في حين الصالة **7** جنيهات...أما الدور الصيفي فقد كان

أعلاها مفتوحا بلا سقف – مثـل شاشـات العـرض المنتـشرة بـبعض قـرى الساحل الشمالي الآن – وكانت بالطبع أرخص في السعر...

والمـشكلة الكـبرى في تلـك الفـترة كانـت تكمـن في تـصميم دور عرض..حيث كان مشهدا معتادا أن تجد طابورا طويلا يبدأ عند مدخل السينما الخارجي انتهاءً إلى ما شاء الله على الرصيف..والسبب في ذلك كان عدم وجود مساحات واسعة للانتظار داخل السينما قبل الدخول إلى قاعة العرض على عكس الوضع الآن...لذا اتجه بعض أصحاب دور العـرض الخبثاء – مثل (نورماندي) – إلى السماح بالدخول إلى كافيتريا السينما دون قاعة العرض قبل السماح للجماهير العامة بالدخول الجماعي إلى قاعة العرض..وذلك مقابل (تنفيع) كافيتريا السينما التي لا يكاد يقربها مشاهد في الأحوال العادية بسبب أسعارها المبالغ فيها..فيكون الخيار لك بين أن تظل في حر الشارع أو أن (تنفّع) الكافيتريا..! وبالرغم من مرور الوقت على تلك الظاهرة مازالت دور عرض منطقة وسط البلد محافظة على ذلك التراث بعتاقة مبانيها حتى الآن..فضلا عن محافظتها على تراث (التطبيط) داخل السينما وخاصة في الصفوف الأخيرة..!

وكان مما يلفت النظر في هذه الفترة أمران...أولهما هو احتكار من يسمى بـ(معامل أنيس عبيد) ترجمة جميع حوارات الأفلام الأجنبية..ويبدو أن الحاج/ أنيس هو أول من ابتكر ترجمة **Fuck You**

إلى (اذهب إلى الجحيم)..أو (تبًا لك) من باب التنويع..! أما الأمر الآخر فهو اضطراد دور العرض في عرض فيلم تسجيلي قصير — قبل عرض الفيلم الرئيسي — عن (حرب أكتوبر) محتوية بالطبع على مقطع للفريق طيار/ محمد حسني مبارك..!

ومع الوقت ظهرت دور السينما الملحقة بالمولات في منطقة مدينة نصر تحديدا...فكان (طيبة مول) هو البداية في منطقة مصر الجديدة ومدينة نصر..ثم تبعه (حرية مول) الذي أحدث ضجة وقتها لكون السينما بداخل المول ذاته فيمكنك الاستمتاع بالتجول في المول المكيف على عكس (طيبة مول) الذي كان مجاورا للسينما التابعة له فلم تكن بداخله..ولكن لم تكتمل الفرحة بـ(حرية مول) حيث شب فيه حريق شهير عام **1997** أضاع بسمعته...في تلك الأثناء كان قد ظهر (جنينة مول) الذي حطم الرقم القياسي في عدد شاشات العرض بداخله في ذلك الوقت فظل متربعا على العرش لفترة..وكذلك سينمات (واندر لاند) الملحقة بحديقة ملاهي (وندر لاند) والتي راجت كثيرا في أواخر القرن العشرين حتى جاء الكبير...(سيتي ستارز)..!

وكان مول (سيتي ستارز) نقلة نوعية مع بداية الألفية الثالثة..وذلك من حيث عدد شاشات العرض وأنواع قاعات العرض نفسها..فبجانب قاعات السينما الحديثة بالطابق الأخير كان الطابق الأرضي محتضنا

لمستوى جديد في عالم الرفاهية حيث كان أول ظهور للسينما الفاخرة (جولدن) المجهزة بكراسي واسعة وثيرة كان سعر التذكرة لدخولها 75 جنيها على ما أذكر...

ومع مرور الوقت حتى الآن كانت قد ظهرت دور سينما تقدم أفلام 3D بعد تزويد المشاهدين بنظارات مخصوصة لذلك...ثم ظهرت أفلام الـ4D أيضا...كما أصبح بالإمكان حجز التذاكر عن طريق الهاتف..وهكذا.....

الله يرحم أيام سينما (أوديون)..!

"هُو.. هُو.. دااايو.. بالتقسيط عملوه...
26 جنيه شهري.. سعر دايو مافيش زيه"

الأربعاء 18 مارس 2015

بعد أن كتبت يومياتي مع "بيت الراحة" و"بحب السيما" وجدت نفسي منقادا لاستكمال (وصلة) البكاء على الأطلال واسترجاع – وليس (ترجيع) – الذكريات...فأصاب سهمي تلك المرة: التليفزيون !

نعم..إنه ذلك الاختراع الذي غير حياة العالم عموما وحياة المصريين خصوصا منذ ظهوره في القرن العشرين...

في نهاية ثمانينات ذلك القرن كان لدينا تلفزيونا نشاهده (ملونا) أحيانا و(أبيض وأسود) أحيانا أخرى حسب حالة الإيريال..! فقد كان (ملونا) بحسب الأصل..لكن جهاز الإيريال الداخلي بعموديه المعدنين الموضوعان أعلاه كان هو صاحب القول الفصل في إطلاق الألوان من عدمه..! ومن يلمس دون قصد أحد عمودي الإيريال فيغير اتجاهه يكون قد ارتكب جريمة كبرى يتبعها توبيخ من الأهل على ضياع الصورة..! وقد كان ذلك التلفاز به **8** قنوات فقط على ما أذكر تقوم باختيار إحداها يدويا طبعا..بحيث تضغط على زر القناة المرادة فينغمس الزر إلى داخل اللوحة بينما يبرز لأعلى زر القناة المغادِرة للتو...ولا تنتهي القصة عند

ذلك..حيث يتعين عليك أن تضبط تردد القناة المطلوبة عن طريق أحد أزرار ثمانية أخرى مختصة بضبط التردد فتقوم بتدويرها يُمنة أو يُسرة حتى تصل إلى أفضل صورة..كما كانت هناك أزرار أخرى محدودة تتحكم في الصوت واللون وخلافه...وفي ذات الوقت كانت هناك أجهزة إيريال هوائية تثبت فوق السطح أو في البلكونة لمن يحب...

وبصرف النظر عن غرابة شكل التليفزيون كان مضمونه لا يقل غرابة..! حيث لم تكن قد ظهرت القنوات الفضائية بالطبع..فاحتلت القناتين الأرضيتين الأولى والثانية صدارة المشهد..بينما كانت توجد قنوات أخرى إقليمية بحسب محافظات مصر..حيث كانت القناة الرابعة مخصصة لسكان إقليم قناة السويس..والقناة الخامسة مخصصة لسكان الإسكندرية.. بينما السادسة خاصة بسكان الدلتا..أما السابعة فكانت لسكان شمال الصعيد..في حين كانت الثامنة لسكان جنوب الصعيد..! وأتذكر أن سكان القاهرة كانوا الوحيدين الذين يستطيعون مشاهدة القنوات الثمانية..في حين كان سكان المحافظات يستقبلون فقط القنوات الأولى والثانية..وربما الثالثة – التي لم أعرف لها تصنيفا أو سببا للوجود قط – بالإضافة إلى قناتهم الإقليمية..!

وقد كانت القناة الأولى هي القناة الرسمية التي تذيع نشرات الأخبار التي كانت موزعة على ثلاث أو أربع مرات في اليوم تكون الجرعة

الإخبارية الواحدة نحو ساعة تقريبا..بالإضافة إلى موجز للأنباء كل ساعة..كما كانت تذيع الأذان وقت الصلاة كاملا يتبعه حديث نبوي بصوت الفنان/ محمد السبع.. وهي العادة التي ظلت على حالها سنوات إلى أن توفي الشيخ الشعراوي عام **1998** فتم تثبيت (دعاء الأذان) بصوت الشيخ الراحل – تكريما له – بدلا من عرض الحديث النبوي...وكان يذاع على القناة الأولى أيضا وقائع جلسات مجلس الشعب المسجلة – قبل أن تظهر قناة (صوت الشعب) حاليا...كما كانت تعرض فيلما عربيا بعد الظهر..وربما المسلسل اليومي في تمام الساعة السابعة إلا ربع مساءً والذي يسبقه عادة إعلانات (مكافحة البلهاريسيا) للفنان/ محمد رضا والذي تطور بعد ذلك لإعلانات (محو الأمية) صاحبة أغنية: *"يا بهية خبريني وديتي ختمك فين؟*[62]" حتى انتهى بإعلانات تنظيم الأسرة والتي كانت في أول الأمر بطولة الفنان/ أحمد ماهر بمقولته الشهيرة *"الراجل مش بس بكلمته..الراجل برعايته لبيته وأسرته"*..ثم اختتمت بالفنانة/ كريمة مختار في دور (حكيمة الوحدة الصحية)...أما في يوم الجمعة كانت القناة الأولى تذيع فعاليات صلاة الجمعة على الهواء مباشرة..يتبعها حلقات

---

[62] ولعشاق الماضي أهديهم مجددا كلمات تلك الوصلة الغنائية: *"يا بهية خبريني وديتي ختمك فين..ده كان في الجلابية شايلاه يا بوي سنين.ده باين الختم ضاع مش عارفة أعمل ايه..راح مطرح ما راح.والختم مالنا بيه!..قومي يلا اتعلمي..علشان تتفهمي.واحنا نقولك براوة ونسقف بالكفين.يا بهية..في فصول محو الأمية..تررلم تررلم..ألفّ باءّ تااءّ ثاء.يا ولاد باه أنا ليا رجاء..عايزين نقضي على الأمية..وبدل البصمة.تكون إمضاااااء"...!!!*

مسجلة لـ(خواطر الشيخ الشعراوي)...

في ذات الوقت كانت القناة الثانية أكثر دلعا بعض الشيء..حيث كانت مصدر الأفلام الأجنبية التي عادة ما تذاع مساءً في برنامج (تاكسي السهرة)..أو برنامج (حدث بالفعل) المذاع يوم الأحد من كل أسبوع عارضا لفيلم أحداثه مستوحاة من قصة حقيقية.. وكذلك كانت تذاع عليها مباريات كرة القدم بالدوري المصري...أما الأذان للصلاة فقد كان يذاع مختصرا عن طريق معزوفة على آلة القانون لا تتعدى نصف دقيقة...وفي يوم الجمعة كان يذاع عليها برنامج (عالم الحيوان) بعد صلاة الجمعة تبعه لفترة طويلة حلقات مسلسل الكلبة (لاسي) التي حيرت المصريين بجمالها..! ثم يذاع بعد ذلك فيلما أجنبيا كثيرا ما كان هنديا لـ(أميتاب باتشان)... وفي المساء كانت أمهاتنا تتابع بشغف سلسلة من المسلسلات الأجنبية ذات المائة حلقة والخمسمائة حلقة بل والألف حلقة مثل (Beauty & The Beautifal) و(Falcon Creast) والمسلسل الياباني المأساوي (Osheen)...!

وأهم ما ميز تلك الفترة بغض النظر عن رقم القناة التلفزيونية كان وجود (مذيعة) تطل على المشاهدين بعد انتهاء كل برنامج أو مسلسل أو فيلم معلنة عن المحتوى التالي بقولها: *"سيداتي آنساتي سادتي..بعد أن شاهدنا معا برنامج عالم الحيوان ننتقل إلى فيلم المغامرات المشوقة (جبار)*

بطولة الممثل الهندي (أميتاب باتشان) حيث يجسد معاناته منذ أن فقدته عائلته..مع تمنياتي لكم أسعد الأوقات"..! وارتبطت بعض مناقشات تلك الفترة بالمذيعة وقَصة شعرها وطلتها ومن أجمل مذيعة وكذلك الشائعات حول تزوجهم عرفيا من وزير الإعلام/ صفوت الشريف..كما عاصر المصريون في تلك الفترة ظاهرة انقطاع الإرسال بعد منتصف الليل قليلا بحيث تبدو الشاشة بيضاء بها نقاط سوداء (تزغلل) عينيك إذا حاولت التحديق بها..! ولا تنتهي تلك الزغللة إلا في الصباح الباكر بوصلة قصيرة من صوت صفير متصل (تيييييت) مركبا على صورة تلفزيونية ثابتة بها خطوط رأسية مقلقمة مزركشة بالألوان...وبعد ذلك الصفير المؤلم يبدأ الإرسال الرسمي في تمام الساعة السادسة والنصف بمعزوفة تشبه المارشات العسكرية ليتبعها تلاوة بعض آيات الذكر الحكيم لمدة ربع ساعة لا يراعى فيها التنويع كثيرا...حيث يتم إعادة تكرار ثلاث أو أربع مقاطع قرآنية طوال العام..!

ومع إحساس الدولة بمعاناة المصريين من ذلك المحتوى (الناشف) بدأت في تطوير محتوى التليفزيون شيئا فشيئا...حيث ظهر برنامج صباحي يومي يبث على الهواء في الساعة السابعة إلا ربع تقريبا بعنوان (صباح الخير يا مصر) ويظل في بث برامجه حتى الساعة العاشرة تقريبا...كان ذلك البرنامج بمثابة نقلة في ترفيه المصريين المستيقظين

لتوهم من النوم...حيث كان يبدأ بإطلالة لمذيعيْن أحدهما رجل والآخر امرأة تصبّح على المصريين وتعلن عن بدء أولى فعاليات البرنامج بإذاعة أغنية (صباح الخير..صباح الورد..صباح الفل) للفنان/ محمد الحلو ننتظر انتهاء تكرارها اليومي الممل حتى نتابع ما يتم إذاعته من كارتون للأطفال لمدة عشر دقائق تقريبا كنت أحرص أنا وأخي الأوسط (علاء) على متابعته دوما أثناء ارتدائنا لزينا المدرسي.. وفور أن ينتهي الكارتون القصير يقوم البرنامج ببث أغنية (يا حلو صّبح يا حلو طُل) للفنان/ محمد قنديل..فإذا ما شعرت إدارة البرنامج بملل المشاهدين من التكرار اليومي القميء لمقطع الأغنية قاموا ببث أغنية (حاكم الزهور زي الستات) للمطرب/ محمد فوزي... وبانتهاء تلك الوصلة الغنائية تبدأ فقرة قصيرة للرياضة الصباحية تقوم بها مذيعة ثابتة كان لها لكنة (مايصة) مميزة خصوصا في نطق الأرقام..وغالبا ما كانت التمرينات تُجرى في حديقة بأحد الإطلالات على النيل... بعد ذلك يتم إذاعة فقرة (الأرض الخضرا) بطولة المذيع/ عيد حواش فيجري لقاءً على مع أحد الفلاحين حول محصول معين وأنواع الأسمدة وخلافه..وقد كان ذلك البرنامج تحديدا منافسا لمسلسل (سر الأرض) بطولة أحمد آدم — في دور القرموطي — والذي كان يذاع ظهر كل جمعة بتتره المميز (أرضك بتنده) بصوت المطربة/ أنغام... المهم بعد انتهاء فقرة الأخ/ عيد يبدأ المذيعان في استقبال ضيوفهما الذين يتنوعون ما

بين موظفين حكوميين وفنانين ورجال سياسة فيما يشبه برامج التوك شو..لكن كان بالطبع برنامجا بمذاق حكومي خالص لا مكان فيه لمعارضين سياسيين كما الآن...

ومع ظهور (صباح الخير يا مصر) بدأت البرامج النوعية الأخرى تتطور أكثر وأكثر..فأصبح هناك برامج للأطفال قبل الظهيرة عوضا عن برنامج (يا مساء الخير) من تقديم ماما/ نجوى وبُقلز..فظهر مسلسل (كابتن ماجد) الذي سيطر بحق على عقول جيل كامل من الأطفال البنين..وفي صباح الجمعة تطور برنامج (سينما الأطفال) الذي أصبح يذاع من مسرح التليفزيون داخل الكلية الحربية بدلا من إذاعته الباهتة من داخل الأستوديو في السابق...وعموما كان عرض جزء من فيلم كارتون بمثابة حلم يراودني حيث أنتظره لأيام وخاصة (توم آند جيري) — الذي كان يحلو للبعض نطقه (تومو جيري)..! كما ظهرت برامج ترفيهية من نوعية (كلام من دهب) حيث يقوم طارق علام بتوزيع جنيهات ذهبية لصاحب الإجابة الصحيحة على سؤاله الصعب...وكذلك البرامج التي تمس قضايا وهموم المواطنين مثل (حديث المدينة) الذي كان يقدمه مفيد فوزي مساء كل ثلاثاء...وظهر مجموعة من شباب المذيعين مثل جمال الشاعر — بعد أن كان ظهوره الأول في صباح الخير يا مصر — ليقدم برامج حوارية تكشف قضايا خطيرة مثل (عبدة الشيطان) وخلافه... وكذلك كان جلال

علام صاحب برنامج (مواقف وطرائف) مبهرا للشباب بعرضه الأسبوعي لفيديوهات تحتوي طرائف مضحكة أو لقطات خطيرة تم تجميعها من تلفزيونات أوروبية...وحتى شيخ الأزهر الراحل/ محمد سيد طنطاوي كان له برنامج يومي قصير بعنوان (حديث الروح) ظل يقدمه حتى توفاه الله في عام 2010...وفي أوقات الأعياد كانت تعرض أفلام العرض الأول – بعد أن تكون قد عرضت في السينما قبل ذلك بعامين تقريبا! – وكذلك بعض المسرحيات...

ورغم تطور القناتين الأولى والثانية إلا أن القناة الثالثة كانت أشبه بقنوات (المخلوقات الفضائية)..! فكانت رتيبة الإيقاع..فقيرة المحتوى..وخاصة على ما كانت تحويه من برامج غريبة مثل فقرة (التنويه عن المفقودين) بموسيقاها الكئيبة التي لحنها أحمد الحجار أخو المطرب/ علي الحجار... وبهذه المناسبة انتشرت مقارنة دائمة في تلك الآونة بين علي الحجار وأخيه أحمد حول أيهما أفضل صوتا خاصةً إذا ما أذيع الدويتو المسرحي بينهما لأغنية (يا ريت تعود)...

وربما كان شهر رمضان هو الشهر الوحيد الذي لم يختلف فيه مضمون التلفزيون بشكل عام منذ الثمانينات... فالتركيبة هي هي تقريبا...حيث استطاع هذا الشهر أن يحافظ على ذاتيته من خلال فوازير (ألف ليلة وليلة) بمواسمها المتعددة التي شهد إحداها ظهور شخصية (الأشكيف)

التي أخافتنا كثيرا...ثم (فوازير فطوطة) ومرورا بـ(عمو فؤاد) وانتهاءً بـ(مسلسليكو) مؤخرا...كما تنوعت البرامج الرمضانية ما بين (بدون كلام) إلى (الكاميرا الخافية) بإصدارات متعددة كان أبرزها "زكية زكريا" — والتي تحولت إلى فيلم (زكيا زكريا والعصابة المفترية) بعد ذلك من فرط نجاح الشخصية التي آداها المبدع/ إبراهيم نصر... وكذلك مسلسلات الأطفال التي كانت مسلسلات (عرائس) افتتحها (بوجي وطمطم)..فلما دخلت المسلسلات (الكارتونية) المضمار تسلم مسلسل (سندباد) الراية ليسلمها بدوره لـ(بكار) — الذي استسلم بعد وفاة مبتكرته المخرجة/ منى أبو النصر — وصولا إلى قصص القرآن الكارتونية بصوت الفنان/ يحيى الفخراني...وحتى برامج الطبخ التي تأتي نهارا لكي تُسيل لعاب الصائمين لم يطرأ عليها تغيير إلا باختفاء (منى عامر) ومجيء (الشيف شربيني وابنه)..! وكذلك إعصار المسلسلات الذي يجتاح الشاشة الفضية على وجه التتابع...حتى نقل شعائر صلاة التراويح في ليلة السابع العشرين كان ومازال تراثا متوارثا موسما بعد آخر..فضلا عن بث آيات للذكر الحكيم قبل موعد الإفطار بربع ساعة تقريبا حتى يدوي (مدفع الإفطار) الذي لم يبرح مكانه في خريطة القنوات المصرية الرسمية فضلا عن الفضائية..!

ومع مرور الوقت كان قد ظهر التلفزيون ذو (الريموت كونترول)

فأصبح به عدد كبير من القنوات الجاهزة للضبط رغم أن القنـوات الأرضـية كانت لا تتعدى الإثني عشر قناة بعد إضافة القنـاة التاسـعة (Nile TV) الناطقة بالإنجليزية والفرنسية – والتي أبهر مذيعوها المصريين بلكنـتهم السليمة – وكذلك إضافة قنوات النيل المتخصصة مع إطلاق القمر الـصناعي (نايل سات)... كما ظهرت قناة تعرف بـ(قنـاة المعلومـات) والـتي بـدأت تحل تدريجيا محـل (مذيعـة الخريطـة الإذاعيـة) حتـى اختفـى الاثنـان معا..!

وكـان طبيعيـا مـع فقـر المحتـوى التلفزيـوني أن توجـد (مكمـلات) لـه...فكـان لا يخلـو بيـت أسـرة مـن الطبقـة المتوسـطة مـن جهـاز (الفيـديو)...والـذي سـهل للمـصريين مـشاهدة أفـلام بعينهـا دون التقيـد بالخريطة الإذاعية الخاصة بالتلفزيون... فبعد أن ظهر جهـاز (الأتـاري) الأسود ذو المقابض المحلاه بقطع من اللون الأحمر في أواخر الثمانينـات – والذي كان يعمل بأشرطة ألعاب يتم شرائها لتشغيله بعد توصيله بـشاشة التلفزيون كما الفيـديو – ظهـر (الفـاميلي جـيم) ذو اللـونين الأبـيض مع الأحمر أو الأزرق في النصف الأول مـن التـسعينات والـذي اسـتطاع العمـل بدون أشرطة حيث كانت العديد مـن الألعـاب مخزنـة في ذاكرتـه.. إلى أن ظهرت أجهزة أخرى أغلى ثمنا مثل (سيجا) و(نينتاندو) والتي غالبـا مـا كان يشتريها أبناء الطبقات الميسورة...

والآن تطور جهاز التلفزيون من مجرد كونه يعمل بـ(الريموت كونترول) إلى تفاصيل أخرى مثل حجمه ونقاء صوته وصورته خصوصا مع انتشار أجهزة الريسيفر – أو ما كان يطلق عليه قديما (الدِش) – مع ما تبعه من قنوات فضائية لا حصر لها...فظهرت التلفزيونات مدمجة الشاشة فيما يعرف بالـ(LCD)..ثم تبعها نوعٌ أكثر نقاءً في الرؤية بخاصية الـ(LED)...وصولا إلى الـ(HD)...وأصبح بإمكان التلفزيون الاتصال بالإنترنت..فضلا عن توفر خاصية الاتصال بالـ(USB)...وبعد أن كانت أجهزة الحاسب الآلي (الكمبيوتر) قد سحبت البساط لفترةٍ ما من الأجهزة التي يتم توصليها بالتلفزيون – مثل الفيديو والأتاري وكمبيوتر صخر وحتى الـ(DVD) – عاد التلفزيون لمكانته من جديد نظرا لكِبَر حجم شاشته فظرت أجهزة ألعاب مثل الـ(X Box) التي يتم توصيلها بالتلفزيون...

....

....

....

كفاية كده كلام في الماضي...وعلى رأي عمرو دياب عام **1992**: *"ما بلاش نتكلم في الماضي..ده الماضي ده كان كله جراح"*....يووووه..حتى ديه كمان من الماضي؟!

"طيبير..طيبير..طيبيير يا أوتوموبيييل"[63]

الأربعاء 25 مارس 2015

تعد السيارات من الأدوات الحياتية التي تختلف النظرة إليها من مجتمع إلى آخر... وحتى في المجتمع الخليجي ذاته تختلف ذات النظرة من بلد إلى آخر تجاه وسيلة المواصلات تلك...

وتتفق دول الخليج على أن تكون جهة سير سياراتها في الناحية اليمنى..بمعنى أنه في حالة ازدواج الطريق تكون السيارات دائما مقودة في الاتجاه الأيمن من الاتجاهين...وذلك على عكس الدول التي تأثرت بالاستعمار الإنجليزي لفترة طويلة – مثل الهند وجنوب أفريقيا – حيث تكون جهة السير هي اليسار دائما فتكون السيارة القادمة في المقابل بالناحية اليمنى من الطريق..! ولذلك النظام الإنجليزي سبب تاريخي طريف ألا وهو أن تلك العادة متوارثة منذ القرون الوسطى عندما كان الفرسان الإنجليز يمتطون جيادهم متجولين بين المقاطعات..ولما كانت تلك العصور مشهورة بانتشار الأخطار المختلفة أثناء ذلك التجول مثل ملاقاة بعض قاطعي الطرق وخلافه استلزم ذلك أن يكون يمين الفارس به متسع

---

[63] أغنية "يا أوتوموبيل" من غناء المطربة والممثلة اللبنانية/ نور الهدى - فيلم حكم الزمان – إنتاج 1953

لجذب سيفه من غمده والتقاتل إن لزم الأمر..بينما يكون يساره ملاصقا لحائط أو سور الطريق كنوعٍ من الأمان فلا يكون مكشوفا من الناحيتين..!
ومرت السنوات واختفت الجياد وظهرت السيارات..ومع ذلك لم تختف تلك العادة البالية من سلوك مواطني تلك الدول حتى الآن..!

وإذا عدنا لدول الخليج نجد أن السعوديون يقدسون (السيارة) كثيرا...هم يحبون استخدام سياراتهم جدا ويفضلونها على ما عداها من الوسائل الأخرى الأسهل مثل الطيران...حتى أنني سمعت من أحد البحرينيين الثقات أنه قد رأى — أثناء زيارته لدولة تركيا — إحدى السيارات الحاملة للوحات سعودية يقودها شخص يبدو عليه قطعه لتلك المسافة مخيرا..! وكذلك الحال بالنسبة للكويتيين لكونهم أكثر شعوب الخليج تقاربا في الثقافة والعادات والتقاليد مع المجتمع السعودي...

أما بالنسبة لقطر والإمارات فبرغم ميلهم إلى البذخ أيضا فيما يركبوه من سيارات إلا أنهم أخف وطأة مما عليه الوضع في السعودية والكويت...

وبالنسبة للبحرين فالأمر مختلف عما سبق إلى حد بعيد...حيث أن الشعب البحريني بطبيعته لا يميل نحو البذخ خاصة مع كونه أقل شعوب الخليج ثراءً...وهو ما انعكس بالإيجاب على ما يركبه البحرينيون من سيارات في البحرين...فهنا تجد جميع أنواع السيارات من أدناها إلى أعلاها دون اهتمام كبير بطرازها...كما أن الأوروبيون المقيمين في البحرين

لا يميلون – بطبيعتهم – أيضا نحو البـذخ فيمـا يركبـون..هـم عمليـون في ذلك الأمر إلى حد بعيد...

ومع ذلك يتمسك البحرينيون بأمرين أيما تمسُّك في سياراتهم...أولهما هو أنه قلما تجد بحرينيا يقود سيارته وهي متسخة..فالبحريني رغم عدم ميله نحو البذخ في سيارته إلا إنه يهتم كثيرا بنظافتها... أما الأمر الثاني فهو حب عموم البحرينيين – لدرجـة العـشق – للـسيارات اليابانيـة..! فالسيارات اليابانية هي المسيطر على شوارع البحرين بلا منازع..حتـى أن ذلك الأمر يكاد يكون معيارا لمعرفة ما إذا كان راكـب الـسيارة بحرينيـا أم أجنبيا..! ومع ذلك فهناك من الأجانب مـن يقـود سيارات يابانيـة أيـضا فضلا عن اليابانيين المقيمين في البحـرين..!

ولما استطلعت الأمر وجدت أن البحرينيين يفضلون السيارات اليابانيـة لِما عرف عنها من أن (تكييفها تلاجة) – كما يصفه المصريون..الأمر الذي أدى بدوره إلى أن تكون الـسيارات اليابانيـة هـي الأسـهل بيعـا..ومـن ثـم الأكثر احتفاظا بقيمتها...

هناك أمر آخر غريب لاحظته هنا في البحرين..ألا وهو أن اللون الأكثر انتشارا بين سيارات البحرين هو (الأبيض)..وذلك رغم كونـه ذات اللـون الخاص بأحد أشهر شركات (التاكـسي) في البحـرين...وذلـك علـى عكـس المصريين الذين يميلون عادة إلى تجنب اللون الأبيض تحاشيا للتـشابه مـع

لون (التاكسي) في مصر..!

وفي ظني أن ادعاء "تكيفها تلاجة" الشائع ما هو أسطورة من أساطير المجتمعات العربية التي تنسجها من وحي خيالها..وكأن (التكييف) في السيارات غير اليابانية عبارة عن (مروحة) أو (هَوَّاية) مثلا..!

وأيًا ما كان الأمر فأساطير البحرينيين أهون كثيرا من مثيلاتها في بلد العجايب (مصر)..! فمع مرور الوقت بدأت أدرك مدى الإبداع الخيالي في المصريين فيما يتعلق بسياراتهم...ومنها عادة المصريين في وضع (كسوة) للسيارة الجديدة بزعم أن عدم وضعها "ينزّل سعر العربية"..وكأن المشترى القادم للسيارة المستعملة سوف يستعمل (الكسوة الأصلية) المخفية..فتجده أيضا يضع كسوة جديدة فوق الكسوة الأصلية التي لم تستخدم قط بذات الدعوى أيضا بأن "سعر العربية هاينزل"..! الأمر الذي يجعل (الكسوة الأصلية) لا يمسسها بشر حتى يتم تكهين السيارة بعد عشرات السنين..!!

ومن أساطير المصريين أيضا أن "أخْد اللَّف على غيار يبوّظ الكبالن"...وقد اكتشفت زيف هذه الأسطورة حينما تعاقدت مع أحد مدربي القيادة الرسميين في البحرين – استعدادا لاختبار القيادة اللازم لاستخراج رخصة قيادة – ففوجئت أن "أخذ اللف على المور" يعد (خطأ) يؤثر على تقييم المتحن قد يؤدي تكراره إلى الرسوب كليةً في الاختبار..!

كما لا أعلم حتى الآن لماذا يؤثر على سعر السيارة في مصر كون دهانها (فابريقة) أم (مرشوش)...مع أن (المرشوش) ما هو إلا تجديد لحالة السيارة التي يكون دهانها (الفابريقة) قد فقد رونقه غالبا من أثر العوامل الجوية..!

وكذلك من الأساطير المصرية التي لن تجدها في البحرين اختراع (الإنذار)...إنه ذلك الاختراع الذي لا أظن أنك قد تجده في بلد غير مصر رغم فشله فشلا ذريعا في الحد من السرقات حسب تجارب الكثيرين..ليتحول إلى مجرد أداة للإزعاج ولا سيما إذا كان صاحب السيارة قد ضبط قياسات الجهاز على إطلاق دويّها بأقل تلامس كأن تقف على السيارة (ذبابة) مثلا..! ومن التجارب التي عايشتها لذلك (الفشل) المسمى بـ(جهاز الإنذار) ما حدث لأبناء خالتي الذين جاءوا من الإسكندرية إلى منطقة المقطم بالقاهرة لقضاء إجازة إحدى الأعياد في مطلع الألفية الثالثة وتناولوا وجبة الغداء هناك مستقلين سيارة (لادا) مثبت بها أحدث أجهزة الإنذار في ذلك الوقت..ومن تعاسة حظهم أن (شنطة العربية) كانت ملأى بمتعلقاتهم...وما إن انتهوا من أكل (المحمّر والمشمّر) حتى فوجئوا بسرقة محتويات (الشنطة) بالكامل دون أن ينبس جهاز الإنذار ببنت شفة..! أما الآن وبعد أن استشرى الانفلات الأمني لم يعد سارقي السيارات يحتاجون في الأغلب إلى (إبطال مفعول) جهاز

الإنذار كما حدث في الغالب مع أبناء خالتي..فتلك صارت (موضة قديمة)! كل ما عليهم الآن أن يكون معهم سلاح يضمن لهم التفوق في القوة ولو قاموا بسرقتهم في وضح النهار..!

ومن أسطورة (جهاز الإنذار) إلى أسطورة (المصحف)..وأعني عادة وضع المصحف خلف (الكنبة) أو داخل (التابلوه)..وذلك للتبرك به دون أن يقربه بشر بالقراءة إلا من رحم ربي..! وكأن الله (جل وعلا) قد أنزل القرآن لنزين به سياراتنا وحوائط منازلنا فيكون حجابا حاميا من كل شر بغض النظر عن كونه مزينا لقلوبنا وألسنتنا من عدمه..! بل هو {كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب[64]}...

يا رب تُب علينا من أساطير الأولين...!!

[64] سورة ص: 29

"شيبة الحمد بن عمرو"

الأربعاء 1 إبريل 2015

أثناء نظري لنفسي في المرآة منذ عدة أيام فوجئت أخيرا بـ(الشعرة البيضاء) الأولى في رأسي... يااه..أهكذا مرت السنون؟! وقتها..لم يكن بداخلي فرح بما هو جديد..بل شعرت للحظة أنه حزن على شباب فقيد..!

الآن باغتتني قصيدة للإمام الشافعي كنت أقرأها ولا أشعر بمكنونها كما توحي إليّ الآن..تقول:

خَبَت نار نفسي باشتعال مفارقي* وأظلم ليلي إذ أضاء شِهابُها

أيا بومةً قد عششتْ فوق هامتي على الرغم مني حين طار غُرابُها**

رأيتِ خراب العُمرِ مني فَزُرْتني ومأواك من كل الديار خرابها

أأنعمُ عيشاً بعدما حل عارضي طلائعُ شيبٍ ليس يغني خِضابُها؟

وعِزةُ عمرِ المرء قبل مشيبهِ وقد فنيت نفسٌ تولى شبابها

إذا اصفرَّ لونُ المرءِ وابيضَّ شعرُهُ تنغص من أيامه مستَطَابُها

فدعْ عنك سوءات الأمور فإنها حرامٌ على نفس التقي ارتكابُها

---

* يقصد ظهور الشعر الأبيض في مفارق شعر رأسه.

** قصد الشاعر بالبومة (اللون الأبيض)..وبالغراب (اللون الأسود).

وأدِ زكاة الجاه واعلم بأنها	كمثل زكاة المال تم نِصابُها
وأحسن إلى الأحرار تملك رقابهم	فخير تجارات الكرام اكتسابها
ولا تمشين في مَنكِب الأرض فاخراً	فعما قليل يحتويك تُرابها
ومن يذق الدنيا فإني طَعمْتُها	وسيق إلينا عَذْبُها وعذابها
فلم أرها إلا غُروراً وباطلاً كما	لاح في ظهر الفلاة*** سَرابُها
وما هي إلا جِيفةٌ مستحيلة****	عليها كلابٌ هَمُّهن اجتِذابها
فإن تجتنبها كنت سِلما لأهلها	وإن تجتذبها نازعتك كلابها
فطوبى لنفسٍ أُودعت قعر دارها	مُغَلَّقَةَ الأبوابِ مُرخىً حجابها

وبعد تلك الوصلة الكئيبة عن (شيب الشعر) تذكرت قصة مرتبطة بعنوان خواطري اليوم.."شيبة الحمد بن عمرو"..!

و(شيبة بن عمرو) هو ذاته (عبد المطلب بن هاشم) جد رسول الله (صلى)...وأبوه (عمرو) هو هو (هاشم بن عبد مناف)..! ويرجع ذلك إلى أن عرب الجزيرة كانوا بطبيعتهم ذوي عقلية عملية (براجماتية)[65] بعيدين عن الأفكار المعنوية التجريدية..الأمر الذي جعلهم أناسا في عمومهم (بصريين) يميلون إلى إدراك الأمور إداركا بصريا..وهو ما انعكس

*** أيّ الصحراء

**** لفظ "مستحيلة" هنا بمعنى متحولة ومتغيرة في هيئتها.. فهي مشتقة من (التحوّل).

[65] لمزيد من التفاصيل حول هذا الأمر يرجى مراجعة كتاب (اللاهوت العربي وأصول العنف الديني) – يوسف زيدان – دار الشروق – ط 2010.

على لغتهم العربية بدرجة كبيرة..!

فـ(عمرو بن عبد مناف) قد سماه العرب (هاشم) لأن الأخبار التي تناقلها المؤرخون عنه تؤكد أنه كان ميسور الحال كريما..حتى لما ضربت المجاعة أنحاء قريش أخذ يطعم القوم و"يهشم" كسرات الخبز بنفسه لعمل الثريد...ومن وقتها كناه العرب بـ(هاشم)...وانزوى اسمه تماما حتى أصبح نسله يعرفون بـ(الهاشميين)..!

أما (شيبة الحمد بن عمرو "هاشم") فقد ولدته أمه (سلمى بنت عمرو)..وهي إحدى أعيان قبيلة (بني النجار) بيثرب "المدينة المنورة"...وكان زواجها من (عمرو بن عبد مناف) أسطوريا أخذ الأقوام يتحاكون عنه كثيرا مثل ما يطلق عليه الآن (زواج المشاهير)..! المهم أن (شيبة) قد سمي كذلك لأنه حينما وُلد فوجئ الناس بأن شعره (أبيض)..وقتئذ سموه (شيبة الحمد)..! ولم يكد يمر وقت قليل حتى توفي أبوه (عمرو "هاشم") بمدينة غزة أثناء مشاركته في رحلة الصيف...حينئذ قررت (سلمى[66]) إرسال ابنها – بعد أن كانت قد فطمته – إلى عمه (المطلب بن عبد مناف) بمكة ليشتد عوده ويتعلم الفروسية والقتال وخلافه...فلما جاء (المطلب) ليأخذه أركبه خلفه على بعيره راجعا إلى

---

[66] ذكر المؤرخون أن من بين شروط (سلمى بنت عمرو) للزواج من (عمرو بن عبد مناف) هو أن تبقى في يثرب لمباشرة تجارتها حيث كانت من كبريات سيدات الأعمال العربية..!

مكة...ولم يكد يراه سادة قريش هكذا حتى قالوا "هذا عبد المطلب"[67]..ومنذ ذلك الوقت و(شيبة) يطلق عليه (عبد المطلب) حتى اختفى الاسم الأول تماما..!

ويعد (عبد المطلب بن هاشم) من الشخصيات المثيرة التي أثرت مجتمعها بدرجة لافتة للنظر حتى يخيل لك أن ذلك الرجل لم يأخذ حظه من التقدير الكافي في كتب التاريخ..!

فـ(عبد المطلب) هو الذي أعاد اكتشاف بئر زمزم بعد أن كان أجداده قد دفنوها[68] إثر إحدى الغزوات وفقدت قريش أثرها من ذلك الحين...ولذلك قصة شهيرة رواها المؤرخون نقلا عن علي بن أبي طالب (رضي) مفادها أن (عبد المطلب) جاءه هاتف في المنام على أربع ليال يخبره بأن يحفر *"طيبة".."برة".."المضنونة".."زمزم".. حيث لا تنزف أبدا ولا تذم. تسقي الحجيج الأعظم. عند نقرة الغراب الاعصم. عند قرية النمل"*...فلما ذهب هو وابنه الوحيد وقتها (الحارث) لحفر البئر ووجدوا ما وجدوا من ماء وصنوف شتى من الذهب والفضة المدفونة قبلا هاجت وماجت بطون قريش قائلين لـ(عبد المطلب): *"إنها بئر أبينا اسماعيل. وإن*

---

[67] أي أن المطلب قد اشترى هذا العبد الصغير ليخدمه.

[68] يحكى أن مسألة (دفن الآبار) هي عادة كان يقوم بها قبائل العرب حين يغير عليهم الغزاة...فما كان من القبيلة المغزية إلا أن تقوم بجمع الذهب والفضة من البيوت كافة وتقوم بدفنها في قاع بئر المياه وتطبيب (دفن) البئر حتى لا يستفيذ الغزاة من القرية المغزية ويضطروا للرحيل بعد فترة من وقع الفقر والعطش..!

لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها"..فلما رفض (عبد المطلب) إشراكهم في ملكية البئر اتفقوا على اللجوء للتحكيم عند كاهنة شهيرة من بني سعد هذيم بأطراف الشام...وأثناء رحلته هو ومخاصميه في الصحراء الفاصلة بين الحجاز والشام ضربتهم عاصفة رملية حتى ضلوا الطريق ونفذ الماء منهم جميعا..ولما رفضت بعض القوافل العابرة سقايتهم بالماء أدرك (عبد المطلب) ومن معه أنهم هالكون لا محالة..فبدأوا يحفرون لأنفسهم قبورا حتى إذا مات أحدهم دفعه صحبه إلى الحفرة وأكرموه بدفنه بدلا من أن تأكل جثته السباع..وفعلا حفروا جميعا قبورهم وسكنوا بداخلها في انتظار الموت..! فما كان من (عبد المطلب) بمروءته وفروسيته إلا أن أبى انتظار الموت قائلا: *"والله إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لا نضرب في الارض ولا نبتغي لانفسنا لعجز..فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد.. ارتحلوا"* وفعلا بدأ القوم في تجهيز رحالهم للانطلاق في أي اتجاه كان حتى تقدم (عبدالمطلب) إلى راحلته فركبها..فلم يكد يتحرك بها حتى انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب! فكبر (عبدالمطلب) وكبر أصحابه..ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملأوا أسقيتهم..حينها قال مخاصميه: *"قد – والله – قضى لك علينا يا عبدالمطلب..والله لا نخاصمك في زمزم أبدا..إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم! فارجع إلى سقايتك راشدا"* فرجعوا جميعا إلى مكة وصرفوا النظر

عن الاحتكام إلى الكاهنة..!

وكذلك من ولاية الله ورعايته لـ(عبد المطلب) افتدائه (سبحانه وتعالى) لذبح ابنه (عبد الله) – والد النبي (صلى) – بمائة من الإبل...بعد أن كان قد نذر لله أن يذبح أحد أبنائه قربانا لله إذا رزق بعشرة أولاد...فلما جاء الابن العاشر – عبد الله – قام بعمل (قُرعة) عند الكعبة فكان الذبح بين ابنائه من نصيب (عبد الله) رغم كونه أحب ابنائه إلى نفسه...فعارضته قريش وقتها حتى لا تصير سنّة بين الناس...واقترح عليه القوم أن يفده بمائة من الإبل ويقترع مرة آخرى...فلما اقترع خرجت القداح على الإبل فكبّر الناس..وكرر القداح مرتين فخرجت أيضا على الإبل...فنحرها..! ومنذ ذلك الحين صارت الدية في الإبل – حسبما أكدها الإسلام – حسب سنة عبد المطلب...!

ومما وافق الإسلامُ (عبدَ المطلب) فيه: حد السرقة...فـ(عبد المطلب) هو أول من سن حد السرقة بقطع الأيدي..! وفي ذلك إشارة إلى أن الإسلام لم يأت ليهدم كل ما قبله..وشريعته كأي قانون إنما تهدف لأن تكون مرآة لحاجات المجتمع وإشباعا لمتطلباته بما يوافق فطرة الناس...

كما كان لـ(عبد المطلب) يقينا صادقا في الله تجلى حين هاجم (أبرهة) الحبشي بجيشه مكة محاولا هدم الكعبة...ساعتها لما فرت قريش إلى شعاب الجبال هربا من جيش (أبرهة) النظامي المخيف كان هو أول

الباقين في الحرم رافضا الهروب...فلما دخل (أبرهة) الحرم المكي استولى على إبل (عبد المطلب)..حينئذ ذهب إليه (عبد المطلب) طالبا رد إبله إليه..فتعجب (أبرهة) واستنكر منه سؤاله برد الإبل في حين لم يطلب منه الانصراف عن هدم الكعبة..فقال (عبد المطلب) قولته الشهيرة: *"أنا رب هذه الإبل...أما هذا البيت فله رب يحميه"*! {ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل، ألم يجعل كيدهم في تضليل، وأرسل عليهم طيرا أبابيل، ترميهم بحجارةٍ من سجيل، فجعلهم كعصفٍ مأكول[69]}...

....

....

....

رحم الله (عبد المطلب بن هاشم) وجعله من الذين تاب الله عليهم من (أهل الفترة[70])..قال عز مِن قائل فيهم {وآخرون مُرجَوْن لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم[71]}...

---

[69] سورة الفيل.

[70] يقصد بـ(أهل الفترة) في العقيدة الإسلامية من لم ينزل إليهم رسول أو نبي ولم يكونوا يتبعون إحدى الرسالات السماوية..ومنهم عرب قريش الذين لم يصلهم إنجيل المسيح (عليه السلام) في معرض الدعوة..وفي ذات الوقت لم يلحقوا عصر النبوة المحمدية.

[71] سورة التوبة : 106

"إنت طلعت إكدِه عشان أبوك كان إكده... وأنا طلعت إكدِه عشان أبوي كان إكده"

الجمعة 3 إبريل 2015

دفعتني خواطري السابقة بشأن (عبد المطلب بن هاشم) وما تضمنته من مفهوم (أهل الفترة) إلى أفكار مرتبطة بهذا المفهوم في عصرنا الحاضر...

فمشكلة العالم أجمع أن الله (جل وعلا) كان من سننه أن يخلق الناس مختلفين في الاعتقاد {ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة[72]}..و{ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك...[73]}... كما كان من سننه أن يتواصل مع عباده عن طريق رسل يوصلون مراد الإله الخالق لمخلوقاته..{وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون[74]}..

ولما كان الأمر كذلك ثبت لدى كثير من خلقه هذا التواصل – مع اختلاف أزمانهم وأمكنتهم وأجناسهم – بعدة صور...فمنهم من آمن أن التواصل انتهى بالتوراة..ومنهم من رأى انتهائه بالإنجيل..ومنهم من

[72] سورة النحل : 93
[73] سورة هود : 118 – 119
[74] سورة الذاريات : 56

رأي ختامــه بــالقرآن..كــذلك رأى الــبعض انتهائــه بــ(الكتــاب الأقدس[75])...وكذلك سبقهم وتليهم أقوام رأوْا تلك الخاتميـة في البوذيـة والهندوسية والزرادشتية...إلخ

وعنوان خواطري اليوم يؤسس لحقيقة لا مناص من إنكارها..ألا وهـي أن ميلاد أحدنا على اعتقادٍ ما يجعله – عادةً – ملازما لذلك الاعتقاد طوال حياته..بل ويورثه لنسله من بعده... فقد كـان ذلـك العنـوان حـوارا بـين (منصور الحفني "أحمد السقا") و(طارق بك "محمود عبد المغني") في مقطع من فيلم (الجزيرة1) حين أشار (منـصور) بـصدق إلى أن تـاجر المخـدرات أصبح كذلك لأن والده كان تاجرا للمخدرات..والضابط أصبح كذلك لأن والده كان ضابطا..!

وعلى مر العصور كانت المشكلة دائما أن كل طائفة ترى في معتقدها أنه (الأفضل) وأن سواهم (في النار)...بل وأخذت كل طائفة – خاصة أصحاب الرسـالات الـسماوية الثلاثـة – تفـسر نـصوصها تفـسيرا يلغـي الآخـر ويقصيه...وربما شـاءت حكمـة الله أن تـساعد النـصوص ذاتهـا علـى ذلـك التباين في الفهم والتفسير بحيث تُخرج من كل متلقي أفضل أو ربما أسوأ ما بداخله..!

وربمـا مـا زاد مـن الطـين بلـة اسـتخدام (الـسُلطة) منـذ قـديم الأزل

---

[75] ذلك الكتاب الذي يؤمن به البهائية.

لـ(الدين) ستارا للبقاء على كرسي الحكم أطول فـترة ممكنـة...فباسـتدعاء الدين والمحاربة باسمه تتجيش الجيوش والمشاعر في معركـة الـدفاع عـن الإله..!

فلما تدبرت الأمر وجدت أن العودة إلى الله (خالق كل شيء) هو المخرج من ذلك المشكل الذي كان ومازال يهدد بفناء بعض البشرية على يد البعض بدافع التدين...حيث أن مفهوم الإله بداخل كل إنسان يستلزم أن تكون له مشتملات وصـفات حـسب ظـن كـل فـرد بخالقـه..."أنـا عنـد ظـن عبـدي بي..فليظن بي ما شاء[76]"...

ولا يتأتي الظن السليم برب العباد إلا إذا وضـعت نـصوصه – أيـا كـان مصدرها – جنبا إلى جنب لتكون وحـدة واحـدة...فـلا يؤخـذ بـبعضٍ دون الآخر كمن رأى أن الله (جبار) وتناسى أنه (عدل)..أو أنـه (مـذلّ) ولـيس (معزّ) كذلك...فيبقى أن يضع العبد كل صفة في مكانها حسبما يظـن بربـه من تنزيه عن أي نقص و علوٍ على أي شأن...

لـذا جـال بخـاطري العديـد مـن الأسـئلة الـتي لا أملـك لهـا جوابـا مؤكدا..تاركا إياها لظني بالله حسبما يتكامل في فؤادي:

1) تأسيسا على أن دينا واحدا – لنقُل (X) – في عصرنا هذا كان هو

---

[76] حديث قدسي أورده ابن حبان في صحيحه عن رسول الله (صلى) على لسان رب العزة.

مراد الله الصحيح الذي كان ينبغي على الجميع اتباعه..هل سيدخل متبعوه بالميلاد الجنة بينما يحرم منها من وُلد ووجد نفسه على دين آخر؟!

2) ما ذنب من وُلد ولم يجد نفسه متبعا للدين (X)..مع العلم أن طبيعة الأمور وإدراكها تصعّب كثيرا على من نشأ على دين واستأنس تفاصيله أن يبرحه إلى دين آخر؟ ألم يصف المولى عز وجل تلك الحالة الفطرية بقوله تعالى {..كذلك زينا لكل أمة عملهم..}[77]؟

3) ألن يحاسب الإله العادل البشر خلقه بما بذلوه من مجهود من أجل الوصول إليه (تعالى) وعبادته بصرف النظر عن توفيقهم من عدمه في الوصول إلى رسالته (X)؟

4) ألا نستطيع أن ندرك أن أتْباع كل ملة لهم ملاحظات سلبية على ما سواها من ملل أخرى؟

5) أكانت هناك دعاية سلبية للرسالات السماوية أكبر من داعش والحملات الصليبية وإسرائيل؟ ألم يستند هؤلاء وأولئك لأفعالهم – التي تعافها النفس البشرية بالفطرة – إلى مزاعم دينية؟

في الحقيقة لقد دفعني حسن ظني بالله إلى الظن بأن حساب القيامة (الدينونة) سيكون مختلفا عما يبسطه كثيرٌ من الخلق...فالجنة في ظني ليست (نادي) من أشترك له أبواه فيه يدخل..وإلا فلا..!

---

[77] سورة الأنعام: 108

ظني بالله يشعرني بأن ما سيحدث مع (عبد المطلب بن هاشم) سيحدث قطعا مع كل من لم يتبع الرسالة (X) اقتناعا منه أنه على الرسالة الأصوب...سيحدث مع كل من لم يعاند ويترك الدين (X) لهوى... سيحدث مع كل من صلى وصام وتصدق وفعل الخيرات ظانا بأنه على صوابٍ بإخلاص...

وأعتقد أننا لو دققنا النظر في نصوص الرسالات الثلاثة – مع ما بها من تباين – سنجد حتما أن تلك هي شِيَم الإله الذي لا معبود سواه...!

"سعيكم مشكور"

الاثنين 13 إبريل 2015

نظرا لوفاة والد أحد زملائي البحرينيين بالعمل – قمت بالذهاب إلى مكان تلقي العزاء..وقد كانت تجربة مختلفة بحق..!

فالملاحظ أن البحرينيين السنة يقيمون العزاء في قاعات ملحقة بالمساجد كما الوضع في مصر..أما إخوانهم الشيعة فيقيمونه فيما يسمى بالـ(حسينيات) وهي مبانٍ مخصصة عندهم للعزاء والأفراح وتلقي دروس العلوم الشرعية وفيها تقام الطقوس المرتبطة بذلك...

ويبقى البحرينيون السنة في تلكم القاعة لمدة **3** أيام متصلة بحيث يظل أهل الميت جالسين في قاعة العزاء من الصباح حتى الظهيرة..ثم يعاودون الحضور من بعد صلاة العصر وحتى صلاة المغرب..وذلك لمدة **3** أيام كاملة..! وفي حين تدوي تلاوة قارئ القرآن الكريم في مصر بين أسماع الحضور لم أجد لذلك الأمر أثرا في البحرين...فقاعة العزاء هنا تخلو من أية تلاوة للقرآن.. هي مجرد مكان لجلوس المعزين لتبادل أطراف الحديث بصوت مسموع في مختلف الأمور ولا مانع من التبسم أو حتى الضحك..! وبينما المعزون جلوس يطوف عليهم (قهوجي) يملئ لهم فناجين القهوة العربية فضلا عن الحلوى أحيانا..! فإذا ما اكتفيت وقررت أن تعطي

الفنجان بشكل طبيعي للقهوجي ستفاجأ بأنه قام بملئه لك مرة أخرى وهكذا دواليك..ولن تستطيع التخلص من (إعادة ملء) الفنجان إلا إذا قمت بحركة أشبه بـ(كلمة السر)..ألا وهي القيام بـ(هز الفنجان) ليفهم القهوجي أنك اكتفيت بذلك القدر..!

أما عن الشيعة فيختلف الأمر بعض الشيء...حيث تختلف مدة العزاء بحسب كون المعزين رجال أو نساء...ففي حين تكون مدة اجتماع الرجال للعزاء **3** أيام يجتمع النساء لمدة **4** أيام...كما أن عزائهم يكون موزعا على اليوم بأكمله من بعد صلاة الصبح مرورا بالعصر وحتى العِشائين (المغرب والعشاء) وإن كان اجتماعهم يرتبط أكثر بأوقات الصلاة حيث يتركز قبل وبعد الصلوات الخمس مع ملاحظة أن عموم الشيعة يجمعون صلاة الظهر والعصر معا وكذلك المغرب والعشاء معا...بينما تكون الأوقات البينية بمثابة (استراحة) لأهل المتوفى..ولكنها راحة لا تخلو من مهام أخرى..! ذلك لأن الشيعة البحرينين يقومون في فترات (الاستراحة) تلك بإعداد الغداء والعشاء لضيوفهم المعزين..فضلا عن الحلوى! نعم..هم يتشابهون في ذلك لدرجة كبيرة مع الريف المصري حتى الآن حيث درج أهل الميت على إعداد صنوفٍ شتى من الطعام كنوع من الضيافة للمعزين خاصة القادمين من خارج القرية.. ويعد التخلي عن ذلك عيبا في حق أهل الميت رغم ما يعانوه من ألم فراق فقيدهم..!

كما يتقارب الشيعة الإمامية كثيرا مع المصريين في طقوس عزائهم الأخرى في أن كليهما يشهد تلاوة للقرآن الكريم مصحوبا بجو من الحزن والشجن – على عكس ما تعرضت له آنفا بالنسبة لسُنّة الخليج..كما يتشابهون في توزيع (ختمات) القرآن المطبوعة (على روح المرحوم فلان)...ولكن يزيد عند الشيعة إمكانية إلقاء محاضرات ودروس دينية في تلك الأثناء وتكون ما بين مآثر عن أئمتهم الكبار – مثل علي والحسين (رضي الله عنهما) أوسيرة النبي محمد (صلى)... ويبدو أن ذلك التقارب ما هو إلا إحدى ثمرات الدولة الفاطمية (الشيعية) التي حكمت مصر في القرن العاشر الميلادي وظل الكثير من مظاهرها يُتوارَث بين أجيال المصريين – وخاصة الريف المصري – حتى اليوم..وما أكثرها!

وأتذكر هنا تجربة محرجة مرت بي منذ سنوات في عزاء أحد أصدقائي بمصر ألا وهي (الضحك الهستيري)..! نعم..ففي ظني أن جو العزاء في مصر وما يصاحبه أحيانا من مبالغة في إظهار الحزن والأسى هو أكثر ما يثير الضحك اللا إرادي..! لم أكن متعاطيا لسيجارة بانجو مثل (يحيى الفخراني) في فيلم الكيف بتاع: "إيه يا أستاذ قلة الذوق ديه؟ إنت جاي تعزي ولا جاي تهرج؟!" فرد: "لا أنا جاي أهرج!"....ولكن مشكلة ذلك العزاء كانت تكمن في قلة المعزين الذين لم يكونوا قد تجاوزوا العشرين معزيا – بمن فيهم أهل المتوفي رغم سعة حجم القاعة...واستغل أحد

أصدقائي الخبثاء هذا المنظر فذكرني بمشهد من فيلم (اللمبي) حينما (فتح مطواة) على المعزين حتى لا يغادر أحد الصوان فيقل العدد..! وما أن قال صديقي قولته حتى بدأنا في الضحك الذي لا يتوقف حتى بدأ أهل المتوفى ملاحظة ذلك في موقف غاية في الغرابة..والإحراج..! حتى أنني اضطررت أنا وأصحابي الغارقين في الضحك إلى الخروج من القاعة لإكمال الضحك خارجها..!

الله يرحمك يا (سيف)...سامحني..!!

"عاش الملك...مات الملك"

الأربعاء 29 إبريل 2015

حينما كتبت خواطري المؤرخة **23** يناير **2015** وتعرضت لوفاة الملك عبد الله بن عبد العزيز (رحمه الله) وما تبعه من صدام مرتقب يلوح في الأفق بين الأسرة السعودية – لم أتوقع أن يحل سريعا حسبما تابعت اليوم خبر الإطاحة بالأمير/ مقرن بن عبد العزيز من ولاية العهد وتعيين الأمير/ محمد بن نايف – من جيل الأحفاد – بدلا منه..!

والحقيقة ما أثار استغرابي بشدة هو حالة النفاق المجتمعي في تلك الواقعة...فقبل تلك الإطاحة بشهورٍ معدودات كان الملك/ عبد الله قد استحدث منصب (ولي ولي العهد) خصيصا حتى يضمن خلافة أخيه غير الشقيق الأمير/ مقرن بعد خلافة ولي العهد الأمير/ سلمان.. وبالفعل بايع الملكَ عبد الله الأمراءُ والوزراءُ والأعيان...فلما مات الملك وجاء خليفته الملك/ سلمان لم تكد تمر شهور قليلة حتى بايعه ذات القوم على عزله لولي العهد بعد أن كانوا بايعوا ذلك الأخير على الولاية..!

ولو كان منصب ذلك الأمير المعزول بهذا الهوان لما استحدثه الملك الراحل وطلب مبايعة الناس له...وكأن ذلك المنصب وتلك المبايعة لغوا لم يكن هناك طائل من ورائه... بل والأدهى من ذلك أن الملك/ سلمان بعزله

لأخيه إنما استن سنة لمن بعده لا يعلم مداها إلا الله فيما قد تحدثه من شقاق بين عائلة آل سعود..خاصة وأن الملك/ سلمان قد أبقى على منصب (ولي ولي العهد) واختص به ولده..!

وربما يدرك المتابع لصورة عائلة آل سعود الآن أن هناك ملكا يبدو مستسلما لجيل الأحفاد من آل سعود...مستسلما في وقتٍ أحوج ما تكون فيه المملكة إلى خبرة الشُيّاب بدلا من جماح الشباب..!

فمما لا شك فيه أن السعودية مقبلة على مأزق حقيقي بإنهيار أسعار البترول العالمية انهيارا يبدو بغير رجعة...ربما للاكتشافات المتتالية في الدول الغربية فيما يعرف بـ(البترول الصخري)...وربما لدخول الطاقة النووية بديلا متجددا للطاقة...وربما أيضا – وهو الأخطر – لتبني الدول الغربية مؤخرا المصالحة مع النظام الحاكم في إيران ومن ثم ضمان توفير ما يحتاجه السوق الغربي من بترول تسبح فيه الأراضي الفارسية..!

وللحق تخالجني الشكوك حول قدرة هؤلاء الشباب الصاعد من آل سعود – مع تهميشهم لجيل الأباء المخضرمين من المشهد أمثال الأمير/ مقرن – أن يتصدوا للتحديات المقبلة على بلادهم والمنطقة العربية بأسرها...فبدون أموال البترول تفقد السعودية أهم ما يميزها من كونها الممول الرئيسي لكثيرٍ من الأنشطة الضامنة لريادتها عربيا أمام العالم...في الوقت الذي يصعب فيه القول بأن مواردها الأخرى من حج وتجارة

تستطيع الصمود أمام ميـزان مـدفوعاتـها المثقَـل بالمـدفوعات والـذي يـشكل البترول نحو 90٪ من موارده..!

إنها حرب التجويع..والتركيع...كما تبدو بغير رجعة..!!

"تسمحلي بـ 5 دقايق من وقت حضرتك؟"

الأحد 31 مايو 2015

السؤال المعنوَن أعلاه ليس موجها من شخص إلى آخر...وإنما موجه من الشخص إلى نفسه..!

نعم..فقد أدت إقامتي بمفردي في البحرين إلى ملاحظة أمر هام طالما افتقدته في مصر حينما كنت مقيما مع أسرتي..ألا وهو أن (أختلي بنفسي)...

في ظني أن أشد ما يفتقده الإنسان في تلك الأيام هو (نفسه)..هو أن يجلس مع نفسه فيراجعها ويتأمل أمور قلما وجد وقتا لتأملها...وأعتقد أن اختلاء المرء بنفسه يُخرج زوايا من شخصيته كانت منزوية تماما في لاوعيه...

لذا لا تتعجب إذا سمعت أن كثيرا من الناس يتخذون قرارات مصيرية وهم يستحمون (تحت الدُش)..! لقد سمعت هذا الكلام من قبل كثيرا ومارسته أيضا ووجددته صحيحا إلى حدٍ بعيد... ولكن لم ألحظ ذات الظاهرة مثلا وأنا (ألبي نداء الطبيعة) رغم تشابه (الخلوة) في الحالتين..! ربما كان (الحَزق) يؤثر على حالة الصفاء الذهني المتوفرة (تحت الدُش)..!

وقد سمعت في أحد برامج الإذاعة البحرينية منذ أيام أن شخصية

الإنسان لها ثلاثة وجوه... وجه مع الناس..ووجه مع المحيط الأسري والمقربين...ووجه مع (نفسه).. وهذا الوجه الأخير هو الأقل حظا في الحصول على متسع من وقت المرء...

لذا لا تتعجب إذا وجدت كثيرا من المفكرين إما غير متزوجين أو غير اجتماعيين أو ربما وجدوا لأنفسهم خلوة اصطناعية..وهي عادةُ أغلب الكتاب الكبار بالمناسبة...

وقد حدت بي تلك الملاحظة إلى إدراك أهمية ما سمعته في المدرسة حينما كنت طفلا عن التكوين النفسي لنبي الإسلام محمد (صلى) من أنه كان يختلي بنفسه في غار (ثور) بين الحين والآخر متأملا ومفكرا في مجريات الحياة... لا شك أن تلك الخلوة كانت لها دور في اصطفائه نبيا يُفترض فيه تكامل العقل وتوازنه ليستطيع حمل تلك الأمانة العظيمة وإيصالها للناس...

وربما يفسر قلة اختلاء المرء بنفسه على مدار اليوم ما يعانيه البعض من أرق وعدم قدرة على النوم سريعا...حيث تظل الخلوة حبيسة إلى أن تنطلق من مخدعها حين يبدأ الإنسان الخلود إلى النوم...فيجد الأفكار منطلقة من مَكْبَتها بأقصى سرعتها منبهة كل حواسه..فلا يستطيع النوم في هدوء إلا بعد أن تُنهكه...

لذا لا تتردد – إذا قطع أحدهم خلوتك – بأن تقول له: "معلش أنا في (Meeting) دلوقتي مع نفسي.. ربع ساعة كده وتعالى تاني"..!

"مبارك عليك الشهر"

الخميس 18 يونيو 2015

بهذه المقولة بدأ اليوم شهر رمضان في البحرين...وهي تستخدم هنا بدلا من "رمضان كريم" المستخدمة في مصر.. وجوابها هو: "علينّا وعليك" — بتشديد النون...

وتتبع البحرين فعليا الرؤية الخاصة بالمملكة العربية السعودية فيما يختص بمواطنيها السُنة...أما عموم الشيعة فيتبعون ما تعلنه هيئة الأوقاف الجعفرية بالبحرين.. وهي الهيئة التي تتبع فعليا السيد/ علي السيستاني إمام شيعة العراق..ومع ذلك فقد صدرت فتوى من بعض المراجع الشيعية البحرينية هذا العام باعتبار غرة رمضان اليوم رغم عدم ثبوت الرؤية أصلا عند منزل السيد/ علي السيستاني ربما لوجود غيوم أو سحب أو ما شابه ذلك...واستندوا في عدم اتباع العراق — في أمر الرؤية — إلى تباعد إقليم العراق عن إقليم البحرين..ومن ثم فالأولى اتباع شيعة البحرين لما يجاورهم من الدول مثل إيران...والأخيرة تعتمد في رؤياها التي يعلنها السيد/ علي خامنئي على الحسابات الفلكية والتي أشارت إلى بدء رمضان اليوم...

وتختلف طقوس رمضان في البحرين بعض الشيء عن مثيلتها في

مصر... فقانون البحرين يحظر صراحة تناول المأكولات والمشروبات على كافة المقيمين – مسلمين وغير مسلمين – في نهار رمضان..الأمر الذي يحدو بكافة المطاعم والمقاهي أن تغلق أبوابها طوال نهار رمضان..اللهم إلا القلة القليلة منها التي تتعشم أن يأتيها زبون هندوسي مثلا..وكذلك المطاعم الملحقة بالفنادق فتظل أيضا مفتوحة طوال النهار... لذا يعتبر شهر رمضان في البحرين السبب الرئيسي وراء هروب الأوروبيين والأمريكان من البحرين في ذلك الشهر إلى بلدانهم كي يقضوا بها إجازاتهم السنوية..ولا سيما إذا تصادف حلول الشهر الكريم في فصل الصيف كما الحال الآن..فيجتمع عليهم عذاب الحظر وعذاب الحر...!

ولعل هروب هؤلاء الأجانب من البحرين في شهر رمضان هو الذي أرسى عادة الإعلان عن عروض التخفيضات الكبيرة من قبل أصحاب متاجر السيارات...وطبعا فطن المصريون المقيمون هنا لهذا اللعبة أكثر من غيرهم فأصبحوا يتعمدون انتظار شهر رمضان حتى يبدلوا سياراتهم...

أما الأمر الآخر الغريب هنا هو أن القانون يحظر تشغيل الموظفين في القطاعين الحكومي والخاص لأكثر من 6 ساعات في هذ الشهر الفضيل...ومبعث الغرابة هنا أن القانون قد نص فقط على المسلمين وترك مصير غير المسلمين لأرباب العمل..الأمر الذي حدا ببعض أصحاب الأعمال إلى استعمال موظفيه غير المسلمين طوال ساعات العمل المعتادة..!

وهذه التفرقة وإن كانت تراعي ظروف الصائمين إلا أن تطبيقها هنا يشوبة الكثير من العنصرية...ربما لإنني رأيت بمصر عكس ذلك..حيث يغادر الموظفين جميعهم – مسلميهم ومسحييهم – في ميعاد مبكر واحد ودونما إلزام من القانون..! عمار يا مصر...

ولا يمكن تبرير تلك التفرقة الغريبة بقلة أعداد غير المسلمين بالبحرين...فالمتابع ربما يستشف تشكيل غير المسلمين نحو 40٪ من سكان البحرين إن لم يكن أكثر..! ولا أدل على ذلك من كمية الهندوس الموجودة هنا...

فلما تدبرت الأمر قليلا وجدت أن حكومة البحرين لا يشغلها مشاعر غير المسلمين بقدر ما يشغلها مشاعر المواطنين الشيعة..! نعم فكل نظام سياسي يحاول استرضاء الأقلية السياسية المعارضة بمثل تلك الوسائل من المساواة...فبمالكم والشيعة أغلبية..؟! لذا تجد البحرين مثلا حريصة على إدراج يوميْ تاسوعاء وعاشوراء ضمن الإجازات الرسمية بالبحرين..مثلما الحال في مصر بإدراج السابع من يناير إجازة رسمية للاحتفال بعيد القيامة المجيد عند الأقباط... وبالتالي فالمسألة برمتها في ظني ليست عدالة اجتماعية يطبقها الحاكم بقدر ما هي مواءمة سياسية تحافظ على حكمه من أية توترات...!

وباقتراب موعد الإفطار يستعد المدفع الرمضاني البحريني

للانطلاق..وتستطيع مشاهدة ذلك مصورا على قناة الدولة الرسمية بالتلفاز...فتجد ثلاثة نفر مجتمعون حول المدفع ثم يقول الرجل الملتحي منهم: "إرمِ" فينطلق دوي المدفع.. وقد لفت نظري في ذلك عدم استخدامه فعل "اضرب" بوصفه الأكثر اتساقا مع أدوات الحرب والأسلحة النارية..وإنما تمسك الرجل بالفعل "إرمِ" من (الرماية) تأثرا بالمفردات التاريخية للعرب...الأمر الذي يشير إلى تمسك شعوب الخليج – مثل معظم المسلمين في وقتنا الحاضر – بمظاهر من الثقافة البائدة التي توحي لهم بمشاعر دينية تروقهم..!

وفي حين يفطر المسلمون السُنة فور سماعهم أذان المغرب فإن إخوانهم الشيعة يؤخرون صيامهم نحو عشر دقائق تقريبا عن موعد الأذان الأصلي عملا بالأحوط حسبما يفتي الكثير من أئمتهم..وينعكس ذلك الموعد المتأخر على إمساكياتهم المقروءة المتداولة فيما بينهم...

ولا يميل البحرينيون إلى تزيين الشوارع – مثل مصر – بالفوانيس والمصابيح في شهر رمضان..بل لا أبالغ إن قلت أن الأمر يكون أقل أحيانا من مثله في غير رمضان...

ومع ذلك فتنتشر في هذا الشهر الفضيل أجواء جميلة في بيوت عوائل البحرينيين وكأنها مقطَع مما سمعناه عن الريف المصري قديما...حيث تنتشر الأمسيات الرمضانية الدينية داخل بعض البيوت البحرينية..فيُقرأ

القرآن وتُلقى العظات الدينية في الوقت الذي تكون فيه تلك البيوت مفتوحة للعامة..فتستطيع دخول أيها لتستمتع وسط الحضور بتلك الأجواء...

بصراحة أنا جُعت... أشوفكو بعد الفطار..!

"مولانا السيستم"

الاثنين 22 يونيو 2015

منذ فترة ليست بالقصيرة وزوجتي نازلة على وداني (زنّ) تستحثني على شراء جهاز (تابلت) – صاحب الماركة الأشهر بين أقرانه – لابنتنا رغم امتلاك الأخيرة جهاز (تابلت) في حالة جيدة... وما إن أحاول لفت نظرها إلى أن الجهاز الحالي مازال (فيه الرمق) حتى تتهمني بالبخل والتقطير وإنه لابد من شراء تلك الماركة الشهيرة كنوع من الوجاهة..!

وأخيرا استسلمت لغارة (الزَّن) بذهابي إلى إحدى المتاجر بمنطقة (مدينة عيسى) حينما علمت بإعلانهم عن تخفيضات على ذلك الجهاز...

فلما وصلت إلى المتجر وجدت أن سعره كما هو معلن (ما يساوي 2800 جم)..ولكني فوجئت بموظفة المبيعات تبلغني بنفاذ المخزون...مع ذلك فقد وعدتني بأن يصل المخزون مساء اليوم أو غد على أقصى تقدير... وانصرفت وأنا مستاء من (طخ المشوار) على الفاضي مسترجعا ذكرياتي في مواقف مشابهة بمصر قائلا لنفسي: "ده ولا 4 أو 5 أيام على ما يكلموني..ده إذا كلموني أصلا...كمان أكيد السعر هايزيد في الطلبية الجديدة"...

وبمجرد عودتي إلى منزلي وجدت ذات موظفة المبيعات تتصل

بي...ودار الحوار بيننا كالتالي:

موظفة المبيعات: آلو مرحبا

أنا: آلو أهلا وسهلا

موظفة المبيعات: أخوي هشام؟

أنا: أيوا

موظفة المبيعات: الجهاز وصل لكن سعره زاد (ما يساوي **100** جنيه)

أنا: ياااه..أهو ده اللي كنت خايف منه...عموما مفيش مشكلة..بس آجي إمتى؟

موظفة المبيعات: في أي وقت من الساعة الثامنة بعد الإفطار (كنا في شهر رمضان وقتئذ)

أنا: طب إنتي هاتكوني موجودة إمتى...عشان نسبتك من المبيعات وكده؟

موظفة المبيعات: مو مشكلة..في أي وقت تبيه (تبغيه)..أنا ما راح أكون موجودة من الآن حتى بعد غد...لكن تقدر تيجي في أي وقت

أنا: طيب شكرا

وفي تمام الساعة الثامنة كنت أمام المتجر مرة أخرى ووجدته مفتوحا

حسب الموعد وجميع موظفيه في أماكنهم المخصصة... بالطبع لم أجد الفتـاة التي اتصلت بي..ولكني وجدت زميلا لها أسيوي الملامح كانت قد أخبرتـه عن طلبيتي...وبالفعل أحضر لي الجهـاز ثـم فاجـأني بقولـه إنـه رغـم أن الجهاز سعره قد زاد إلا إن العامل الحاسم هو (السيستم)..بحيث إذا كـان السعر الجديد قد تم تحديثة على (السيستم) فهو سـعر البيـع..أمـا إذا لم يكن قد تم تحديثه بعد فسيضطر إلى بيعه لي بالسعر القديم (أنقص **100** جم)..! ولوهلة ظننتها نوع مـن (طـق الحنـك) حتـى ذهبنـا إلى الخزينـة فوجدت أن السعر الجديد لم يتم تحديثة بعد وإنهـا ربمـا مـسألة سـاعات ويتم تحديثه...وبالفعل اشتريت الجهاز بذلك السعر المخفض وغـادرت في سلام حتى دون أن يصطنع الموظف دورا بطوليا أو يقـول بابتـسامة خبيثـة "أي خدمة يا باشا"..!

للحظـــة كـــاد يجـــن جنـــوني وذكريـــات الماضـــي الألـــيم بمـــصر تهاجمني...ووجدتي أتخيل (ديالوج) لذات الموقف لو إنه كـان قـد حـدث بمتجر مصري:

هشام: سلامو عليكو

الموظف: سلام ورحمة الله...أؤمر يا باشا

هشام: بعد إذنك أنا كنت جاي بخصوص الطلبية اللي كانـت متـأخرة من جهاز التابلت...حاولت أتصل بيكو بالتليفون بس ماحدش كان بيرد

الموظف: معلش بأه يا باشا...جايز الخط كان معلق أو كنا قافلين

هشام: طب هي الطلبية وصلت؟

الموظف: طب ممكن تتستنى 10 دقايق لغاية ما الموظف المختص بيجي...أصله بيفطر وأنا واقف مكانه هنا بس لغاية ما ييجي...10 دقايق كده وتعالى تاني

(وبعد حوالي 20 دقيقة لمحت موظفا يدخل المحل وعليه علامات "التنبلة" من أثر الأكل)

هشام: حمدا لله على السلامة يا أستاذ

الموظف المتنبل: الله يسلمك يا باشا..أؤمر

هشام: أنا كنت باسأل على طلبية (التابلت) المتأخرة..هي وصلت؟

الموظف المتنبل: وصلت يا باشا..بس سعرها زاد 100 جنيه

هشام: مافيش مشكلة...إديني واحد أسود...اتفضل كارت الفيزا

الموظف المتنبل: معلش يا باشا الفيزا عطلانة

هشام: مافيش مشكلة...أنا معايا كاش يكفي

(ثم راح الموظف يضرب أزرارا على جهاز الكمبيوتر..ثم بدت على ملامحه الحيرة)

الموظف المتنبل: بص يا باشا معلش بأه أنا مش هاقدر أبيعلك الجهاز

دلوقتي..لإن (السيستم) لسة ماتحدثش بالسعر الجديد بعد الزيادة

هشام: طبماينفعش تبيعلي بالسعر اللي لسة على (السيستم)؟

الموظف المتنبل: ماينفعش يا باشا..أنا كده أتإذي من صاحب المحل

هشام: طب حتى إديني بالسعر الجديد وخلاص

الموظف المتنبل: برضه مش هاينفع يا باشا..لازم ندفع عن طريق (السيستم)...إبقى تعالى بكرة مثلا ويكون (السيستم) اتعمله (آب ديت)

....

....

....

تصبحوا على خير!

"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"

الجمعة 3 يوليو 2015

كان من أطرف ما تابعت من أخبار اليوم هو القيام بصلاة جمعة موحدة بين السنة والشيعة لأول مرة في عدة أماكن تضامنا ضد الإرهاب الطائفي المنتشر في العالم العربي...

فمن ناحية تابعت صور صلاة الجمعة بمسجد عالي الكبير حيث صلى جموع من السنة كتفا بكتف إخوانهم الشيعة في صلاة واحدة خلف إمامهم رئيس الأوقاف الجعفرية الشيخ/ محسن العصفور...فكم كان المشهد رائقا وبديعا حيث ينسجم المصلون كأنهم بنيان مرصوص..ولا تكاد تلحظ السني من الشيعي اللهم إلا من أثر وضع التربات الحسينية في موضع سجود المصلين الشيعة...

وقد تكرر ذات الأمر في نفس اليوم ولكن بالكويت من خلال صلاة موحدة بين السنة والشيعة بحضور أمير الكويت الشيخ/ صباح الأحمد الجابر الصباح...

وقد كان أجمل ما في كلتيْ الحالتين هو ثبوت أن التقارب المذهبي لم يكن أمرا بعيد المنال على أرض الواقع كما بدا لكثير من المغرضين أو الغافلين لسنين طويلة...

اللهم لا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا..ربنا إنك رؤوف رحيم...

"ولاد العم"

السبت 4 يوليو 2015

تعد العلاقات التاريخية بين كلٍ من البحرين وقطر أعقد بكثير مما قد يظن الرائـي...واللافت في تلـك العلاقـات تحديـدا هـو سـلبيتها بدرجـة كبيرة...

فالبحرين – بعد أن كانت مجموعة بلدان تشكل طول الساحل الشرقي للخليج العربي منذ قديم الأزل – بدأت مع الوقت تـضمحل وتـصغر حتـى باتت أصغر دولة خليجية بين أقرانها...

وقد كان (ولاد العم) – عائلـة آل خليفـة البحرينيـة وعائلـة آل ثـاني القطرية – في نزاع مسلحٍ دائم بلغ ذروته في القـرن التاسـع عـشر الميلادي فيما عرف بـ(الحرب البحرينية القطرية)..

ففي عام **1835** قامت اتفاقية هدنة بين إمارات الخليج بزعامـة أبـو ظبي والشارقة وكذلك البحرين وعمان على عدم القرصنة البحرية على سفن بعضهم الـبعض...وبـالطبع كانـت تلـك الهدنـة تحـت إشـراف المـستعمر البريطاني لتلك المناطق في ذلك الوقت..وتحديـدا تحـت إشـراف البحريـة الملكية البريطانية (بحرية مومباي)...وفي ذلك الوقـت كـان هنـاك تحالفـا ضمنيا بين أبو ظبي والشارقة وعجمان ورأس الخيمة والبحرين من جانـب

ضد سلطنة عمان – الغريم التقليدي للبحرين – من جانب آخر...بينما كانت قطر مجرد جزيرة تسيطر البحرين على شمالها الغربي المسمى بـ(الزبارة) – والذي كان بمثابة قاعدة عسكرية بحرينية – في حين تخضع بقيتها فعليا لسيطرة القبائل القطرية تحت إشراف الاستعمار البريطاني...

ومع مطلع عام 1860 بدأت تظهر بعض المناوشات العسكرية بين البحرين والقبائل القطرية بزعامة عائلة آل ثاني..زادت وتيرتها بقيام الجيش البحريني المتمركز في (الزبارة) بضبط بعض البدو المتسللين إلى تلك المنطقة..فقام على أثر ذلك باعتقالهم في جزر البحرين الرئيسية...وردا على ذلك الاعتقال قامت القبائل القطرية بشن هجوم على الجيش البحريني بالزبارة وطرده منها...هنالك تدخلت إمارة أبو ظبي – بوصفها حليفا للبحرين – في الحرب وأرسل الحليفان جيشا مشتركا قوامه نحو 2000 جندي قام بتدمير أجزاء كبيرة من الدوحة والوكرة موطن آل ثاني...فما كان من آل ثاني إلا أن ردوا بهجوم على الجيش البحريني أسفر عن تدمير زهاء 600 سفينة بحرينية و1000 شخص...

وعلى أثر ذلك قام الكولونيل (لويس بيلي) المشرف البريطاني باتهام حاكم البحرين بانتهاك القانون البحري والمطالبة بتعويض مالي كبير...وانتهت الحرب بعقد اتفاقية اعترفت بموجبها المملكة المتحدة

بدولة قطر كدولة مستقلة ذات سيادة تحت حكم عائلة آل ثاني...

ولم ينته النزاع عند هذا الحد..فمثلما أدى الاستعمار في شتى البقاع – قام نزاع حدودي فيما بعد بين البحرين وقطر على مناطق ساحل (الزبارة) وأرخبيل (حَوار) وجزيرة (جنان) و(حد جنان) و(فشت الديبل) وكذلك جزيرة (قطعة جرادة)... لقد كان نزاعا – إن شئت وصفه – بين السيادة التاريخية (البحرين) والسيادة الجغرافية (قطر)..!

وبعد أن عرضت قطر النزاع على محكمة العدل الدولية عام **1991** ظل منظورا لمدة تسع سنوات كاملة – وهو يعد بذلك النزاع الأطول في تاريخ المحكمة الدولية – وانتهى بإصدارها قرارا ملزما للدولتين في عام **2001** بأحقية قطر في (الزبارة) وجزيرة (جنان) و(حد جنان) و(فشت الديبل) بينما تكون للبحرين السيادة على جزر (حوار) وجزيرة (قطعة جرادة)...

ومع استقرار الملوك على عروشهم في كلا البلدين وتنعمهما بخيراتها أخذ صوت النزاع في الخفوت وحل محله الود الظاهر حتى قنع الجانبان بالوضع الراهن معلنين أن النزاع الحدودي بين البلدين قد انتهى...

لكن تظل حكمة التاريخ القائلة بأنه: "إذا أردت معرفة مبررات أي حرب فانظر إلى نهاية سابقتها"! وفي ظني أن النزاع الحدودي بين البلدين لم تُطوَ صفحته للأبد...فمن يدري بماذا يأتي لنا الغد؟!

"جُزرٌ منسية"
الأحد 5 يوليو 2015

لاحظت مؤخرا – حينما كنت أتجول بعينيْ على خريطة البحرين – أن هناك عدة جزر بحرينية لا تتوافر معلومات سياحية عنها...فلما أمعنت النظر وجدت عجب العجاب..!

- جزيرة أم النعسان: هي رابع أكبر جزيرة من حيث الحجم بين جزر البحرين..وتقع في طريق جسر الملك فهد الموصل بين البحرين والمملكة العربية السعودية...هي الآن ملكية خاصة للملك/ حمد بن عيسى حاكم البحرين بعد أن ورث تلك الملكية الخاصة عن أبيه الأمير/ عيسى بن سلمان.. وهو الأمر المتعارف عليه في الملكيات حول العالم بحيث يكون للملك بعض الملكيات الخاصة فضلا عن ملكيته الرمزية لكافة أنحاء البلاد...

الجزيرة فعلا كبيرة وفارغة فاستغربت للوهلة الأولى ضم العائلة الملكية لها دون حاجة فعلية لكل تلك المساحة..إلى أن تبين لي أنها تُستخدم في الأغراض العسكرية لقوة دفاع البحرين (جيش البحرين) وهو الأمر الذي يسهل تبيُّن صدقه من واقع صور الأقمار الاصطناعية الملتقطة لتلك الجزيرة فتبدو بها مساحات صحراوية شاسعة غير مأهولة

بالسكان...

■ جزيرة جِدَه: هي جزيرة تقع على بعد 5 كم من البر الغربي البحريني...كانت في القديم منفى لبعض المسجونين من قبل الحاكم البحريني..وتمتاز حسب وصف بعض هؤلاء المساجين بكثرة النخيل والمرتفعات الساحلية والطبيعة الأخاذة... وبعد فترة قام رئيس الوزراء/ سلمان بن خليفة بضمها لأملاكه الخاصة بحيث يحظر على العامة ارتيادها...

■ جزيرة أم الصبان: وهي إحدى الجزر الرائعة الواقعة على مسافة 2 كم تقريبا من البر الغربي للبحرين والتي لا سبيل للوصول إليها سوى البحر..كان يرتادها في الماضي البحرينيون في فصل الصيف حيث جمال الطقس وانتشار المساحات الخضراء وعيون المياه الحلوة... إلى أن ضمها الشيخ/ محمد بن سلمان (عم الملك الحالى) لأملاكه الخاصة وورثها أبنائه من بعده بعد تداول روايات في هذا الشأن من أن أبنائه ظلوا واضعين أبيهم المتوفى إكلينيكيا على جهاز التنفس الصناعي لمدة طويلة إلى أن يتوفى أحد الوارثين الأُخَر فلا يشارك الأبناء شريك..وقد كان..!

الملفت في الأمر أن الشيخ/ محمد بن سلمان – رحمه الله – كان قد قام بتغيير اسم الجزيرة التاريخي من جزيرة (أم الصبان) إلى جزيرة (المحمدية) نسبةً إلى مالكها الجديد..!

فلما جلت بخاطري – مقارنا ذلك الوضع بما عليه الحال في الجزر الأوروبية الشبيهة – كم تمنيت أن يستغل حاكم البحرين تلك الجزر سياحيا بفتحها للعامة مع الاحتفاظ بملكيتها الخاصة أو حتى حظر دخول مناطق محددة فيها...

في ظني أن تلك الجزر كنز طبيعي ينبغي حسن استغلاله أفضل من ذلك...

"ولا واحد فيهم"

الأربعاء 16 سبتمبر 2015

لقد أتممت بالأمس عاما كاملا في البحرين... وقد دفعتني الإقامة وحيدا معظم شهور ذلك العام المنقضي إلى التفرغ أكثر للقراءة ملأً لفراغي...

ومن ضمن ما قرأت سيرا ذاتية ومراجع تاريخية ومصنفات في الفقه والحديث الإسلامي... وقد ظننت لوهلة أنني سأخرج من تلك الفرصة بمزيد من المعرفة والإلمام...ومع ذلك وجدتني بعدها حاملا لتناقضات قوامها إحساس عام بالكآبة..كآبة مما جرى منذ آلاف السنين ومازال يجري بمثل هيئته حتى الآن في مصر..!

لقد كان عنوان خواطري اليوم إجابة زوج خالتي – رحمه الله – وهو طريح الفراش إثر تحويله للاستيداع الطبي بعد خدمته كلواء في القوات البحرية لسنوات..وذلك ردا على سؤالي له: لقد عايشت 3 رؤساء للجمهورية..فمن في نظرك كان الأفضل..فكان جوابه – رغم ثقل مرضه – دون تردد: "ولا واحد فيهم...كلهم سيئين"...وللحق كانت المرة الأولى التي أتلقى فيها جوابا بهذا الشكل لمثل ذلك السؤال المتداول على ألسنة الناس بكثرة من وقت لآخر... وللحق أيضا أنني لم أستوعب ذلك الرد

وقتها مثلما استوعبته الآن..!

فبعد أن كنت قد طالعت الكثير من القصاصين الذين رصدوا تاريخ هذا البلد العريق في عصره الحديث – بما تتضمنه رواياتهم من تباين وأحيانا تضاد – وجدتني أخلص إلى نتيجة واضحة ومؤسفة في آن واحد..ألا وهي: أن مصر كانت ومازالت تدار بنفس الأسلوب منذ مئات..بل قُل آلاف السنين..!

ربما لأن مصر هي الأقدم...ربما لأنها الأعرق...ربما لأن موروثها الثقافي كلما زاد تصلّب وتجمّد... لكن ماذا جنى المصريين من تلكما العراقة والقِدم غير الفشل..؟!

قديما ما قبل التاريخ..تفنن كثيرٌ من ملوك مصر في طمس شواهد من سبقوهم من على جدران المعابد...وآثار الملك (إخناتون) خير دليل على ذلك..وهو الملك الذي نادى بالتوحيد وعبادة القوى التي وراء الشمس...فلما أحس من خلفوه بخطر فكرته على عروشهم – بتحول الشعب من عبادة ملوكه إلى عبادة ربٍ آخر – أبادوا كل ما طالته أيديهم من آثار شاهدة على تلك الحقبة..!

ورغم مرور بآلاف السنين وصولا إلى انقلاب يوليو **1952** وجدنا ذات الأسلوب في التعامل مع العائلة الملكية وقتها.. فقد دأب الضباط المنقلبون وقتها – بغض النظر عن نُبل أو دناءة مقصدهم نحو انقلابهم – على

محاولة إبعاد أي شيء يذكرهم بالعائلة الملكية..وهي العائلة التي أسست مصر على أسس حديثة وجعلتها قوة لا يستهان بها لعقود طوال بعد أن كانت مجرد ولاية تابعة للسلطان العثماني... فقام أولئك الضباط بشتى الوسائل التي تمحو تاريخ مصر تحت أسرة محمد علي باشا...فرأيناهم غيروا أسماء الشوارع والميادين من أسمائها الأصلية إلى أسماءٍ أخرى..حتى وجدنا أن شارع (فؤاد) أصبح (26 يوليو)..وميدان (الإسماعيلية) أصبح (التحرير)..وغيرهما الكثير والكثير مما ينبئ عن نفوس غليلة وعقول سقيمة كانت نتاجا لموروثٍ ثقافي بغيض مفاده: انسف حمامك القديم..!

وحتى الآن لازلت أتذكر واقعة حدثت لي منذ أكثر من 15 عاما أثناء دراستي بالمرحلة الثانوية..حين سألنا مدرس الفلسفة – وقتها في مناقشة مرتبطة بعنوان درسه – عن أول رئيس لجمهورية مصر العربية...ولأسباب لا أتذكرها وجدتني أجيب عليه إجابة مختلفة عن بقية الطلاب في الفصل الذين أخذوا يصيحون باسم "الرئيس جمال عبد الناصر" فقلت مغايرا: "الرئيس محمد نجيب"...فأقر الطلاب الأُخَر على إجاباتهم المزعوم صحتها ثم نظر لي نظرة عتاب لسابق مودة بيننا قائلا:

"أهي فزلكتك ديه اللي مخلياك بتجيب درجات قليلة معايا..!!"

ومع مرور السنين علمت أن طلاب المدارس في الحقبة الناصرية – خصوصا في ستينات وبعض سبعينيات القرن العشرين – كانوا يدرسون في

مادة التاريخ أن أول رئيس لجمهورية مصر العربية كان "جمال عبد الناصر"..! هكذا..وبمنتهى البساطة..تم إسقاط حوالي سنة ونصف من عمر مصر كان يحكمها فيها رجل اسمه "اللواء/ محمد نجيب" وهو الرجل الذي تحولت في عهده مصر من دولة ملكية إلى أخرى جمهورية.. وإن بقيت مظاهر الملكية حتى عصرنا هذا دون تغيير..!

وبعد رحيل "جمال عبد الناصر" دارت الدائرة عليه...فوجدنا رئيسا جديدا يعتمد إنشاء مدينة "ناصر" ولكن بعد أن غير مسماها من "ناصر" إلى "نصر" ربطا لها بنصر أكتوبر الذي جرى في عهده...فظهرت "مدينة نصر"..!

فلما جاء الرئيس مبارك ظهرت استراتيجية جديدة أكثر عمقا في تثبيت أركان الحكم...حيث استشرى بشدة إطلاق اسم (مبارك) وزوجته على المرافق العامة من مستشفيات ومدارس حكومية وحتى مشاريع قومية..! وصاحب تلك الآفة آفة أخرى أكثر استشراءً ألا وهي التخلص من أي قيادة لها جماهيرية فضلا عن أي شخصية شهدت لحظات ضعف أو انكسار للقيادة السياسية... وأسماء مثل (المشير/ عبد الحليم أبو غزالة) و(الدكتور/ كمال الجنزوري) و(الدكتور/ أسامة الباز) و(اللواء/ عبد السلام المحجوب) ليست عنا ببعيدة...

فلما قامت ثورة 25 يناير ضد الدولة الظالمة رافعة شعار

(عيش..حرية..عدالة اجتماعية) ظن كثيرون أن العدالة سوف تأخذ مجراها..وأن المصريين سيتحولون إلى شعب أوروبي في تحضره..وأن قطار التقدم قد غادر محطة الرجعية كالطلقة بلا رجعة..! حتى فوجئنا بمن يحذف اسم "الرئيس/ حسني مبارك" من كتب التاريخ في الفصول الدراسية.. وكأنه لم يكن جزءً هاما من تاريخ مصر خاصة التاريخ العسكري..!

ومن حذف اسم (مبارك) من كتب التاريخ إلى حذف اسمه الذي كان قد استشرى وضعه على المؤسسات المختلفة كما سبق القول..فكأنه سُحِب من أعلى العليين إلى أسفل السافلين فقط لأنه أصبح رئيسا "سابقا"..!!

وللأسف نشاهد الآن نفس الأسلوب بالترويج لإنجازات وهمية مستعارة من إنجازات حقيقية قد خلت من قبل...فرأينا نظاما يروج لـ(قناة سويس جديدة)..نعم يطلق عليها وصف "الجديدة" رغم كونها – بالأرقام والإحصاءات – لا تعدو كونها تفريعة لجزء من القناة يبلغ طوله 35 كم فقط من أصل طول القناة الكلي البالغ **190.250** كم... في الوقت الذي توجد فيه 6 تفريعات أخرى أسبق من تلك المسماه (القناة الجديدة) ولم يطلق عليها منشؤوها من الرؤساء السابقين لفظ (قناة جديدة) خاصة وأن تفريعة مثل تفريعة بورسعيد تعد الأطول ضمن كل تفريعات قناة السويس..فيبلغ طولها وحدها **40.1** كم..!

كم حقا أتمنى أن أرى ذلك اليوم الذي تتغير فيه (مصر) بالفعل...تتغير موروثاتها البالية التي لم نذق منها سوى التخلف والرجعية... أتمنى أن تطهر ثوبها المدنس بإرهاصات الماضي البغيض فتصبح فعلا (مصر الجديدة) بهيئتها العريقة..لكن نظيفة...!

"تاريخ الملائكة"

الأحد 4 أكتوبر 2015

من أكبر آفات مجتمعاتنا العربية هي (اختزال التاريخ).. نعم..هي تلك الطريقة التي يتم بها كتابة التاريخ بنظام الـ(snap-shot)..بمعنى أن العرب مازالوا إذا أرادوا أن يصفوا شخصية تاريخية فما عليهم إلا أن يقوموا باستحضار صورة فوتوغرافية أو زيتية أو حتى ذهنية لتلك الشخصية.. فإن رأوه فيها بطلا مغوارا كان تاريخه بأكمله ناصع البياض.. أما إذا كانت الصورة قد التقطت له وهو في لحظة من لحظات الزلل البشرية عُدّ تاريخه جزءً من تاريخ إبليس ذاته..!

ويعج تاريخنا بأمثلة عديدة لتلك الآفة..الأمر الذي استتبع توارد العديد من الأسئلة حول جوانب من تاريخ تلك الشخصيات التاريخية.. جوانب لم نجد لها تناولا متداولا سواء بالإقرار أو بالنفي على أسس موضوعية واضحة..

- لماذا لا يطفو على بساط البحث الجانب الآخر من القائدُ المغوار محرر بيت المقدس (صلاح الدين الأيوبي)؟ ألم يهدم (صلاح الدين) بعض الأهرامات بمصر وتحديدا في عام **1193**؟! وما حقيقة حرقه للكثير من الكتب والمطبوعات الأخرى الخاصة بالفاطميين نكاية بهم؟! ولماذا لم

يتناول المؤرخون مدى صحة طلبه الصلح مع الصليبيين فقط عندما أحس بالخطر على مُلكه من الخليفة الفاطمي (الناصر)؟! وما حقيقة تقسيم البلدان على ورثته من بعده وكأنها ملكا من أملاكه؟! وما حقيقة استيلائه على أموال الجامع الأزهر وكل ما يخص الفاطميين من قصور وخزائن؟!

- **ماذا نعرف عن (سعد زغلول) غير أنه قائد ثورة 1919؟ ألم يكن صديقا مقربا للإنجليز سواء بعلاقته الوطيدة باللورد كرومر الذي عينه وزيرا للمعارف أو بمصاهرته لأشهر حليف مصري للإنجليز وقتئذ (مصطفى فهمي باشا)؟! ألم يحاول سعد (باشا) أن يجهض مشروع إنشاء الجامعة المصرية؟! ألم يتصدَّ في عام 1907 للجمعية العمومية الداعية لجعل التعليم باللغة العربية في المدارس الأميرية؟! ألم يكن سعد (باشا) – باعترافه في مذكراته – مدمنا للقمار والخمر؟!**

- **كم نعرف عن أصحاب الرسول (صلى)؟ ألم يصف الرسول (صلى) بعضهم بأنهم يحال بينه وبينهم يوم القيامة..وحين يسأل ربه عن سبب ذلك فيقول رب العزة: "*إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك*[78]"؟! ألم يصف المولى (عز وجل) بعض الصحابة من أهل المدينة بأنهم {مَرَدُوا عَلَى**

[78] ورد هذا الحديث بروايات والفاظ كثيرة، منها ما ورد عن أنس بن مالك أن رسول الله (صلى) قال: "لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ = = اخْتُلِجُوا دُونِي ، فَلَأَقُولَنَّ : أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي أُصَيْحَابِي ، فَلَيُقَالَنَّ لِي : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ"

النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ [79]}؟! لمن وُجهت الآية الكريمة القائلة {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ [80]}؟! ألم يكن الصحابة مجرد أناس طبيعيين بهم الخير والشر مثلهم مثل أي بشر آخر؟! أتكفي مصاحبتهم للنبي (صلى) كي نرسم لهم تلك الصورة (الملائكية) في أذهاننا؟! ألم تؤد تلك الصورة (الملائكية) إلى نتائج خطيرة في علم الحديث؟! أكان علماء الحديث يتناولون رجال الصحابة بنفس الشدة حين يتناولون غيرهم من رواة السند؟! أولم يكن لتلك الصورة (الملائكية) أثر على الفقه الإسلامي؟! ألم يقل إمام الفقه (أبو حنيفة) عن الصحابة كمصدر من مصادر فقهه: *"وما جاءَ عن الصحابةِ رضي الله عنهم تخيرنا من أقوالهم، ولم نخرجْ عنهم، وما جاءَ عن التابعين فهُمْ رجالٌ ونحنُ رجالٌ"*؟! لماذا لم يعُد إمام أهل الرأي هؤلاء الصحابة (رجالا) مثل المتأخرين من بعدهم وإنما وضعهم في مرتبة بين الأنبياء والرجال؟! ولماذا يوصف جموع الصحابة بأنهم عدول لمجرد أنهم رأوا الرسول (صلى)؟! ألم تنزل الآية {إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا} في الوليد بن عقبة وهو الذي صاحب الرسول (صلى) سنوات عديدة؟! ألم يكن بعض الصحابة يتركون النبي (صلى) يخطب على المنبر

---

[79] سورة التوبة: 101

[80] سورة آل عمران: 144

وينفضوا إلى تجارتهم تاركيه حتى نزلت الآية {وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما [81]}؟!

- ماذا يعرف عموم الناس عن الصحابي (المغيرة بن شعبة)؟! ألم يقتل **13** رجلا من قومه غيلةً ليسلب أموالهم آتيا بخُمسها إلى رسول الله (صلى) – ربما استنصارا به (صلى) من قبيلته بثقيف – حتى أخزاه (صلى) برد أمواله عليه واصفا إياه بالغدار؟! ألم يُتهم بالزنا حين ولاه عمر بن الخطاب على البصرة – بعد أن كان قد عزله عن البحرين لكراهية الناس له.. مما اضطر عُمر لعزله مجددا لسوء سمعته وتوليته الكوفة بدلا من البصرة؟! أيصلح رجل ثبتت عليه تلك الوقائع أن يكون راويا للحديث له رواية في صحيح البخاري وأخرتين في صحيح مسلم؟!

- وماذا يعرف عموم الناس عن الصحابي (سمرة بن جندب) غير وصف البعض له بأنه من علماء الصحابة الأجلاء؟! ألم يعلموا ما التصق بسيرته من كثرة إعمال القتل في أهل البصرة كان منهم **47** رجلا من جامعي القرآن؟! ألم تكثر الروايات الواردة من أكثر من طريق حول سوء ذمته المالية من جهة تلقيه عطايا من الحاكم الأموي (معاوية بن أبي سفيان) لادعاء أن سبب نزول بعض آي القرآن المختصة بالوعيد إنما هو مختص ببعض معارضي معاوية؟! ألم يقر النبي (صلى) ذاته بأنه "رجل

---

[81] سورة الجمعة: 11

مضار" حين لبس عنته مع أحد الأنصار في أمر نخلة كانت له في بستان الأنصاري[82]؟! كيف استأنس أصحاب الصحاح إلى رواياته لمجرد أنه صحابي رغم أن بعضا من تلكم الروايات كان نبْتا لفتنٍ عظيمة بين المسلمين[83]؟!

○ بل ماذا يعرف عموم الناس عن الصحابي الأشهر في رواية الحديث (أبي هريرة)؟! كيف ببشر أن يروي **5374** حديثا عن رسول الله (صلى) وهو لم يصحبه سوى **3** سنوات فقط؟! وكيف استطاع ذلك وقد كان معروفا عنه أنه لا يكتب؟! وكيف بلغ هذا العدد ومن يليه مباشرةً من الصحابة في عدد رواية الحديث (عبد الله بن عمرو) لا تتعدى رواياته الـ**800** حديث رغم كون عبد الله بن عمرو مجيدا للكتابة على عكس أبي هريرة؟! ألم يكن مشهورا عنه عدم الوقار والخفة؟! وما سر تضخم ثروته بشكل ملفت بعد وفاة النبي (صلى) خاصة وأنه كان من أصحاب الحظوة عن الحكام الأمويين؟! ألم يُتهم من قبل بعض الصحابة بالتدليس في رواياته؟! ألم يَنسِب للرسول (صلى) حديثا بباب (وجوب النفقة على الأهل والعيال)[84] وحين استنكر عليه الصحابة أن يكون الرسول (صلى) قد قال ذلك تراجع وقال: "لا..هذا من كيس أبي هريرة"؟! ألم ترُد السيدة

---

[82] أصل الحديث موجود بسنن أبي داوود: 315/3 رقم 3636.

[83] راجع ص39.

[84] صحيح البخاري: 62/7، 63

عائشة عليه بعض مروياته قائلة أن الرسول (صلى) لم يكن يسرد مثل سرده ذلك؟! وما حقيقة قول أبي هريرة – كما ورد في صحيح البخاري [85] – أنه حدّث فقط بنصف ما وعاه عن النبي وكتم النصف الآخر؟! أكتم علما علمه إياه الرسول (صلى)؟! وهل يعني ذلك أن ما وعاه عن النبي (صلى) تعدى الـ10 آلاف حديث خلال 3 سنوات فقط خاصة وأنه لا يجيد الكتابة؟!! ألم يُتهم بالتدليس على الرسول (صلى) من قبل الصحابة في حديث (من أصبح جنبا فلا صيام له)..فلما ضيّقوا عليه الخناق قال متراجعا: "لم أسمعه من رسول الله..وإنما أخبرني به الفضل بن العباس"؟!

لذا لا غرو إن وجدت أن معظم ما نسب إلى الرسول (صلى) في صحيح البخاري وأحدث إشكاليات عقلية أو نقلية أن مصدره كان (أبي هريرة)..وليس أدل على ذلك من حديث "غمس الذبابة في الطعام"..و"أن طول النبي آدم كان ستين ذراعا"..و"أن النبي سليمان كان يطوف على ستين امرأة في الليلة الواحدة"..و"أن النبي موسى فقأ عين ملك الموت"..وكذلك معظم الأحاديث الواردة في وصف "صفات وعادات الجن والشياطين"..فضلا عن حديث "المرأة التي دخلت النار ليس لكفرها وإنما لأنها حبست هرة" وهو الحديث الذي ردته أيضا السيدة عائشة على أبي

---

[85] صحيح البخاري: 31/1

هريرة قائلة في استنكار: *"هل تدري ما كانت المرأة؟ إن المرأة مع ما فعلت كانت كافرة، وإن المؤمن أكرم على الله عز وجل من أن يعذبه في هرة، فإذا حدثت عن رسول الله فانظر كيف تحدث!"*.. وبالطبع لا يجب في هذا المقام إغفال ولع أبي هريرة المعروف بالهرر..فلاحظ!

وللحق فإنني لم أرد بما سبق تشويه الأشخاص أو ما ارتبط منهم بصفحات التاريخ..وإنما كان مقصدي أن نتعلم كيف نقرأ التاريخ..فنقرأه وقائع متكاملة حية..لا صورًا فوتوغرافية أو تخيلية تضلل أكثر مما ترشد...

نريد أن نقرأ الأمر متكاملا بعيون بشرية لأحداث منطقية.. فلا نكون كيهود بني إسرائيل الذين استنكر رب العزة موقفهم بقوله: {أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض؟! [86]}

ولنكن متمرسين في وزن الأمور..{وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان [87]}..فلا نساوي بين الكتاب والحكمة..ولا بين الحكمة والأثر..ولا بين الأثر والنَظر..!

ولنضع البشر في نصابهم البشري..فنقتدي بحسناتهم فيما أحسنوا..ونتعلم من أخطائهم إذا زلوا...

---

[86] سورة البقرة: 85

[87] سورة الرحمن: 9

....

....

....

{..رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ [88]}

---

[88] سورة البقرة: 286

"مطار البحرين الدولي"

الجمعة 23 أكتوبر 2015

[صوت موسيقي يسبق نداءً صوتيا]

"النداء الأخير على طائرة مصر للطيران رقم **MS 921** المتجهة إلى القاهرة...برجاء التوجه إلى بوابة رقم **16**"...

مازالت تدور برأسي أسئلة كثيرة لم أجد لها جوابا بعد... لكني مضطر للعودة للالتحاق بعملٍ آخر بمصر...لست متيقنا إذا ما كانت عودتي صوابا أم خطأ... ولا أعلم إذا ما كنت سأرجع مجددا إلى البحرين يوما ما...

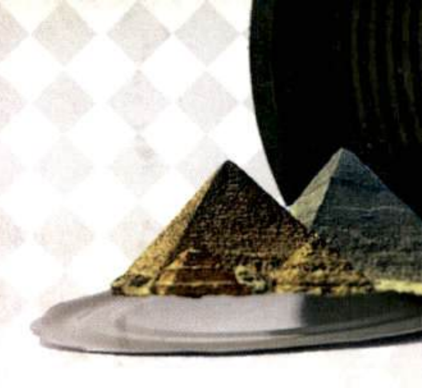
من يدري..؟!

....

....

ooتم بحمد اللهoo





هل سمعت من قبل عن (مملكة دِلون)؟

ماذا لو أنك استيقظت فجأة، فوجدت نفسك تعيش في تلك البقعة الصغيرة التي ربما لم يسمع عنها كثيرون؟

هل أنت ممن يحبون حواديت الأسفار والتعرف على ثقافة البلدان الأخرى بعمق؟

هل تحب طبق (السلاطة)؟.. هو تجربة حية أشبه بطبق (سلاطة).. ربما تلتهمه كله، وربما تختار منه (الأوطة) فقط.. أو بعض الجزر..أو حتى قطعة (خيار)!

هي تجربة ستثير بداخلك كثير من الأسئلة، لمسائل ربما ظلت زمنًا في أذهاننا راكدة!

بل إنني أطمع أيضا أن تخرج منها ببعض الأجوبة!

عزيزي الراكب.. برجاء ربط حزام الأمان... فأنت على وشك الإقلاع إلى (مملكة دلون).

رقم الإيداع: 2016/2600

